بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة أم درمان الإسلامية

معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي

صورة المرأة في الشعر الأندلسي
" في عصري الطوائف وبني الأحمر"

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة في اللغة العربية

تخصص" أدب ونقد "

إعداد الطالبة :**عائشة إبراهيم موسى سلامة محسن**

إشراف الأستاذ الدكتور : **فاروق الطيب**

١٤٢٨-١٤٢٩هـ

٢٠٠٧-٢٠٠٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

"وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ
وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمًا"

سورة النساء آية:١١٣

الإهــــــــــداء

إلى روح والدتي الطاهرة التي رحلت فجأة، وحالت غربتي دون وداعها الأخير.

والى والدي متعه الله بصحته، وأمد في عمره الذي أدبني فأحسن تأديبي.

والى أبنائي " خليل وحنين وريم ".

والى زوجي الذي قدم لي كل ما يستطيع من عون ومساعدة.

والى أخواتي فاطمة ونادية وفادية

إليهم جميعا أهدي عملي هذا.

الباحثة

عائشة إبراهيم موسى سلامة محسن

الشكـــــــر والتــقــدير

لا يسعني بعد أن من الله علي بإكمال دراستي هــذه إلا أن أتقدم بوافر الشكر والعرفان إلى أستاذي الأســتاذ الدكتور فاروق الطيب الذي تفضــل بالإشــراف علــى أطروحتي هذه جزاه الله عني خير الجزاء، كما وأتقــدم بجزيل الشكر والعرفان لأعضاء لجنــة المناقشــة الأســتاذ الدكتور عبد الرحمن عطا المنــان(المشــرف المتــابع) والأستاذ الدكتور بشير عباس والأستاذ الــدكتور بلــه عبدالله.كما وأشكر كل من قدم لــي المســاعدة لإتمــام دراستي هذه.

الباحثة

عائشة إبراهيم موسى سلامة محس

صورة المرأة في الشعر الأندلسي

المقدمة:

يتميز المجتمع الأندلسي عن غيره بأنه مجتمع يكاد يكون كله شعراء. وكان الحس الشعري سمة مشتركة بين أفراده، وقد استطاعت المرأة الأندلسية، في عصر الطوائف والمرابطين، أن تظفر بحظ كبيرة من النشاط العلمي والأدبي. ولم تعد قرطبة وحدها قبلة الأنظار، يؤمها الشعراء والأدباء من شتى الأنحاء، بل تكاثرت المراكز الأدبية، كما تكاثر المادحون ومحبو الأدب، وأصبح التنافس شديداً بين الممالك والبلدان، لما يتميز به ملوك الطوائف من شاعرية وحس نقدي .

وكان للمرأة الأندلسية نصيب وافر في مضمار الشعر، جعلها تبز قريناتها من نساء المشرق وتتفوق في بعض الأحيان على الرجال. وقد كان عددهم من الوفرة بحيث شكل ملمحاً بارزاً من ملامح الشعر الأندلسي، وكان فنهن يدفع الدارس إلى الوقوف متأملاً مستبيناً ما فيه من أسباب الجدة ومظاهر الإمتاع والإبداع.

وفي فترات من الحياة الأندلسية المتقلبة سياسياً وثقافياً، كان للمرأة صورة تتفاوت بين الحسية والرمزية، غير أن الغالب الأعم وصفاً جسدياً لا يتجاوزه إلى مشاعر بشرية جديرة بسبر أغوارها، والتلذذ بالحديث عن المشاعر والمحبة والنوى والقرب وغيرها من المعاني الحسية الرائعة الجميلة. لكن تلك الصورة الغالبة للشعر الأندلسي في المرأة قد سما به بعض من شعراء الأندلس مثل ابن زيدون في قصائده الرائعة التي كان جلّها في ولادة بنت المستكفي.أما العلامة حزم فقد أورد في كتابه (طوق الحمامة) شيئاً عن المرأة لم يتجاوز فيه المشاعر إلى الجسد حيث قال[1]:

وددت بأن القلب شق بمديةٍ وأدخلت فيه ثم أطبق في صدري
فأصبحت فيه لا تحلين غيره إلى مقضي يوم القيامة والحشر
تعيشين فيه ما حييت فإن أمت سكنت شغاف القلب في ظلم القبر

فهذا الفيض في المشاعر الصافية، وهذا التدفق العاطفي الهادر نادر في الشعر العربي

[1] - ابن حزم ، طوق الحمامة ، الموسوعة الشعرية ، ص١٥٤.

وبخاصة الأندلسي. غير أن هذا النموذج المثالي لصورة المرأة قليل في الشعر الأندلسي، إذا ما قورن بصورة المرأة في بعدها الجسدي، وهو الاتجاه الغالب. ولعل أبرز مظهر من مظاهر هذه الحسية يتجلى في وصف جمالها الجسدي، والنظر إليه عضواً عضوا، من قمة الرأس إلى أخمص القدم. وبمقدار توافق تلك الأعضاء للذوق العام بمقدار ما تحظى بإعجاب الشاعر والرجل عموماً. وهو ذوق يعتمد على مقياس جمالي يكاد يكون ثابتاً منذ عهد امرئ القيس: أي المرأة البيضاء البشرة، ذات القد المياس، والخدود الحمراء والشعر الأسود المسترسل، والعيون النجل، والرقيقة الخصر، والضخمة الأرداف.. إلى آخر النقش كقول أبي القاسم المنيشي[1] :

وعجزاء لفاء وفق الهوى　　　تحيرت فيها وفي أمرها

غلامية ليس في جسمها　　　مكان رقيق سوى خصرها

ويتكرر هذا النموذج لجمال المرأة ويستمر إلى عهود متأخرة، فللحازم القرطاجي قصيدة مطولة تتبع فيها هذه الصفات الجمالية في المرأة عضواً عضواً. إن مثل هذه النظرة إلى الجمال عضواً عضواً لا تتسم بالحسية فقط بل هي صور تجزيئية للجمال، سطحية وخارجية، لا تكاد تتجاوز سطح الجسد إلى ما وراءه من كيان إنساني وأحاسيس بشرية، فمثلاً المرأة عند ابن حمديس هي المرأة الغانية، التي تسلب الألباب، قوامها كالغصن وأردافها كالنقا وثغرها كالأقاح وهي كالمهاة حين ترنو في نقابها. وكالظبية في التفاتتها وجمال عنقها، رضابها كالطل، كالروضة تعبق نشرا، الخ.. كما في قصيدة له[2]:

بأبي من أقبلتْ في صورةٍ　　　ليس للتّائب عنها منْ مَتَاب

كلُّ حُسْنٍ كامِلٍ في خَلقها　　　لَيتها تَنجو منَ العينِ بعاب

فالقوامُ الغُصْنُ والرِّدف النَّقا　　　والأقاحُ الثَّغْرُ والطَّلُّ الرُّضاب

ظبيةٌ في العقد إمّا التفتَتْ　　　ومهاة حين ترنو في النقاب

إنها امرأة لا يصرح الشاعر باسمها، امرأة استوفت كل شروط الجمال، ونحن أمام صورة لدمية جميلة، لكن لا ملامح تحدد شخصيتها أو أحاسيس تنم عن دواخلها.. غير أن ابن حمديس كثيراً ما اتخذ من جمال المرأة رمزاً لحنينه وأشواقه، وبخاصة في المقدمات الغزلية لأمداحه في أواخر حياته، حيث تصبح المرأة مرتبطة بتجربة الغربة

[1] ـ ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، ص٤٧٧ .
[2] ـ انظر ديوان ابن حمديس ، الموسوعة الشعرية ، ص١٧٥ .

التي عاناها منذ أن خرج من وطنه صقلية، وحيث يصير حب المرأة جزءاً مــن حبــه للوطن ومن الحنين العارم إليه كما في هذا البيت يصف حنينه إلى فتاة صــغيرة الســن ويشبهه بحنينه إلى وطنه.

رشأٌ أحنّ إلى هواه كأنّه   وطنٌ وُلدتُ بأرضه ونشيتُ[1]

مشكلة البحث :

تكمن مشكلة البحث في بيان صورة المرأة وملامحها في الشعر الأندلسي وذلــك مــن خلال أبراز الصورة المادية والمعنوية لها ، ثم بيان صورة المرأة في الأغــراض الشــعرية آنذاك ، وكذلك بيان خصائص الشعر الذي قيل في المرأة والذي قالته كذلك .

أهمية البحث :

تأتي أهمية هذا البحث في إبراز صورة المرأة في الأدب الأندلسي، وبخاصة في عصر الطوائف والمرابطين وفي ظل بني الأحمر، ذلك أن هذا الموضوع لم يدرس دراســة وافيــة مستقلة، فهو والحالة هذه يفيد الباحثين في الأدب الأندلسي ، وكذلك طلاب العلم ، كما أنه يبين الوجه المشرق للحضارة العربية الإسلامية في الأندلس وأوروبا .

حدود البحث :

تتمثل حدود الدراسة في بيان الشعر الخاص بالمرأة في بلاد الأندلس طوال فترة الحكم الإسلامي وعلى وجه الخصوص في عصر الطوائف وفي ظل بني الأحمر.

منهج البحث:

ستقوم الباحثة باتباع المنهج الوصفي التحليلي .

[1] ـ ديوان ابن حمديس ، الموسوعة الشعرية .، ص٢٠ .

الفصل الأول

الأندلس عبر التاريخ

المبحث الأول

الأنـــــدلـــس فـــي ظـــل

الحـــكم الإســـلامي

تمهيد :

يعد تاريخ أسبانيا العربية تراثاً حضارياً رائعاً، إذ إن تاريخ هذه المنطقـــة مـــن أبـــرز المحطات في التاريخ العربي الإسلامي وأكثرها أهمية وإثارة، فيها من التألق والســـطوع، كمـــا فيها من التعثر والمأساة، فهذه المملكة القوطية القديمة التي اجتاحها العرب، فتحولت إلى ولايـــة أموية في مطلع القرن الثامن الميلادي قدر لها أن تأخذ هوية منفردة واتجاهاً خاصاً بحيـــث إن ارتباطها بالسلطة المركزية كان واهياً منذ بداية تكونها العربي، وذلك نتيجة عوامـــل جغرافيـــة وسياسية، ليست مرتبطة بقرارات تصدر عن الخلافة، كما كان يجري في معظم الولايات.

وإذا نظرنا إلى حالة أسبانيا قبل الفتح الإسلامي فإننا نجد أنها كانت تحت حكم القـــوط الغربيين حيث بدأ احتلالهم لها في أوائل القرن الخامس الميلادي بعد طردهم للوندال " Vandals " إحدى القبائل العربية الجرمانية المتبربرة الذين اتجهوا بعد ذلك إلى احتلال الشمال الأفريقـــي وطردوا منها على يد الرومان ٥٣٤م وقد احتل الوندال أبارية منذ القرن الثالث الميلادي وحتى الخامس [١].

وكان حكم القوط لأسبانيا حكماً تسلطياً، لسوء سياستهم هذه تردت حالة أسبانيا وســـاءت حياة الناس وانتشرت الفوضى وعم الفساد كافة أرجاء الدولة الأسبانية، وقد كان قطاع كبير من أبناء الشعب الأسباني يشتغلون لحساب الطبقـــة الحاكمة المترفة، إضافة إلى وجود صراع قوي بين الطبقات والحاكمين، وفيما بين الحاكمين أنفسهم، والشعب الأسباني كغيره من شعوب أوروبا يخيم على تركيبته السكانية النظام الطبقي، فلا يحظى بالعيش الهنيء إلا طبقة معينـــة حصـــلت

---

[١] – حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ص٢–٤ وانظر كتاب دولة الإسلام في الأندلس لمحمد عبدالله عنان جـــ١ ، ص ٢٧ – ٢٩ .

على امتيازات عديدة، والأسرة الحاكمة بيدها كل شيء دون سواها من الشعب الذي يلاقي الإهمال والظلم .

وخلاصة القول فإن أسبانيا قبل الفتح الإسلامي كانت تشكو الاضطراب والفساد الاجتماعي والتأخر الاقتصادي وعدم الاستقرار نتيجة السياسة الظالمة ونظام المجتمع السائد . ولما كانت الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية الاقتصادية تؤثر تأثيراً واضحاً على اتجاهات الناس على اختلاف أجناسهم وأعراقهم وثقافاتهم فإنني أجد لزاماً عليَّ أن أتطرق للحديث عن تلك الأحوال وذلك من خلال المطالب الآتية :

المطلب الأول
عهد الولاة وعهد الفتح
٩٥-١٣٨هـ / ٧١٤-٧٥٥م

بدأ هذا العهد في الأندلس بالقائد الفاتح طارق بن زياد ثم بموسى بن نصير ثم بعبد العزيز بن موسى بن نصير، وآخر ولاة هذا العصر هو يوسف بن عبد الرحمن الفهري الذي تغلب عليه عبد الرحمن بن معاوية المرواني والمعروف بالداخل، وأقام إمارة قرطبة المستقلة، تلك الإمارة التي كان لها شأن كبير وخطير في تاريخ الأندلس.

وتعاقب الولاة على الأندلس، فمنهم من كان يعينه الخليفة، ومنهم من كان يعينهم عامل أفريقية، وفتحت في ذلك العصر بلاد جديدة " كبرشلونه " و " قشتالة" وأغار العرب على شواطىء الرون فبلغوا ليون، واستمروا في التقدم في قلب فرنسا حتى كادوا يحتلون مدينة "تور" "وبواتيه"، لو لم يلقهم شارل مارتل بجموع الفرنجة في سهول "ابواتيه" ويردهم على أعقابهم، وقتل في تلك المعركة قائدهم عبد الرحمن الغافقي ١١٤هـ- ٧٣٢ م [١].

وبعد موقعة بلاط الشهداء هذه التي استشهد فيها عبد الرحمن الغافقي ظلت جيوش المسلمين تتقدم من فتح إلى فتح، ولو استمر الزحف الإسلامي لوقعت أوروبا في أيديهم وانتشر الإسلام.

---

[١] – انظر بطرس البستاني ، ادباء العرب في الاندلس ، ط٦ ، بيروت ، لبنان ص١٥ ، ١٩٦٨ ، وعبد الرحمن الحجي ، التاريخ الأندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة ، ط١ ، بيروت ، دار القلم ، ص١٣١ ، ١٩٧٦م.

ولم يحاول العرب الاستيلاء على بلاد الإفرنج بعد هذه الموقعة بل أخذوا يتراجعون إلى بلاد الأندلس، حتى إنه لم يبق لهم فيما وراء جبال "البرانس" إلا مقاطعة سبتمانيا. ولم يقتصر عهد الولاة على الحروب بين المسلمين والنصارى في أوروبا، بل إنه حدث شقاق كبير وعظيم بين المسلمين أنفسهم، وقامت الفتنة، وانتشر الشر بين الأحزاب، ذلك أنه " لما تسامع العرب بفتح الأندلس، وذكر لهم ما فيها من خصب وغنى أقبلوا عليها، وفي مقدمتهم الشاميون واستوطنوها وكان فيهم العدنانية من مضر وربيعه كأبناء قريش من فهر وأميه وهاشم ومخزوم، وكأبناء غطفان وتميم وكنانة وقيس وتغلب وبكر وأسد، وفيهم اليمانية من كهلان والأزْد ومدحج وسواهم وكانوا أكثر عدداً من العدنانيين، فانتقلت معهم العصبية القبلية، والمنازعات الحزبية بين القحطانية والعدنانية أو القيسية واليمنية [1].

المطلب الثاني

عصر الدولة الأموية (المروانية)

١٣٨-٣١٦هـ / ٧٥٥-٩٢٩م

كان عبد الرحمن بن معاوية من القلة الأموية الذين نجوا من مذابح العباسيين التي قادها آنذاك السفاح، فر عبد الرحمن بن معاوية مستخفياً حتى وصل إلى المغرب فلجأ إلى أخواله البرابرة من بني نفزة بالقرب من سبته، فأكرموا وفادته، ثم لحق به مولاه بدر، فبعثه بكتاب إلى موالي المروانية في الأندلس الذين كانوا من حيث العدد بين أربعمائة وخمسمائة فسهلوا له دخول البلاد ووطأوا له عرش قرطبة.

وبنظره تاريخية سريعة في أسباب نجاح ابن معاوية، يمكننا القول بأن هنالك عدة أسباب كانت وراء نجاح ابن معاوية في دخوله للأندلس: منها حماية البربر له وذلك لأنهم أخواله وكذلك مشايعة ومساعدة موالي المروانية له لأنه مرواني، ومن أسباب نجاحه كذلك ضعف الدعوة العباسية في الأندلس، لأن المضرية كانت في كثرتها شامية أموية فمن الطبيعي أن تكون

[1] – انظر بطرس البستاني ، مصدر سابق ، ص١٦ ، وعبد العزيز عتيق ، الأدب العربي في الأندلس ، ط٢ ، بيروت دار النهضة العربية ، ص٤٧ ، ١٩٧٦

موالية لعبد الرحمن بن معاوية، ومقابل ذلك كله عجز الصُّميل والقيسية عن الرد والوقوف أمام المضرية، أما اليمانية فإنها كانت تتمنى زوال سلطانهم، فتقربت إلى عبد الرحمن تشد أزره [1]. واستطاع عبد الرحمن بن معاوية استغلال الصراع القبلي الذي أضعف قدرات المجتمع الأندلسي فاحتل مدن وقرى الأندلس مدينة تلو المدينة حتى دخل قرطبة فأقام فيها بعد أن انتصر على الصُّميل ويوسف الفهري، ودانت بذلك له الأندلس، فأصبح أميرها، ولقب بالداخل لدخوله إياها، ولقبه أبو جعفر المنصور بصقر قريش، وكانت الخطبة لبني العباس فقطعها عنهم ودعي له على المنابر، وبني المسجد الجامع في قرطبة [2].

وبدخول عبد الرحمن الأندلس استطاع أن يؤسس دولة أموية جديدة فتية جعلها ملاذاً آمناً لبني أمية الذين. وقد واجهت الدولة الأموية أحداثا خارجية وأخرى داخلية ألقت بظلالها على أمن واستقرار البلاد ومن بين تلك الأحداث الخارجية " **هجوم شارلمان والنورمان على الأندلس.** أما الأحداث الداخلية فتتمثل في محاولة دولة الخلافة العباسية إعادة الأندلس الى حاضنة الخلافة، كما حصل من العلاء بن المغيث الجذامي ١٤٧ هـ إذ جاء من شمال إفريقيا إلى الأندلس داعياً للخلافة العباسية فرفع الرايات السود ــ رايات بني العباس ــ فاجتمع حوله خلق كثير فقاتله عبد الرحمن بن معاوية في قرية من قرى أشبيلية تعرف (بالكرم) حتى هزمه الإمام وقتله[3] .

وفي عام ١٦١ هـ دخل إلى الأندلس من الشمال الأفريقي عبد الرحمن بن حبيب الفهري، المعروف بالصقلبي ولم يكن من الصقالبة ولا صلة له بهم لكنه سمي بذلك لشبهه الشكلي بهم [4]. وحل بمرسية " تدمير " وتراسل مع سليمان بن يقظان الأعرابي ولم يتفقا وجرى بينهما قتال هزم فيه الصقلبي الذي قضي عليه فيما بعد وانتهى أمره [5].ثم بعد ذلك كانت موقعة (هيج) الربض سنة ٢٠٢ هـ / ٨٠٨ م. وكانت في الربض الجنوبي من قرطبة المسمى

---

[1] – بطرس البستاني ، أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث ، ط٦، بيروت ، دار الثقافة،١٩٦٨م ص١٨ ، والسيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ص١٩٤ وما بعدها .

[2] – نفس المرجع ، ص١٩ .

[3] – عبد الرحمن علي الحجي ، التاريخ الأندلسي ، ، ، ص٢٢١ .

[4] – محمد عبدالله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ، القاهرة ، ١٩٦٩ م ، ص ٩٠.

[5] - ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ، بيروت ، ١٩٦٧ ، جـ٦ ، ص٥٤ .

ربض شقندة على الضفة الأخرى من الوادي الكبير، أيام الحكم الأول (١٨٠ هـ ــ ٢٠٦ هـ) (٧٩٦ــ ٨٢٢ م) وقضى الحكم الربضي عليها بقسوة وعنف [١].

المبحث الثاني

عهد الخلافـــة والطوائـــف

المطلب الأول

عهد الخلافة بقرطبـــة

٣١٦-٤٠٠ هـ / ٩٢٩ – ١٠٠٩ م

بعد موت الأمير عبدالله بن محمد الأول آخر الأمراء ظفرحفيده عبد الرحمن بن محمد (الناصر) بالإمارة دون أعمامه وأعمام أبيه، وكانوا أحق منه بالإمارة شرعاً ولكنهم تركوها له زاهدين فيها لما يحيط بها من أخطار ومكاره، وكان الظن أنها ستزول حتماً، فزهد فيها من هم أحق بها من البيت الأموي.

ولقد تعلقت آمال الناس بهذا الشاب اليتيم عبد الرحمن بن محمد الذي يتوقد شباباً وعزماً، " ويحترق شوقاً لتوطيد دولة الإسلام في الأندلس، وهكذا تهيأت لهذا الفتى الإمارة من حيث لا يدري وأصبح أمير قرطبة بلا منازع، في الوقت الذي كانت الأندلس فيه جمرة تحتدم وناراً تضطرم " [٢].

وفي بداية عهد الأمير كانت أرض الأندلس تعج بالثائرين مضطرمة بنيران المتغلبين، فوجه جل اهتمامه إلى إطفاء هذه النيران وإخضاع أهل العصيان، فكانت سياسته تهدف إلى تركيز السلطة بيده، وتوطيد الأندلس كما كانت عليه إبان عهد بني أميه الأقوياء.

وإزاء هذه الأوضاع المتردية كان لزاماً عليه أن يصطنع لنفسه سياسة تقوم على الترهيب والترغيب، فشرع في تنفيذ سياسته في عزم وإصرار، " فانفذ الكتب إلى العمال في جميع كور الأندلس بطلب الطاعة والاستسلام، فكان أول من استجاب له سعيد بن السليم عامل

---

[١] – ابن الآبار ، الحلة السيراء ، تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٦٣ م جـ١ ص٤٤ .

[٢] – السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ، ص٢٧٩ – ٢٨٠.

حصن " مارتس " من كورة " جيان " ثم أرسل الأمير عبد الرحمن أمناءه إلى البلاد لأخذ البيعة فبعث إلى الثغرين الأدنى والأقصى الفقيه أبا مروان عبيدالله بن يحى ومحمد بن عبدالله بن نصر وإلى كور الغرب حفص بن عبد الرحمن وأحمد بن عبد الملك ، وكان أول من بايع الأمير من أصحاب الأطراف محمد بن عبد الرحمن التجيبي أمير سرقسطة ، وتتابعت البيعة والاستسلام لعبد الرحمن من جميع مدن الأندلس .... " [1]. وما أن استقر الأمر حتى اتجه الأمير عبد الله إلى إخضاع العصاة الذين تمردوا على الدولة منذ أمد بعيد ، فاستطاع بحسن سياسته القضاء عليها ، ومن هؤلاء العصاة الذي استمر مدة طويلة في مد وجزر عمر بن حفصون ، الذي اتخذ مركزه في جبل " ببشتر " قرب مدينة قالقه في جنوب الأندلس [2].

و لما لم يجد النجاح تنصر ظناً منه أن ذلك يجلب له التأييد، فكان العكس واستطاع الناصر القضاء على عصيانه نهائياً خلال سنتي حكمه الأولى. و هكذا استطاع عبد الرحمن الناصر أن يقضي على أعداء الوحدة في داخل أسبانيا، فاجتمع شمل المسلمين تحت لوائه، وأصبحوا يؤلفون قوة كبرى كان لها أكبر الأثر في بث الرعب والهلع في نفوس نصارى أسبانيا المسيحية.

ومن خلال قراءة حقب التاريخ الأندلسي نجد أن الأندلس قد تعرضت في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر لأخطار كثيرة كادت تطيح بملك المسلمين ومن تلك الأخطار خطر النورمنديين الذين اعتادوا الاعتداء على سواحل الأندلس، وهذا مما جعل أمير قرطبة يتنبه إلى ضرورة اصطناع سياسة بحرية فأنشأ عبد الرحمن دار الصناعة بإشبيله، واستعان برجال البحر من سواحل الأندلس فألحقهم ووسع عليهم، وتأهب لاستقبال النورمنديين بالآلات والنفط، وعمل على إنشاء أسطول قوي يدفع عن الأندلس الأخطار الناشئة من غارات المجوس والغزو الفاطمي على السواء.

وأما الخطر الثاني الذي كاد يهدد دولة بني أميه في الأندلس فهو خطر الفاطميين المقيمين ببلاد المغرب، الذين كانوا يهدفون منذ تأسيسهم لدولتهم إلى غزو الأندلس لجعل المغرب الإسلامي كله خاضعاً للتشيع الفاطمي.

---

[1] - السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص٢٧٩ — ٢٨٠.

[2] - محمد عبدالله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، جـ٢ ص٣٨٠ .

المطلب الثاني

عهد الطوائف

٤٠٠-٥٣٦ هـ / ١٠١٩ - ١١٤١م

بدأ عصر ملوك الطوائف بالأندلس بعد انتهاء ملك الأمويين فيها بخلع هشام الثالث ٤٢٢هـ / ١٠٣١ م، والواقع أن عصر ملوك الطوائف قد بدأ قبل هذا التاريخ بنحو عشرين سنة وعلى التحديد بعد ذهاب دولة المنصور بن أبي عامر وقيام الصراع بين أمراء المروانيين على الخلافة. " وكان من نتائج هذا الصراع الذي زاد من ضعف الدولة وقلل من هيبتها في الداخل والخارج، أن أغرى الطامعين فيها وجرأهم عليها، من ثم أخذ يغتنم هذه الفرصة المتاحة كل من يأنس في نفسه القدرة من رؤساء الطوائف من العرب والموالي، فيستقل بإمارته ويسميها دولة ينصب نفسه ملكاً عليها ويتخذ من أهم مدينة فيها عاصمة له " [1].

وهكذا سادت الأندلس بعد سقوط الخلافة حالة من الارتباك والحيرة تبينت خيوطها السوداء بقيام دول متعددة فيه عرفت بدول الطوائف تفاوتت في المساحة والقوة كما تفاوتت أعمارها وتوزعت الأندلس وحكم كل منها – في الأغلب – أسرة ما يتوارثها أبناؤها، يستعينون بغيرهم أحياناً، أو يكون هناك مجلس شورى لكل حاكم وزراؤه وكتابه وقضاته وقواده ورجال مملكته وعصبته، ولم تقم هذه الدويلات في وقت واحد، كما وأن نهايات التي استمر منها على يد المرابطين كانت متفاوتة وإن تقاربت[2].

وهكذا فان ممالك الطوائف قد حكمها ملوك من أخلاط العرب والبربر والموالي استقلوا بولايات الأندلس المختلفة، منذ سقوط الخلافة الأموية في قرطبة ثم راحوا يتنازعون الأمر فيما بينهم، فلما أحاطت المخاطر بممالكهم التمسوا النصح عن كبيرهم المعتمد بن عباد ملك اشبيلية، وكان يهم بطلب معونة المرابطين، فحذروه من ذلك قائلين " السيفان لا يجتمعان في غمد واحد " فأجابهم بكلمته المشهورة " رعي الغنم خير من رعي الخنازير " فاقتنعوا برأيه، وكتب ابن عباد إلى الأمير يوسف بن تاشفين مؤسس دولة المرابطين الفتية بالمغرب يسأله العون والنجدة

[1] – عبد العزيز عتيق ، الأدب العربي في الأندلس ، ص٩٢ ، وانظر أدباء العرب للبستاني ، ص٢٣ ، وكتاب التاريخ الأندلسي لعبد الرحمن الحجي ، ص ٣٢٦ وما بعدها .

[2] - عبد العزيز عتيق ، الأدب العربي في الأندلس ، ص٩٢.

فسرعان ما لبى النداء [1]. وقد عبر يوسف بن تاشفين إلى الأندلس لنصرة الإسلام فيها والتقى بجيش الفونسو السادس قرب مدينة بطليوس وهزمه في معركة " الزلاقة " ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م. ثم عاد يوسف إلى المغرب بعدما زال الخطر عن الأندلس تاركاً وراءه قطعة من جيشه تحت تصرف ملوك الطوائف لحماية الثغور، ولكن سرعان ما نسى ملوك الطوائف خطر العدو وعادوا إلى سيرتهم الأولى، واستأنفوا حياة اللهو والمجون والتناحر فيما بينهم [2].

ورأى أهل الأندلس ما آل إليه حالهم وحال ملوكهم من الضعف والتردي فاستصرخوا يوسف ثانية فأجابهم، ولكن في هذه المرة بدأ يوسف في خلع ملوك الطوائف الواحد إثر الآخر ولم تأت سنة ٤٩٥ هـ / ١١٠١م حتى تمت للمرابطين السيطرة على الأندلس وضموهم لدولتهم وبذلك أصبح القطران: المغرب والأندلس دولة واحدة قوية عاصمتها مراكش.

---

[1] - عبد العزيز عتيق ، الأدب العربي في الأندلس ، ص٩٩.

[2] - نفس المرجع .

المبحث الثالث

دولة المرابطين و الموحدين في الأندلس

المطلب الأول

دولة المرابطين

٤٩٥–٥٥٥ هـ /١١٠١ – ١١٦٠ م

نشأت دولة المرابطين في المغرب، ويعود الفضل في وجودها إلى يحيى بن إبراهيم الكرالي، أحد زعماء قبائل صنهاجة التي كانت تسكن صحراء شنجيط " موريتانيا حاليا " وقد مرت دولة المرابطين في نشأتها بأطوار عديدة واستمرت في النهوض حتى سيطرت بقيادة يوسف بن تاشفين على المغربين الأقصى والأوسط، وعلى بلاد السودان إلى نهر النيجر، وسموا بالمرابطين لأن أحدهم يحيى بن إبراهيم أسلم فجاء بفقيه اسمه عبد الله بن يس ليعلم قبيلته القرآن وأحكام الدين، ثم مات يحيى فتفرق الناس عن الفقيه، ثم جمع ذلك الفقيه فئة من الناس حوله فابتنى لهم رباطاً ــ مكان ينفردوا به للعبادة ــ فسموا بالمرابطين.

وأما عن الأساس الذي قامت عليه دعوتها فهو العلم مع الاهتمام بعلوم الدين، وأما عن طابعها الخاص فهو الزهد والتقشف، وأما الدستور الذي سارت عليه منذ نشأتها، فهو العمل على إصلاح الفساد وتطهير المجتمع من عوامل الشر، ونشر الفضائل الدينية وتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية [1].

وفي الوقت الذي بلغت فيه دولة المرابطين بالمغرب ذروة قوتها على يد مؤسسها يوسف بن تاشفين، كانت الأندلس على الجانب الآخر تعاني من ضغط الغزو المسيحي من الشمال، ومن ملوكها الذين أسرفوا على أنفسهم في المجون واللهو، وفي معاداة بعضهم بعضاً إلى الحد الذي أطمع أعداء البلاد فيها [2]. ولما استصرخ أهل الأندلس بالأمير يوسف لبى نداء الأخوة الإسلامية وعبر إليهم بجيش المرابطين، وأنقذهم من عدوهم مرتين: الأولى ٤٧٩ هـ

---

[1] – عبد العزيز عتيق ، الأدب العربي في الأندلس ، ، ص١٠٥ ، وانظر أدباء العرب لبطرس البستاني ، ص ٢٧ وما بعدها ، والتاريخ الأندلسي لعبدالله حجي ، ص٤٣٨.

[2] – نفس المرجع،ص٤٣٨ .

/١٠٨٦م، والثانية في سنة ٤٨٣ هـ / ١٠٩٠ م وفي هذه المرة قضى على ملوك الطوائف وضم الأندلس إلى ملكه. وبعد وفاة يوسف بن تاشفين ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م قام بأمر دولة المرابطين من بعده ابنه علي بن يوسف، وتلقب أيضاً بأمير المسلمين وجرى على سنن أبيه في الغزو والجهاد. " وقد كان على بن يوسف ورعاً زاهداً، وقد بالغ في إكرام العلماء والفقهاء فعظم شأنهم عنده، وكان إذا وعظه أحدهم خشع عند استماع الموعظة، ولان قلبه، وظهر ذلك عليه"[1] .ولكن إقباله على الدين وعلومه جعله ينصرف عن شؤون الدولة ويتراخى في إدارتها فاختل حالها، وفقد المرابطون من الناحية الحربية صفاتهم التي جعلت منهم جنوداً محاربين، وتراجعت جيوشهم أمام جيوش القشتاليين والبرتغاليين والأرغونيين كما أصابهم انهيار خلقي نتيجة لاستغراقهم في الترف وبذلك انحطت هممهم، فثار عليهم أهل الأندلس وطردوا عمالهم.

المطلب الثاني
دولة الموحدين
٥٢٤-٦٦٧ هـ / ١١٢٩ - ١٢٦٨ م

قامت دولة الموحدين في أعقاب دولة المرابطين، وكلتاهما دولة أفريقية قبلية دينية، ويرجع الفضل في ظهور دولة الموحدين إلى رجل في إحدى قبائل المصادة ينتسب إلى أهل البيت ويدعى محمد بن تومرت " وأول ما عرف عنه أنه خرج من افريقية سنة ٥٠١ هـ في طلب العلم، فدخل الأندلس ثم رحل إلى المشرق فحج ولقي الأئمة وأفاد الكثير من علمهم ، كما لقي الإمام الغزالي في أخريات أيامه وتأثر بأفكاره "[2].

ومنذ أن عاد ابن تومرت إلى الشمال الأفريقي بدأ يدعو الناس إلى التمسك بالدين وتطبيق تعاليم الإسلام ونبذ كل من يخالف تعاليمه، وقد تبعه عبد المؤمن بن علي الكومي بنواحي تلمسان – الجزائر – حتى صار من رجاله المعتمدين." وقد نشأت دولة الموحدين في المغرب بعد أن امتلكت مكانة الدولة المرابطية وكانت الدولة الموحدية ثمرة الدعوة التي بدأها

[1] - انظر عبد العزيز عتيق ، الأدب في الأندلس ، جـ٧ ، ص ٢٣٧.
[2] - نفس المرجع، ص١١١.

ابن تومرت في إقليم السوس ٥١٥ هـ أو قبلها "[1]. وقد وقعت الحرب بينه وبين المرابطين فلما توفى ابن تومرت ٥٢٤ هـ، أوصى بالأمر بعده لعبد المؤمن، الذي أنفق سنوات في حرب المرابطين ، " وقد دخل الموحدون مدينة فاس ٥٤٠ هـ ومدينة مراكش في السنة التالية حيث اتخذوها أيضاً عاصمة لهم"[2] . وقد ورث الموحدون دولة المرابطين في المغرب والأندلس، ووصلت دولتهم مستوى عالياً من القوة، وشيدت للفضائل صروحاً وأسهمت في الاستمرار بالعلم والمعرفة وحمت كيان الإسلام في الأندلس.

المطلب الثالث

دولة بني الأحمر

٦٣٥-٨٩٨ هـ / ١٢٣٧ - ١٤٩٢م

ترك الموحدون الأندلس فكثر بعد ذلك الصراع على السلطة بين المسلمين وصاحب خروج الموحدين من الأندلس أن تعرضت الإمارات والمدن الإسلامية لزحف سريع لم يتوقف إلا ليستعد لجولة أخرى، " وفي خلال سنوات قليلة اكتسح المسيحيون أكثر البقاع الإسلامية فاحتل فرديناد الثالث ملك قشتالة وجايم الأول ملك أرجوان مدن بلنسية وقرطبة ومرسية ٦٣٦ هـ ومدينة اشبيلية ٦٤٦ هـ وأصبح ملك المسلمين محصوراً في مدينة غرناطة "[3].

وهكذا أصبحت الأندلس تموج بالفتن وتتنازعها الأهواء من كل صوب وجانب، وفي تلك الأثناء ظهر بنو الأحمر وهم آخر ملوك العرب في الأندلس ومن أياديهم استولى النصارى على جميع ما بقى للمسلمين فيها من بلاد. " وأصل بني الأحمر كما يذكر المقري من " أرجونة " حصن من حصون قرطبة، ولهم فيها سلف من أبناء الجند، يعرفون ببني نصر وينتسبون إلى

[1] - ابن الخطيب، أعمال الأعلام، نشره ليفي بروفنسال تحت عنوان " تاريخ اسبانيا الاسلامية " في بيروت ١٩٥٦، جـ٢، ص ١٠٦، وانظر وفيات الأعيان لإبن خلكان، جـ٥، ص ٥٣.

[2] - أبو علي حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك ابن القطان، نظم الجمان ، تحقيق محم علي مكي. جـ٦، ص ١٢٦، وانظر العبر في خبر من غبر للذهبي، تحقيق صلاح الدين المنجد جـ ٤ ص ٥٧.

[3] - ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ط١ ، بولاق ، ١٨٧ م ، جـ ٤ ، ص ١٦٨ .

سعد بن عبادة سيد الخزرج " [1]. وقد نجح محمد بن يوسف بن نصر ملك أرجونة ٦٣٥ هـ في أن يضم إلى مملكته خمس مدن هي: بسطة ووادي آتش، وشريش، ومالقة وجيان ٦٣٦ هـ استولى على مدينة غرناطة، وجعلها حاضرة لدولته، " وهكذا أقام بنو الأحمر مملكة غرناطة، بين مظاهر الاضطراب والمطامع التي كانت تجتاح ما بقي من ملك المسلمين في شبه جزيرة الأندلس، ومع ذلك قدر لها أن تدوم نحو قرنين ونصف القرن من الزمان "[2].

ويعد عصر بني الأحمر من أسوأ العصور الإسلامية في الأندلس وخاصة من الناحية السياسية، إذ كثرت في ذلك العصر الثورات والفتن والانقلابات و الصراع بين أبناء الدين الواحد وأبناء القومية الواحدة، ومع ذلك نجد من ملوك المغرب من قام بنجدة ومساعدة المسلمين في الأندلس، ومنهم من قعد عن هذه النجدة، وكذلك ظهر في هذا العصر سلاطين أقوياء من بني الأحمر وقفوا في وجه العدو وقهروه وآخرون ضعفاء تخاذلوا أمامه ودخلوا في طاعته وتنازلوا له عن بعض أملاكهم.

[1] - أحمد بن حامد المقرى ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، بدون ط ، القاهرة ،١٩٤٩م حـ١ ، ٤٢١

[2] - نفس المصدر ، ٤٢٥ وما بعدها ، وانظر الأدب العربي في الأندلس لعبد العزيز عتيق ، ، ص١٢٠ ، وانظر أدباء العرب لبطرس البستاني ، ، ص٣١-٣٢ ، والتاريخ الأندلسي لعبد الرحمن الحجي ، ، ص٥١١ وما بعدها .

المبحث الرابع
الحياة الاجتماعية في الأندلس
في ظل الحكم الإسلامي

بعد أن تم فتح الأندلس واستقرت الأمور فيها بدأت الوفود من مختلف أصقاع العالم تتوافد إلى تلك البلاد الجميلة، وقد شهدت الأندلس في العصر الإسلامي تنوعاً في العناصر التي ضمتها أسبانيا الأندلسية من الجنس والعقيدة والثقافة، فكان من ضمن عناصر المجتمع الأندلسي العرب الفاتحون " البلديون " والعرب الوافدون " الداخلون " وجماعة الأسبان المسالمة أي الذين دخلوا في الإسلام والعجم الذميين أو المستعربين، وهم الذين بقوا على دينهم في ظل الحكم الإسلامي، ثم طائفة المولدين وهم نتاج التزاوج بين رجال العرب ونساء الأسبان، ثم البربر الذين دخلوا مع طارق بن زياد أو الذين هاجروا من بلاد المغرب[١] ، ثم طائفة اليهود وفيما يلي لمحة موجزة عن هذه العناصر :

المطلب الأول
البربـــــــــر

اختلف المؤرخون في أصل نسب هؤلاء الأقوام، فذكر ابن حزم الأندلسي أقوالاً مختلفة في نسبهم فيقول: " قال قوم أنهم من بقايا ولد حام بن نوح عليه السلام، وادعت طوائف منهم أنهم من اليمن ينتسبون إلى حمير، وبعضهم إلى بر بن قيس عيلان [٢]. وقد أشار العمرى إلى هذا الاختلاف بقوله: " وأما البربر فقد اختلف فيهم اختلافاً كثيراً فقيل أنهم من ولد قيس عيلان وصنهاجة من البربر يزعمون أنهم من ولد افريقش بن صيفي الحميري [٣].

[١] – انظر المقرى ، نفح الطيب ، مصدر سابق ، جـ١ ، ص ٢٤٣

[٢] – ابن حزم الأندلسي ، جمهرة أنساب العرب ، ط٢ ، مصر ، دار المعارف ،ص ٤٦١.

[٣] – شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري ، وصف أفريقيا والمغرب والأندلس أواسط القرن الثامن للهجرة ، تونس ، نشر حسن حسني ، جـ١٤ ، ص٢٢٣

وقد رجح ابن زيدان أنهم من ولد كنعان، وأنه لما قتل ملكهم جالوت الفلسطيني وتفرقت بنو كنعان قصدت منهم طائفة بلاد المغرب وسكنوا تلك البلاد وهم البربر "[1]. وقد تعرض ابن خلدون إلى هذا الموضوع بالتفصيل في كتابه العبر وأشار إلى زعم بعض المؤرخين في إرجاع نسب العرب قائلاً: " نسابة – الذين يعملون في علم الأنساب – البربر يزعمون في بعض شعوبهم أنهم من العرب مثل لواته يزعمون أنهم من حمير، ومثل هوارة يزعمون أنهم من كنده من السكاسك، ومثل زناته تزعم نسابوهم أنهم من العمالقة فروا أمام بني إسرائيل، وربما يزعمون في هؤلاء كلهم نسباتهم أنهم من حمير"[2] .

المطلب الثاني

العـــــــــــرب

العرب هم العنصر الثاني من سكان المغرب الأقصى الذي شارك البربر في الإقامة بالمنطقة، ولم تكن صلة المغرب الأقصى بالعرب كموطن لهم قاصراً على القرنين الخامس والسادس من الهجرة، بل إن ذلك كان منذ أمد بعيد أي منذ أن وصل موسى بن نصير أرض المغرب الأقصى غازياً في أواخر ٨٦ هـ وأخضع المنطقة للسلطة المركزية في دمشق، وفي سبيل نشر الإسلام فإن موسى بن نصير ترك مجموعة من العرب تعلم سكان البلاد قواعد الدين الإسلامي وتنشر تعاليمه بينهم" [3] .

وبإقامة العرب هناك بدأ مجتمع المغرب الأقصى يختلط بعناصر جديدة من العرب التي أقامت في تلك البلاد، وصار المغرب الأقصى موطناً لكل من يحب الإقامة في ربوعه من العرب، ولما قامت دولة الأدارسة ١٧٢ هـ /٧٨٨ م شجع أئمتها العرب على الإقامة بالمنطقة، واتخذوا منهم الوزراء والكتاب فضلاً عن إنشاء عاصمتهم فاس لتضم المهاجرين العرب الذي قدموا على المنطقة. ولقد دخل العرب الأندلس على موجات متتابعة، بالإضافة إلى من هاجر إليها من أهل الشام وغيرهم من العرب على أثر انتصار طارق بن زياد على القوط في موقعة

[1] – عبد الرحمن ابن زيدان ، أتحاف أعلام الناس بجمال حاضره مكناس ، ط ١ الرباط /١٩٢٩ / جـ١ ، ٦٢

[2] – انظر ابن خلدون ، العبر ، ، ، جـ ٦ ، ص ٩٧

[3] – ابن خلدون ، كتاب العبر ، مصدر سابق ، جـ ، ص١١٠ .

وادي لكة، وبعد أن استقرت أقدام المسلمين في الأندلس وتم فتحها على يدي موسى بن نصير وولده عبد العزيز [1]. وكان أول طلائع الداخلين إلى الأندلس موسى بن نصير وكان ذلك في رجب ٩٣ هـ، وكانت تتألف من ثمانية عشر ألفا من وجوه العرب والموالي وعرفاء البربر [2]، وأغلبهم من قريش ووجوه الناس .

ولقد كان لمجيء العرب إلى الأندلس واقاماتهم فيها واختلاطهم بالسكان تأثير كبير في الحياة الأندلسية وفي شتى المجالات الإدارية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية، فعلى الصعيد الإداري استعان بهم الخليفة عبد المؤمن في التأثير على غيرهم من الموجودين في اختيار ابنه محمد ولياً للعهد، وقد سبق ذلك محاولات الخليفة عقد وصل مودة بين ابنه محمد المرشح لولاية العهد وبين زعماء القبائل العربية، حين قام بإرسال الخطابات إليهم يخبرهم فيها، أن من أسر من أبنائهم ونسائهم تحت الرعاية والصون، وعندما تثبت زعماء العرب من ذلك شعروا بالمودة والتقدير لابن الخليفة [3].

وأما دورهم من الناحية العسكرية فقد اشتركوا في جند المرابطين برغبة الجهاد في الأندلس، فلما قامت دولة الموحدين صاروا يشكلون عنصراً هاماً من عناصر الجيش الموحدي، وذلك نتيجة حرص الخليفة عبد المؤمن ومن جاء بعده ضمهم للجيش. وأما على الصعيد الاقتصادي فيقول بعض المؤرخين ان دورهم كان مدمراً للحياة الاقتصادية، فقد أحدثت القبائل العربية في أفريقية أحداثاً دمرت الناحية الاقتصادية نتيجة تخريب المدن وحرق المزارع في هجمات متلاحقة أتلفت التقدم العمراني الذي كانت تنعم به افريقية، فيقول ابن خلدون: واضطرب أمر افريقية وخرب عمرانها وفسدت سابلتها [4]. ومن عناصر المجتمع الأندلسي كذلك الموالي والمسالمة والمولودون وأهل الذمة.

---

[1] – أحمد بن محمد المقرى ، نفح الطيب ، مصدر سابق ، ص٢٧١

[2] – عبد الرحمن عبد الحكم ، فتوح افريقيه والأندلس ، الجزائر ، ١٩٤٧ ، ص٩٦.

[3] – ابن الأثير (علي بن احمد بن ابي الكرم، ، الكامل في التاريخ ، القاهرة طبعة بولاق ، ١٨٧٣م ، جـ ٩ ص٤١.

[4] – مبارك محمد الميلي ، تاريخ الجزائر القديم والحديث ، الجزائر المطبعة الجزائرية ، ١٣٥٠هـ ، جـ٢ ، ص١٢٠ وانظر ابن خلدون ، العبرة مصدر سابق ، جـ٦ ، ص ١٦ .

المطلب الثالث
الحياة الاقتصادية والثقافية
في المجتمع الأندلسي

أولا : الحياة الاقتصادية

شهدت الأندلس أبان الحكم الإسلامي فترة من الازدهار الاقتصادي، حيث حرص الأمراء والخلفاء آنذاك على النهوض بالمنطقة في شتى المجالات زراعية كانت أم صناعية أو تجارية، وعم الرخاء السكان وارتفع الدخل المالي للبلاد نتيجة لتلك المساحات الزراعية الكبيرة التي كانت تجبى فيها الأموال. فعلى الصعيد الزراعي كانت زراعة الأندلس تقريباً زراعة بقلية، وكان ذلك كل ما يمكن عمله في الهضبة الوسطى، وأما في الجنوب، حيث توجد اليوم مقاطعة " اندلثيا " فقد كان الري ممكناً، وهذا الأمر لم يكن من ابتكار العرب بل يبدو أنهم طوروه وأدخلوا عليه تقنيات مطورة أتتهم من المشرق.

وإذا ما بحثنا في أحوال القرن السادس نجد أن الحياة البلدية قد تختلف كثيراً في ظل القوط، وظهرت طبقة من أصحاب الاقطاعات الواسعة الذين استأثروا بالقسط الأوفر من السلطة والنفوذ في البلاد، ودام الأمر هكذا إلى حين قدوم العرب الذين جاؤوا ومعهم خبرتهم الواسعة التي عرفوها في المشرق في مجال الإدارة البلدية، فقدموا خبرتهم إلى المجتمع الأندلسي الذي أدى إلى قلب جزئي للحياة البلدية السائدة آنذاك فبعثت تلك الخبرة الحياة بشكل تدريجي إلى هذا القطاع الإداري.

وبالرغم من قلة خبرة العرب في مجال العمل المؤسسي الديمقراطي، إلا أنه كان لديهم شعوراً أصيلاً بالمواطنة فقد كان النظام مفروضاً بشكل تام، وكان ثمة موظفون يراقبون الأسواق ويمنعون الغش، كما نشأت نقابات للحرفيين وكانت منظمة بشكل دقيق، وكان هناك خانات توفر الإقامة المناسبة للتجار المتنقلين وبضائعهم " وهكذا وجد أساس راسخ أو أسباب اقتصادية لنمو المدن ولم يكن المسلمون بحال من الأحوال غافلين عما توفره المدن من فرص لرعاية الأدب والموسيقى وغيرها من النشاطات الفنية والفكرية " [١].

[١] – مونتغمري وات، في تاريخ أسبانيا الإسلامية، ترجمة محمد رضا المعري، ط١، القاهرة، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ١٩٩٤، ص٦٢

وأما من حيث النشاط التجاري فقد كان متقدماً نوعاً ما ذلك لما يتمتع به التجار المسلمون من خلق رفيع في مجال التعامل مع الآخرين، وقد كان النشاط التجاري هو المصدر الأساسي لازدهار الأندلس. " إذ لم يكتف التجار باستخدام طرق شبه جزيرة ايبيريا البرية ودخول فرنسا ــ التي كانت تمر عبرها تجارة الرقيق ضخمة ــ إذ يكاد من المؤكد أنهم نموا إلى حد كبير العلاقات التي كانت للقوط بشمال إفريقيا، غير أن الأهمية الدقيقة لعلاقات الأندلس بشمال أفريقيا لم تزل غير واضحة تماماً وتستحق مزيداً من الدرس، " ولقد تسبب خطر الغزاة البحريين الأردمانيين ببناء أسطول بحري، فازدهرت نتيجة لذلك تجارة بحرية ربطت الأندلس مباشرة بتونس ومصر وشاركت فيها أيضاً سفن من هذين القطرين " [1].

وأما على الصعيد الصناعي فقد كانت الصناعة المحلية تلبي حاجات السكان المحليين بصورة رئيسة، إلا أن ازدياد السكان ونمو التجارة أديا أيضاً إلى نشوء سوق للأدوات الكمالية في الأندلس والخارج، ولقد استخدمت المهارات والأساليب الموروثة ونميت مهارات وأساليب جديدة، واشتهرت الأندلس بأقمشتها الجميلة والفراء والأدوات الخزفية.

ثانيا : الحيـــاة الثقافيـــــــة

السمة المميزة للعصر الأول من تاريخ المسلمين في الأندلس أنه لم يكن عصر علم، وإنما كان عصر فتح وغزو، وصراع سياسي بين العصبيات القبلية من أجل الحكم،" وهذا الوضع ألقى بظلاله على الحياة الفكرية والثقافية فلم يتح هذا الوضع للعلم ما تتطلبه طبيعته من الهدوء المشجع على الاشتغال به، وعندما استقرت أحوال الأندلس نسبياً بقيادة إمارة قرطبة، بدأ المسلمون يفكرون في العلم ويعنون به" [2].

ولقد انصبت اهتمامات أمراء قرطبة وخلفائها على علوم الأوائل المتمثلة في المنطق والفلك والتنجيم، والفلسفة والعلوم العربية المتمثلة في علوم القرآن والفقه، وعلم اللغة والنحو والأدب. وكان نصيب الاهتمام بعلوم الأوائل لا يذكر بالمقارنة مع العلوم العربية على الرغم من التشجيع الذي أولاه لها عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦ –٢٣٨ هـ) والحصار الذي رفعه عنها عبد

[1] - مونتغمري وات، في تاريخ أسبانيا الإسلامية، ترجمة محمد رضا المعري، ط١، القاهرة، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ١٩٩٤، ص٦٢.
[2] - نفس المرجع ، ص٦٣ .

الرحمن الثالث (٣٠٠-٣٥٠ هـ). والدور الكبير الذي لعبه الحكم المستنصر(٣٥٠-٣٦٦ هـ) أيام والده وفي فترة حكمه في نشرها ويبرر الدكتور / محمد سعيد محمد ذلك إلى عدم رضا الفقهاء عن هذه العلوم، واستطاع هؤلاء أن يؤثروا في ولاة الأمر الذين أذعنوا لرأيهم، فعلى صعيد الفلسفة الباطنية نجد أنها ظهرت على يد محمد بن مسرة الجيلي القرطبي المكني بأبي عبدالله والمولود في قرطبة.

ولاقت الفلسفة وعلم الفلك والتنجيم محاربة من المنصور بن أبي عامر كذلك، فأحرق كتبهم وأتلفها، بل اضطهد العلماء الذين يشك في أنهم يشتغلون بها فمنهم من لحقته محنة شديدة، وفي صدارتهم أبو عثمان بن فتحون بن مكرم المعروف بالحمار السرقسطي الذي كان متحققاً بعلم الهندسة والمنطق والموسيقى متصرفاً في سائر علوم الفلسفة، وله رسالة حسنة في المدخل إلى علومها سماها: " شجرة الحكمة " ،"وقد دخل السجن أيام المنصور بن أبي عامر ، وبعد خروجه غادر الأندلس إلى صقلية ، أما محمد بن أبي جمعة فقد قطع المنصور لسانه ثم قتله وصلبه فخرست ألسنتهم جميعاً لذلك"[١] .

وأما بالنسبة إلى موقف الشعراء من أولئك الذين اشتغلوا بعلوم الأوائل فلم يتقبلوا ذلك، وحاربوا بشعرهم هذا الاتجاه لأن السلطة لم تتبناه، وهؤلاء يتكسبون بشعرهم فمن الطبيعي ألا يقبلوا أن يسيروا في هذا الطريق، ومن هؤلاء الشعراء الذين رفضوا هذا الاتجاه الفكري منذ بداية القرن الرابع: أحمد بن محمد بن عبد ربه، وسعيد بن العاص المرادى وغيرهم .

وأما بالنسبة إلى العلوم العربية فقد لاقت رواجاً كبيراً في قرطبة كعلوم القرآن والفقه واللغة والأدب، وكان ذلك بفضل رحلة عدد من القرطبيين إلى المشرق، وتتلمذهم على كبار العلماء في العلوم العربية، وقدوم عدد من العلماء المشارقة إلى الأندلس، فنشطت بذلك الحركة العلمية عن طريق المجالس الكثيرة التي كانت تعقد لتدريس هذه العلوم. ففي مجال الفقه غدا المذهب المالكي أكثر المذاهب انتشاراً لأنه المذهب الرسمي للدولة الأموية، وذلك أيام الأمير الحكم بن هشام، وسبب رواجه جهود بعض الأندلسيين الذين هاجروا إلى المشرق والتقوا بمالك

[١] – انظر أبو العباس أحمد المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ط ٣ ، ليبيا ، الدار العربية للكتاب ، تحقيق ج ، س كولان ، ١٩٨٣،جـ٢ ،ص ٢٩٢ – ٢٩٣ وانظر صاعد بن أحمد الأندلسي، طبقات الأمم ، بيروت،دار الطليعة تحقيق حياة علوان ، ١٩٨٥ ، ص ١٦٨.

وسمعوا منه وعندما رجعوا إلى بلادهم، وصفوا فضله وسعة علمه وجلال قدره [1]. وظهر إلـــى جانب المذهب المالكي تيار فكري آخر هو المذهب الظاهري الذي قاده ابن حزم في قرطبـــة و اعتنقه عدد من القرطبيين و ازدهرت كذلك علوم اللغة و النحو. وازداد نشاط الحركة اللغويـــة بقدوم أبي علي القالي إلى قرطبة سنة ٣٣٠هـــ أيام الخليفة عبدالرحمن الثالـــث ووجـــد القـــالي حركة لغوية ونحوية في قرطبة إذ لم تكن خالية من هذا النشاط فحرك القالي نشاط هذين العلمين بسبب تكوينه اللغوي و النحوي على أكبر علماء العربية في المشرق أمثال الاخفـــش الصـــغير المتوفى سنه ٣١٥ هـــ، و ابن السراج المتوفى ٣١٦هـــ و ابن الابناري المتوفى ٣٢٨هـــــ و غيرهم من علماء النحو واللغة.

[1] – انظر أحمد بن محمد المقري ، نفح الطيب ، مصدر سابق ، جـــ٣ ، ص٢٣

الفصل الثاني

اتجاهات الشعر الأندلسي وأغراضه

المبحث الأول

اتجاهات الشعر الأندلسي

مما يلفت النظر شيوع الشعر في المجتمع الأندلسي، إذ لم يكن الشعر وقفًا على الشعراء المحترفين، وإنما شاركهم في ذلك الأمراء والوزراء والكتاب والفقهاء والفلاسفة والأطباء وأهل النحو واللغة وغيرهم، فالمجتمع الأندلسي بسبب تكوينه الثقافي القائم على علوم العربية وآدابها، ثم طبيعة الأندلس التي تستثير العواطف وتحرك الخيال، كل ذلك جعل المجتمع يتنفس الشعر طبعاً وكأنما تحول معظم أهله إلى شعراء. ولقد اتجه الشعر في الأندلس إلى ثلاثة اتجاهات:الاتجاه المحافظ والاتجاه المحدث والاتجاه المحافظ الجديد وفيما يلي عرض موجز لتلك الاتجاهات .

المطلب الأول

الاتجاه

المحافظ والمحدث

أولا: الاتجاه المحافظ

يهتم هذا الاتجاه بالموضوعات التقليدية ويتبع منهج القدماء في بناء القصيدة من حيث الأسلوب البدوي، حيث تحوي ألفاظه جزالة وعبارات لا تخلو من خشونة، أما بحوره فطويلة وقوافيه غنائية، ويحتذي هذا الاتجاه نماذج المشرق.

أما الغزل فكان يعبر عن الحب الصادق، فلا مجال إلا لفارس عاشق أو عاشق فارس يُذكر بعنترة بن شداد،" ولعل أهل الأندلس كانوا يتمثلون عالم الآباء والأجداد، حيث الصحراء والكثبان والواحات وهم في عالم يبعد عن ذلك العالم، وكأنهم يستلهمون العالم المثالي "[1]. وبالرغم من ذلك كان لهذا الاتجاه سماته الخاصة في الشعر الأندلسي، وقد جعلت

[1] - نافع محمود، اتجاهات الشعر الأندلسي الى نهاية القرن الثالث الهجري، ص١٩٤، بتصرف .

تلك السمات لهذا الشعر ذاتية مستقلة وطبعت الملامح الأولى للشعر الأندلسي وميزته عن الشعر المشرقي، ومن أشهر شعراء هذا الاتجاه عبد الرحمن الداخل وأبو المخشي والحكم بن هشام وعباس بن ناصح وغيرهم من شعراء الفترة الباكرة.

ثانيا : الاتجاه المحدث

وهو الاتجاه الذي حمل لواءه بالمشرق مسلم بن الوليد وأبو العتاهية وغيرهما، من دعاة التجديد، الذين ثاروا على الاتجاه المحافظ وطرقوا موضوعات جديدة بأسلوب متنوع، خالفوا فيه طريقة القدماء في بناء القصيدة،" وعرفت الأندلس هذا الاتجاه على يد عباس بن ناصح، حيث نقله من المشرق، وتمثل الاتجاه المحدث في الأندلس باهتمامه بأغراض لم تكن قائمة بذاتها في القصيدة من قبل، فظهرت القصائد بأسلوب قصصي لا يخلو من روح الدعابة والسخرية"[1] ، أما صوره فتتألّف من عناصر حضرية في لغة يسيرة الألفاظ وإيقاع يميل إلى البحور القصيرة والقوافي الرقيقة، ويعد الشاعر يحيى بن حكم الغزال من أشهر رواد هذا الاتجاه.

المطلب الثاني

الاتجـــــاه

المحافــظ الجديــــد

ظهر هذا الاتجاه في المشرق بسبب تطرف الاتجاه المحدث ومن ثم هو محاولة لإعادة الشعر العربي إلى طبيعته وموروثه دون جمود أو بداوة، وقد عمد هذا الاتجاه إلى الإفادة من رقي العقل العربي بما بَلَغَتْه الثقافة العربية الإسلامية من نهضة واسعة في مجتمع توفرت له أسباب الحضارة.

وكان هذا الاتجاه محافظًا في منهج بناء القصيدة ولغتها وموسيقاها وقيمها وأخلاقها وروحها، ولكنه مجدد في المضمون وفي معاني الشعر وصوره وأسلوبه. ويمثل أبو تمام والبحتري والمتنبي دعائم هذا الاتجاه في المشرق، وقد عرفت الأندلس هذا الاتجاه على يد

[1] - نافع محمود، اتجاهات الشعر الأندلسي الى نهاية القرن الثالث الهجري، ص١٩٦ وم بعدها، بتصرف .

نفر من الأندلسيين رحلوا للمشرق وعادوا للأندلس بأشعار البحتري وأبي تمام، وكانت فترة الخلافة في ذروة نضجها، إذ كان المجتمع الأندلسي في هذه الفترة قد تجاوز الانبهار بالمستحدثات الحضارية التي بهرت شعراء القرن الثاني وأصبح أكثر استقراراً وتعقلاً. ومن أعلام هذا الاتجاه ابن عبد ربه وابن هانئ والرمادي وغيرهم. وقد عالج شعراء الأندلس مختلف أغراض الشعر وإن تميزت بعض الأغراض باهتمام أكبر من غيرها، ويمثل الشعر أحد جوانب الحضارة العربية الأندلسية، فقد عبر عن قوالب تلك الحضارة وعن مضمونها وطبيعة الصراعات السياسية والتغيّرات الاجتماعية في الأندلس.

ويعد الغزل من أهم الأغراض التي عالجها الشعر الأندلسي، وأوضح سماته تلك الرقة في العواطف المعبّر عنها في رقة البيان، وكان للحياة الأندلسية دور إيجابي في طبيعة شعر الغزل، فهو غزل حسّي يقف عند حدود الوصف المادي مستعيراً أوصاف المحبوب من البيئة حوله، وبالرغم من ذلك فهناك من اتخذوا الغزل العفيف مذهباً لهم مثل ابن فرج الجياني الذي يقول:

وطائعة الوصال عففت عنها	**وما الشيطان فيها بالمطاع**
بدت في الليل سافرة فباتت	**دياجي الليل سافرة القناع**
وما من لحظه إلا وفيها	**إلى فتن القلوب بها دواع**
فملكت النهى جمحات شوقي	**لأجري في العفاف على طباعي**[1]

وأجمل ما في الغزل الأندلسي بجانب لطف التعبير، أن الصادق منه شديد التأثير، خاصة حين يبكي الشاعر ويحن في إيقاع غير متكلف، ويمثل ابن زيدون قمة هذا الاتجاه خاصة في قصائده إلى ولادة بنت المستكفي. ومن أشهر شعراء الغزل في الأندلس ابن زيدون وابن سهل وابن شهيد، وإن كان كل الشعراء قد أدلوا بدلوهم في شعر الغزل.

" أما شعر المدح فكان موجهاً إلى الأمراء والخلفاء والحكام، وكان يتناول جانبين من حياتهم، أولهما الصفات التي يخلعها الشاعر على ممدوحه من شجاعة ووفاء وكرم، وثانيهما انتصارات الممدوح التي هي نصر وعزّ للإسلام والمسلمين ثم وصف لمعاركهم الحربية"[2].

---

[1] – جذوة المقتبس، ،ص٩٧ .

[2] ـ انظر اتجاهات الشعر الأندلسي ، ص١٦٤ .

ويتراوح أسلوب المدح بين الجزالة والسهولة، والفخامة والرقة، وفقاً لطبيعة المعاني المعبّر عنها، ولكنه بوجه عام يميل إلى التأنق في العبارة والصياغة، وقد تختلف طريقة بناء قصائد المدح بين شاعر وآخر، فبعضها كان ينهج نهج الأقدمين، فيبدأ بمقدمة طللية ونسيب ووصف للرحلة ثم يتخلص إلى المدح، بينما نجد منهم من يعمد إلى موضوعه مباشرة دون مقدمات.

ويقدم صنف ثالث بين يدي ممدوحه شيئاً من الغزل أو وصف الطبيعة أو الشكوى والعتاب، وعقب ذلك ينتقل إلى المدح. ومن أشهر شعراء الأندلس في هذا الغرض ابن حمديس وابن هانئ وابن زيدون وابن دراج القسطلي ، ولا نجد من الشعراء المحترفين شاعراً لم يعالج هذا الغرض. أما شعر الرثاء في الأندلس في معناه التقليدي فلم يكن من الأغراض الرائجة وظل يحذو حذو نماذج الشعر المشرقي حين يستهلّ قصيدته بذكر الفواجع ووصف المصيبة التي حلت بموت الفقيد وعادة تستهل القصيدة بالحِكَم وتختتم بالعظات والعبر.

أما رثاء المدن والممالك، فهو الغرض الأندلسي الذي نبعت سماته وأفكاره من طبيعة الاضطراب السياسي في الأندلس. " كما طوع شعراء الأندلس الفلسفة للشعر والشعر للفلسفة، فصوروا الخواطر النفسية والتأملات الفكرية مما يُعد مجال إبداع في هذا اللون من الشعر" [١]. أما شعر الزهد والتقشف والمدائح النبوية، فقد تفوقوا فيه على شعراء المشرق من حيث غزارة الإنتاج وتوليد المعاني ورسم الصور المؤثرة القوية، ويلفت النظر أن عدداً من شعراء الأندلس أدركتهم التوبة بعد طول حياة لاهية فوجهوا طاقتهم الشعرية في آخر أيامهم إلى طلب مغفرة الله ومرضاته وإلى ذم حياة اللهو والمجون والدعوة إلى الزهد والتقشف، ومن أشهرهم في هذا المقام ابن عبد ربه وابن حمديس والغزال.

" وكان لطبيعة الأندلس الأثر الحاسم في جعل شعر الطبيعة من أميز أغراض الشعر الأندلسي، وتمثل طبيعة الأندلس الرائعة الملهم الأول لشعرائها " [٢]، ويعد معظم شعراء الأندلس من شعراء الطبيعة، فكل منهم أدلى بدلوه في هذا المجال إما متغنياً بجمال طبيعة الأندلس أو واصفاً لمجالس الأنس والطرب، أو واصفاً القصور والحدائق التي شُيدت بين أحضان الطبيعة،

[١] - د. نافع محمود ، اتجاهات الشعر الأندلسي ، ص١٣٠ وما بعدها ، بتصرف .
[٢] - نفس المرجع .

ولذلك كان كل شعراء الأندلس ممن وصفوا الطبيعة. ويُعدُّ الشاعر ابن خفاجة الأندلسي المقـدَّم بين هؤلاء الشعراء إذ وقف نفسه وشعره على التغني بالطبيعة لا يتجاوزها وجعـل أغـراض شعره الأخرى تدور حولها. وهناك من الكتاب من يقسم اتجاهات الشعر الأندلسي على نحو غير هذا فيرى أن اتجاهات الشعر الأندلسي تنحصر في الاتجاهات الآتية:

١- الاتجاه الاجتماعي " العلائقي ".
٢- الإعلامي .
٣- الاتجاه الذاتي. وفيما يلي لمحة موجزة عن ذلك:

المطلب الثالث
الاتجاهات الحديثـــة
في الشعر الأندلسي

١- الاتـــجـــاه الاجتماعي (العلائقي)

ينطق الشاعر في الاتجاه الإعلامي بلسان الجماعة، وأما في الاتجاه العلائقي فان الشاعر يبرز ويبين موقف الخاص وعلاقته بالآخرين،" لذلك جاء الاتجاه العلائقي في الشعر الأندلسـي نتيجة طبيعية لتأثر الشعراء بالعلاقات الإنسانية المختلفة في المجتمع "[١]. فتقوم فلسفة هذا الاتجاه على كشف العلاقات الاجتماعية المختلفة وذلك من خلال فنون الشعر المختلفة كالمـديح الـذي يعتمد على المنفعة والهجاء وستشير الباحثة الى هذين الغرضين في المبحث الثاني من الفصـل الثاني وفيما يلي بيان لغرضي الرثاء والمراسلات في هذا الاتجاه.

١- الرثاء

الرثاء فن قديم قدم الشعر العربي عرفه شعراء الجاهلية والإسلام على مر العصور، إلا أن شعراء الأندلس توسعوا في هذا الفن،" وبالرغم من أن رثاء شعراء الأندلس لا يختلـف فـي معانية وأساليبه عن رثاء المشارقة إلا انه يتميز عنهم بالإكثار من التفجع والتهويل والأحـزان"[٢]،

---

[١] - نافع محمود، اتجاهات الشعر الأندلسي الى نهاية القرن الثالث الهجري، ص١٦٤ وما بعدها، بتصرف .
[٢] - نفس المرجع ، ص١٧٥ .

وقد يكون السبب في ذلك واقعهم وظروفهم الاجتماعية، وشعورهم بالغربة والوحدة في الجزيـرة الأوربية النائية وتعمق هذا الشعور أكثر بعد سقوط كثير من مواقعهم بيد الأعداء. " ومن الأشعار التي تحمل في طياتها صور الحزن والحسرة ما قاله الشاعر عبد الله بن بكر الكلاعي عندما قـال يرثى الأمير عبد الرحمن بن الحكم إذ يصرح بان الموت قدر كل إنسان وهو لا يفرق بين ضعيف وقوي وبين بسيط وأمير وهذه صورة تتفق مع فلسفة الموت" [1] فيقول:

ألا إن في الدهر للمبصريـــن	**عجائب تبهر نظارهـــا**
تسور المنايا فما من عزيــز	**بدافع بالعز تسوارهـــا**
وكان بالأمس سراج العـــلا	**يسوس البلاد وأقطارهـا**
على حين احكم ريب الدهور	**وعرف الأمور وإنكارهـا**
فلله ما استودعت في النخيـل	**اكف الرجال ومن زارها** [2]

فهذه الأبيات جاءت لتبين مدى انتشار ظاهرة التقليد وذلك بإتباع أسلوب الشرح بلغة سهلة توضح مكانه المرثي الاجتماعية، وفي الوقت نفسه جاءت دعوة إلى التمسك بالأخلاق الحميـدة وفضائلها، ومن الأمثلة على ذلك ما قاله سعيد بن جودي وهو يرثي احد أصحابه مـن زعمـاء العرب ويكثر من التفجع والتحسر عليه ويكشف عن مكانة المرثي الاجتماعية فيقول:

أمستنصرا بالصبرِ قد دفِنَ الصـبرُ	**معَ الحسنِ المأمولِ إذ ضمّهُ القـبرُ**
فيا عجبا للقبرِ منه يضمـــهُ	**وقد كانَ سهلُ الأرضِ يخشاه والوعرُ**
وما ماتَ ذاكَ الماجدُ القرم وحـدَه	**بل الجودُ والإقدام والبأسُ والـصبرُ**
فشمسُ الضُحى ترجو لفقدانِ نورِهِ	**وبدرُ الدُجى يبكيهِ والأنجُمُ الزُهـرُ** [3]

ففي هذه الأبيات يظهر الأسلوب الاستفهامي إضافة إلى أسلوب التعجب، فالشاعر يتعجب من القبر كيف يضم من دانت له الأرض والوعر، وهذا يكشف عن العلاقة التي كانت تربط الشـاعر بصديقه فجاء حزنه تلقائيا ينبع من عاطفة شعورية صادقة. ومن جمال قول الشاعر أنه قـد بـدأ شعره بتساؤل وحيرة (أمستنصرا....؟) ثم يتدرج إلى ذكر هول المصاب فيذكر مـآثر المرثـي

[1] - انظر اجاهات الشعر الأندلسي للدكتور نافع محمود ، ص١٧٥ ، بتصرف .

[2] – انظر المقتبس، ص ٩٨ .

[3] – ابو عبدالله محمد بن الآبار،الحلة السيراء، ج١، ص١٥٦.

وفضائله ويصور الحزن وهول المصاب بأسلوب فني جميل حيث استعمل الأدوات البلاغية من نداء ومخاطبة وتشبيه واستعارة إلى جانب تكرار التجانس والتطابق لأحداث الإيقاع التنغيم الصوتي الحزين، والأبيات بعد ذلك تقليدية واضحة من حيث اختيار الألفاظ وائتلاف المعاني أو من حيث الابتداء أو العرض والانتهاء. " ولم تقتصر مراثي الأندلسيين على الأمراء والقادة إنما امتدت إلى الأقارب، ومثل هذه المراثى تترك المجال واسعاً لإظهار ذاتية الشاعر، ولعل من أبرز ما يميز هذا اللون من الرثاء هو صفاء العاطفة وصدقها وحرارة الانفعال وعمق التوجع " [1]،ومن الأمثلة على ذلك مرثية ابن عبد ربه التي قالها عندما خطفت يد المنون ابنه :

بليتَ عِظامُكَ والأسَى يتجـدّدُ	والصَّبرُ ينفَدُ والبُكا لا ينْفَدُ
يا غائبا لا يُرتَجى لإيابِـهِ	ولِقائِهِ حتّى القِيامَة موْعِـدُ
ما كانَ أحسنَ مَلحدا ضُمِّنْتَه	لو كان ضَمَّ أباكَ ذاكَ المَلحَـدُ [2]

والنص حزين وهو يستثير الدمع بل انه يؤثر في نفس القارئ فيجعله يعيش الفجيعة ويشارك الشاعر في أحزانه، والشاعر يبدأ مخاطبة المرثي والمخاطبة بحد ذاتها مناجاة تفصح عن مدى مرارة الفقد ووفاء الأب لابنه حتى بعد الموت.

ولعل جمال المطابقة بين (بلى العظام) و(تجدد الأسى)، تكشف عن مدى الحزن الذي اعترى الشاعر نتيجة فقده لابنه ثم نلتقي بهذا النداء (ياغائباً) الذي فقد صداه مع أن الشاعر يعلم بغيابه ثم انه في بيته الأخير كان رائعاً عندما عكس عمق حزنه بأسلوب استفهامي يلوح فيه التحسر والتوجع. وعلى هذا النحو سار الأندلسيون في الشعر الحزين مكثرين من الوداع والتحسر على موتاهم وتبقى تلك المعاني المؤلمة إنسانية عامة يشترك فيها الناس جميعا .

٢- المراسلات الشعرية :

شاع في الأندلس شعر المراسلات وهو نوع من الترف الأدبي أوحت به البيئة الأندلسية وكثر فيها كثرة بالغة، " وقد انتظمت المراسلات أغراضا متعددة منها الدعوة إلى مجالس الأنس والطرب وتشمل ما قالوه مع الإهداء والاستهداء وما صاغوه رسائل ضمنوها العتاب والهجاء وما شابه ذلك من المعاني" [3] .

---

[1] ـ انظر اتجاهات الشعر الأندلسي للدكتور نافع محمود ، ص١٧٩ ، بتصرف .
[2] – أبو منصور عبدالملك الثعالبي، يتيمة الدهر، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، ج٢،ص٧٦.
[3] ـ انظر اتجاهات الشعر الأندلسي للدكتور نافع محمود ، ص١٧٩ ، بتصرف .

وترجع أهمية هذه المراسلات إلى مالها من دلالة فنية يمتاز بها أسلوبها من الوضوح والرقة وبعدها عن الكلف والتزوير العاطفي. ومن الأمثلة على هذه المراسلات مراسلة كتبها الشاعر محمد بن أبى عبده إلى صديقه الشاعر احمد بن عبد ربه يستدعيه فيها ليأنس بالطرب فيقول :

أعدها في تصابيها جزاعا   فقد قضت خواتمها نزاعا
قلوب يستخف بها التصابي   إذا سكبت لها طارت شعاعا[1]

فأجابه احمد بن عبد ربه بقوله :

حقيقٌ أن يصاخ لكَ استماعا   وأن يُعصى العَذولُ وأن تطاعا
متى تكشف قناعَكَ للتصابي   فقد ناديتَ مَن كشف القِناعا
متى يمشِ الصَّديقُ إليَّ فِترا   مشيتُ إليهِ من كرمٍ ذِراعا
فجدِّد عهدَ لهوكَ حينَ يَبلى   ولا تذهب بشاشته ضياعا[2]

ويبدو أن المراسلات كانت أمرا شائعا في كل المناسبات لدرجة أن الشاعر إذا أعجب بشيء هم مسرعا وكتب لصديقه وفيما يلي أبيات جميله بعثها القاسم بن الأمير محمد إلى صديقه الشاعر محمد بن عبد العزيز العتبي، ويبدو من أبيات الأمير أنه كان يمشي في بستان رائق المنظر فقال:

إن اصطبحت مداما فوق مشرفة   شماء قد عليت من كل بنيان[3]

فأجابه العتبي بقوله:

في جنة بإزاء النجم سامية   أهدت لها طيبها جنات رضوان
وأوجه كنجوم الليل زاهرة   حفت ببدر دجى من آل مروان
أعلا قريش محلا في أرومتها   وجوده المرتجي من دونه دان

---

[1] – أحمد بن يحيى الضبي، بغية الملتمس في رجال أهل اللأندلس، القاهرة، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧،ص١٠٠ .
[2]– نفس المصدر ، ص١٠٠ .
[3] – نافع محمود، اتجاهات الشعر الأندلسي،ط١ ، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة،١٩٩٠ ص١٨١ .

غمر النوال له كفان قد حوتـا ... من المكارم ما لم تحو كفـــــان
اعز أشبه أباء له سلفـــــــــوا ... جودا بجود وإحسانا بإحســـــان
فاشرب على جدة الدنيا وزهرتها ... وجودة العيش ماكر الجديدان [1]

فالمراسلات الشعرية بمفهوم الشعراء الأندلسيين – كانت تمثل قيمة أدبية حضــارية، تــؤدي خدمة اجتماعية بجانب قدرتها على إقامة علاقات إنسانية، لأنها لغــة تفــاهم تتبــادل بواســطتها العواطف والانفعالات الشعورية.

ثانيا – الاتجاه الإعلامي:

يقصد بهذا الاتجاه التفاعل مع أحداث المجتمع تأثراً وتأثيراً بصدق وقوة، وقــد شــغلت الأحداث الاجتماعية أذهان الشعراء، فاتخذوا من شعرهم وسيلة فعالة لتصوير المجتمع وما يــدور فيه من أحداث اجتماعية تصويراً فنياً. وقد تفرع عن هذا الاتجاه مواقف شعرية متنوعة منها:

١- الشعر (الحربي)

ركز هذا النمط من الشعر الأندلسي على الاهتمام بكل ما يخص الوطن" فجاءت أفكاره ومعانيه تدعو إلى حماية الوطن وبث الروح المعنوية بين صفوف المقاتلين بالإضافة إلى محاولته حث المسلمين للتصدي لكل الهجمات التي كانت تشنها القوات الغازية للأراضي الأندلسية"[2].

ويبدو أن الشعر قد رافق جيوش المسلمين وواكبت قوافيه شعراءهم وكان الأمراء يدفعون الشعراء إلى قول الشعر الحماسي وبلغ الأمر بالمنذر بن محمد انه كان يستمع إلــى الشــعراء ينشدونه غازياً وراجعاً. وقد عاش الشعر في هذه الفترة مع الحياة الحربية وغدا ظلاً لها فاخبرنا عن تلك الجيوش التي تموج في الفيافي كاضطراب أمواج البحر الشاعر محمد بن عبد العزيــز العتبى حيث يرسم لنا تلك الصورة بقولة.

وكم جيش تجيش به الفيافي ... كموج البحر يضطرب اضطرابا
كأن الصور ضمت نفختـــــاه ... إليه كـل مـن سكـن الترابـــا [3]

---

[1] – انظر المقتبس، مصدر سابق، ص ٢٠١.
[2] ـ انظر اتجاهات الشعر الأندلسي للدكتور نافع محمود ص١٤٨ . بتصرف .
[3] – عبدالله محمد بن الكتاني، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ، تح إحسان عباس، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٦م، ص ٢١٣ .

والصورة هنا تقليدية لا تختلف عن الصور القديمة والملاحظ أن الشعر جاء بألفاظ لغـة الشـعر القديم (الفيافي، كموج البحر، اضطراب.....) وساعد مجيئها في (بحر الوافر) علـى التركيـز على الموسيقى التي تهز النفس فتقرع النفوس الخاملة، فتحضها على اليقظة والتبصر بمـا يـدور حولها. ومن الشعر الحربي ما قاله عباس بن فرناس الذي تحدث عن وقيعة وادي سليط وهي من أعنف المعارك التي خاضها المسلمون فأنشد يقول:

ومُختلِف الأصْوات مُؤتلف الزحـف ... لهُوم الفلا عَبْل القنابل مُلتـف
إذا أومضت فيه الصَّوارمُ خِلتَها ... بُروقًا تَراءَى في الجَهام وتَستَخْـفي
كأنّ ذُرى الأعلام في سَيلانـه ... قَراقيرُ يَمٍّ قد عَجَزن عن القَـذْف
وإن طحنت أركانُه كان قُطبُها ... حِجَى مَلك نَجدٍ شمائله عَـفّ
سَمِي خِتام الأنبياء مُحمَّـد ... إذا وُصف الأملاكُ جَل عن الوصـف
فمن أجْله يومَ الثلاثاء غُـدوة ... وقد نَقض الإصْباح عَقد عُرى السَّجف
دعاهم صريط الحَيْن فاجتمعوا له ... كما اجتمع الجُعلان للبَعْر في وقـف
فما كان إلا أنْ رماهم ببَعضها ... فولوا على أعْقابِ مهْزومة كَشـف
كأنّ مساعيرَ الموالي عليهُـم ... شواهينُ جادت للغَرانيقِ بالنَسْـف

بنفسي تنانيرُ الوغَى حينَ صُفّفت ... إلى الجَبَلِ المشْحون صفّا على صَـفّ
يقول ابنُ يليوسٍ لموسى وقد وَنـى ... أرى الموت قُدّامي وتَحْتي ومِن خَلْفـي
قتلناهُم ألفا وألفا ومثلها ... وألفـا وألفـا بعد ألـفٍ إلى ألـف
سِوى مَن طواه النهرُ في مُستلجّـه ... فأغْرق فيه أو تدأدأ من جُـرْف [1]

فمن خلال هذا النص يتضح لنا مدى اهتمام الشاعر بشئون قومه ووطنه وكل مـا يـدور حوله من أحداث، " فهو إلى جانب فزعه من هول المعركة وما صاحبها من صور مؤلمة مخيفـة أراد أن يبرز شجاعة قومه وقدرتهم على تحطيم المعاقل وتدمير المقاتلين "[2]. ومن الشعراء الذين وصفوا نفس المعركة الشاعر محمد بن عبد العزيز إذ وصف شجاعة العرب المسلمين وقـدرتهم في تحطيم المعاقل والحصون فيقول:

---

[1] – أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد، تح أحمد أمين ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة ، ١٩٤٠ م، ج ٤ ، ص ٤٩٥
[2] ـ انظر اتجاهات الشعر الأندلسي للدكتور نافع محمود ص١٤٨ . بتصرف .

سائل عن الثغر الصوارم تصـــــدق   واستنطق السمر العوالي تنطق
تركت وقائع في الثغور وقد غدت   مثلا بكـل مغـرب ومشـــــرق
جادت عليهم حربه بصـواعـــــق   تركتهم مثل الرمـــــاد الأزرق [1]

والملاحظ في هذه الأبيات أنها لم تتجاوز كونها نظماً في لغة قديمة فصـــيحة واضـــحة المعاني يلطفها نسق موسيقى معين وقد جاءت لتخبرنا بشجاعة العرب المسلمين وإقدامهم فـــي المعارك وتخاذل أعدائهم أمامهم وبدأ الشاعر أبياته بأسلوب الطلب ليؤكد شجاعة قومه وتمرسهم في القتال.

ومن خلال النظر في الاتجاه الإعلامي في الشعر الأندلسي نجد أن من ســـماته أنـــه يقـــدم بأسلوب واضح معين يقصد منه تعميق القيم التي تبعث بالقوم الروح الحماسية والقتالية كما تبعث بهم روح اليقظة. ومن سمات هذا الاتجاه كذلك، أن يطالب الشعراء بأن يكون شعرهم معبرا عن وجدان الجماعة بحيث تتحمل مسؤوليتها في الدفاع عن حرمـــة الأرض التـــي يعيشـــون فيهـــا وواصفا ما يدور في المواقع والمعارك ومن ذلك ما قاله ابن عبد ربه :

سيوفٌ يقيلُ الموتُ تحت ظباتِها   لها في الكُلى طعمٌ وبينَ الكُلى شُربُ
إذا اصْطفّتِ الرّاياتُ حمْرا مُتونها   ذوائبُها تهفو فيهْفو لهـــــــــا القلْبُ
ولم تنْطِقِ الأبطالُ إلا بفِعلهِـــــا   فألسُنُها عجمٌ وأفعالهـــــــــــا عرْبُ
إذا ما التقوا في مأزقٍ وتعانقـــوا   فلقيَاهمْ طعنٌ وتعنيقهـــــــــمْ ضرْبُ [2]

فهذه الأبيات تصف لنا معركة دارت رحاها بين العرب والأسبان، فالشاعر يصف المعركـــة وأدواتها ولقاء أبطالها، فجاء الوصف في صورة فنية بينت شدة وهول الحرب ومخاطرها لـــذلك عبر الشاعر في بيته الثاني عن مخاطر الحرب والخوف منها، وفي بيته الثالث بين مدى شجاعة العرب وجبن العجم وعبر ذلك في قوله فألسنها عجم وأفعالها عرب.

[1] – ابن عذارى المراكشي ، البيان المغرب في أخبار المغرب ، تصحيح وطبع رينجرت دوزي، ليدن، ج٢ ، ١٨٣٩ ،ص ١١٣ .
[2] – انظر العقد الفريد ، ج١ ، ص١٢٩ .

٢ – الشعر القبلي

يعبر الاتجاه الإعلامي عن كل ما يدور في الحياة الاجتماعية، ويعكس جوانبها المختلفة، فهو يؤثر فيها ويتأثر بها، والشاعر كغيره من أبناء المجتمع فهو مطالب بالالتزام بقيم وعادات قومه، لأنه مثقفهم ومعبر عن أزمة ضميرهم فهو ترجمان لأفكارهم وتقاليدهم وقيمهم يستوعبها هو أولا، ثم يمثلها في ذاته ويخرجها بصيغ فنية ذات معان وأفكار تهدف إلى تأصيل القيم المعنوية في الجماعة، وبث روح التكتل والحماسة والتعصب فيهم. فالشعر في بلاد الأندلس كان متنفساً للتعبير عن التعصب الذي أصاب القوم، فالقيسي يفتخر بقيسيته ويدعو إلى الانتقام من الكلبي والكلبي يناضل من أجل كلبيته ويدعو إلى الثأر من أعدائه ويبدو أن كل فريق قد أولع بالعبث والمغالطة والخيالات الفاسدة كما نلمحها في قول أبي الخطار حسام بن ضرار الكلبي:

أفأتمْ بني مروان قيسا دماءَنـا ... وفي اللهِ إن لم تنصفوا حكَمٌ عدلُ
كأنكمُ لم تشهدوا مرْجَ راهطٍ ... ولم تعلموا من كان ثمَّ له الفضلُ
وقيناكمُ حرَّ القنا بنحورِنا ... وليسَ لكم خيلٌ سِوانا ولا رَجلُ [١]

فهذا النص الشعري يبين مدى اعتزاز الشاعر بكلبيته، ومدى حقده على أعدائه من القيسيين، فهو في هذه الأبيات يدعو بني أمية لنصرة قومه ويطالبهم بالعدل في مواقفهم فيذكرهم بموقعه مرج راهط، التي كان لقومه الفضل الكبير في مساندة بني أمية ونصرتهم فيها.

ويستدل من هذه الأبيات أن العداء بين القيسية والكلبية (اليمنية) لم يكن أمرا جديدا بالأندلس وإنما هو عداء قديم انتقل إلى الأندلس مع العرب الذين رحلوا إليها. ولم يذكر التاريخ عن الصراع القبلي هذا إلا ما جاء في أبيات لأبي الخطار،وأبيات أخرى وجهها إلى جواس بن القعطل الكلبي يطمئنه إلى انه ثأر له وشفى النفس من المضريين (القيسيين) فيقول:

---

[١] – انظر كتاب في نقد الشعر، ، ص ١١٤ .

فليت ابنَ جوّاسٍ يُخبِّرُ أنــــــني سَعيتُ بهِ سعْيَ امرىءٍ غيرِ غافـــلِ
قتلت به تسعينَ تحسَبُ أنهــــم جذوع نخيلٍ صُرِعَت بالمسايـــــلِ
فلو كانت الموتى تباع اشتريته بكفيَ وما استثنيْت منها أناملِي [1]

فهذه الأبيات تبين أن الشاعر قد أخذ على عاتقه حماية قومه بل انه أوقف حياته لهــم، فهــو فارس بينهم يحميهم ويثأر لهم مما يدل على شجاعته وفروسيته، وقد استخدم ضمير الفاعل(التاء) في (سعيت، قتلت، اشتريت، استثنيت) للدلالة على قوته وشجاعته، ولعل المبالغة نلمحها واضحة اشد الوضوح في البيت الثالث من القصيدة. ومقابل ذلك نسمع قيسياً متعصباً هو الصميل بن حاتم في معرض رده على الطائيين بفخر وحماسة فيقول:

إلا إن مالي عند طيء وديعـــــة ولا بد يوم أن ترد الودائـــــع
سلوا يمنا عن فعل رمحي ومفصلي فان سكتوا اثنت علي الودائع [2]

فهذه الأبيات تدل على انتماء الشاعر إلى القبيلة من خلال توعده لأعدائه الطائيين الــذين استولوا على أرضه وارض قومه وفيها كذلك إشارة إلى شيء من شجاعته وقوته وهذا ما نراه واضحا في الصفات المادية التي حرص الشاعر على إثباتها في البيت الثاني بشكل فني يعتمــد الاستعارة وأسلوب الطلب ونسمع إلى صرخة متعصبة من قيسي آخر.

الا أبشر بالسلامة يا جــدار أتاك الغوث وانقطع الحصـــار
أتتك بنات اعوج ملجمات عليها الأكرمون وهـــم نزار [3]

فمن خلال النصوص المتقدمة نجد أن الشاعر الأندلسي كان يتحدث بلسان قبيلتـــة فهــو حاميها والمدافع عنها والذائد عنها وعن عزتها وكرامتها، والنصوص بعد ذلك يســودها نغمـــة واحدة هي التغني بالانتماء إلى القبيلة والمحافظة عليها والرد على خصومها.

[1] – ابن القوطية القرطبي، تاريخ افتتاح الأندلس، تح عبدالله الطباع، ط٢، بيروت، ١٩٥٧، ص ٥٤.
[2] – انظر تاريخ افتتاح الاندلس، ، ص ٥٤.
[3] – دكتور حسين مؤنس ، فجر الاندلس ، القاهرة ، ١٩٥٩م، ص ٢٣٨ .

٣- الشعر العنصري

لم يخل الشعر الأندلسي من الفخر بالأجناس، فقد تأصلت العصبية في النفوس مما نتج عن ذلك أن أكثر الشعراء من الشعر الذي يمجد العرب والمولدين، واتخذ صورة الهجاء السياسي بعد أن احتدم الصراع بين العرب والبربر فكان كل فريق يتفاخر بنفسه ونسبه[١]. ويقول الدكتور إحسان عباس في هذا السياق: " إن هذا الشعر كان يمثل صورة من النقائص المشرقية إذ انه عبر عن الصراع الأدبي بين العرب والمولدين إلى جانب الصراع السياسي[٢]،فكان الشاعر يفخر بقومه ويرد على شاعر أعدائهم ما وصمهم في شعره وربما كانت قصيدة الرد من نفس البحر والقافية كقول عبد الرحمن بن أحمد المعروف بالعبلي شاعر المولدين .

قد انقصفت قناتهم وذلوا	وضعضع ركن عزهم الأذل
فما طلت دماؤهم لديهم	وهاهم عندنا في البير طل[٣]

ويناقضه الشاعر سعيد بن جودي ويرد عليه بقصيدة مدح فيها زعيم العرب سوار بن حمدون وأشار إلى العرب ووقائعهم حيث قال:

لسوارٍ على الأعداء سَيفٌ	أبادَ ذوي العَدوَةِ فاضمَحلوا
سَقاهُم كأسَ حتفٍ بعدَ كأسٍ	بها نَهِلَ العَبيدُ مَعا وَعلُّوا
وَقد رُفِعَت لسوارٍ قناةٌ	بها خضَعَت رقابُهم وذلّوا
قناةُ المجدِ مركَزُها عزيزٌ	حماها مانِعٌ لا يُستَذلُّ
قتلت بواحدٍ سوّار ألفا	وألفهمُ بواحِدنا يَقِلُّ
فقد سُفِكَت دماؤهُم وطلّت	وليسَ لنا دمٌ يوما يُطَلُّ
وَرثنا المجدَ عن آباء صِدقٍ	وإرثكم بَني العبدانِ ذُلُّ
وأخضعنا رقابَكُمُ فذلّت	فليستْ ما حَييتم تستَقِلُّ[٤]

---

[١] - انظر اتجاهات الشعر الأندلسي للدكتور نافع محمود ص١٤٨ . بتصرف .

[٢] – احسان عباس ، تاريخ الأدب الأندلسي – عصر سيادة قرطبة – ، ط٢، بيروت ، دار الثقافة، ١٩٦٩ م ،ص ٩٧ .

[٣] – ابو حيان القرطبي ، المقتبس في أخبار بلد الأندلس ، تح محمود علي مكي ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٧٣، والجزء الثالث تح ملشور انطونيه ، باريس، ١٩٣٧ ، ص ٦٥ .

[٤] – أبو عبدالله محمد بن الآبار ،الحلة السيراء ، تح الدكتور حسين مؤنس، القاهرة ، ١٩٦٣م، ص ١٥٢.

وخلاصة القول فان هذه النقائض كانت محصورة بين العرب والمولدين ولـم تجاوزهمـا إلـى غيرهما، ونجد معانيها ركيكة بسيطة لا بلاغة فيها، فهي مقصورة على افتخار الشاعرين بمآثر قومهما .

ثالثا: الاتـجـاه الـذاتـي

يعبر هذا الاتجاه عن أحوال الشاعر بغض النظر عن أحوال الآخرين، وهـو مـن أكثـر الاتجاهات غنائية لأنه يتناول أحوال وأحاسيس الشاعر، " ويختلف هذا الاتجـاه عـن الاتجـاه العلائقي في أنه لا ينتظر استجابة من الآخرين، كما انه يخلو من الجانب الإعلامي لأنه لا يعبر عن الجماعة إلا بمقدار ما يعد الفرد نموذجا يمثل جماعتة ، ولعل من أكثر ما يميـز الاتجـاه الذاتي عن غيره من الاتجاهات هو بروز ملامح شخصية الشاعر من خلال تعبيره الفني عـن عواطفه وانفعالاته بشيء من الاستقلال الذاتي "[1] . ولقد تبلورت معـالم الاتجـاه الـذاتي فـي الأغراض الآتية:

١- وصف الطبيعة.
٢- الغـــــزل .
٣- الـــــزهد.

١- وصف الطبيعة

طبيعة الأندلس جميلة وفاتنة فتنت الشعراء والمؤرخين بجمالها، وقد أكثـر المؤرخـون أمثال ياقوت الحموي وابن عذارى والمقري وغيرهم، من وصف جمالها ورياضـها الوارفـة ومياهها الجارية وكثرة بساتينها وجمال قصورها وخلابة منظرها وقد حبـت الطبيعـة هـذه الجزيرة سحرا خاصا بهر كل من رآها ويقول صاحب معجم البلدان: أما الأندلس فجزيرة كبيرة فيها عامر وغامر تغلب عليها المياه الجارية والشجر والرخص والسعة في الأحوال[2] ، ووصفها أبوعبيدة البكري بقوله: الأندلس شامية في طيبها وهوائها، يمانية في اعتدالها واستوائها هنديـة في عطرها وذكائها، اهوازية في عظم جبايتها، صينية في جوهر معادنها، وقال بعضهم عنها[3]

[1] - انظر اتجاهات الشعر الأندلسي للدكتور نافع محمود ص١٨٦ . بتصرف .
[2] - ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، بيروت ، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٥٥م ، ج١، ص٢٦٢.
[3] - شهاب الدين أحمد المقري ،أزهار الرياض في أخبار عياض، تح مصطفى السقا ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر،١٩٣٩م، ج١، ص٦٠ .

هي الأرض لا ورد لديها مكدر ولأطل مقصور ولأروض مجدب[1]

وقد جذبت هذه الطبيعة أنظار الشعراء فهاموا بها، واقبلوا عليها في شغف يتغزلـــون بهـــا ويفتنون في أوصافها ويصورون محاسنها ومفاتنها فوصـــفوا الريـــاض والأزهـــار والفواكـــه والجداول والقصور وغيرها من مظاهر طبيعتهم الساحرة. وقد جاء وصفهم تعبيرا عن استجابة النفس الشاعرة لرغبتها في التمتع بجمال الطبيعة أو الاستجابة لتأثير مظاهر الجمـــال. يقـــول عباس بن فرناس.

ترى وردها والأقحوان كأنه بها شفة لعساء ضاحكها ثغر [2]

فالشاعر في بيته هذا قد صور جمال الورد وهو في أحضان روضة غناء تصويرا بارعا وأجمل ما في التشبيه هذا أن صور الورد وكأنه ابتسامة عذبة رسمت على ثغر جميل وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى الامتزاج الشعوري إزاء المنظر الطبيعي. وفي وصف فنـــي آخـــر يصور عباس بن فرناس جمال الصبح وتنفس نوره في حركة ذاتية لها كبير الأثر على إثـــارة المشاعر الإنسانية حيث يقول:

فبتنا وأنواع النعيم ابتذالنـا ولاغير عينيها وعيني كحالي
إلى أن بدا وجه الصباح كأنه جبين فتاة لاح بيـن مجـــــــال[3]

ولقد تضمنت هذه الأبيات وصفا رائعا لجمال الصباح وأثـــره علـــى أحاســـيس الشـــاعر الوجدانية، وقد بدت للعيان ظاهرة التشخيص بارزة في تجسيد حركة الصباح التي هزت الشاعر فوصفها الشاعر وصفا حسيا جميلا. وفي بيتين من الشعر يصف ابن عبد ربة فيهما المظـــاهر الطبيعية وصفا فنيا في غاية الروعة فيقول:

[1] – انظر نفح الطيب ، ج١ ، ص١٢١ .

[2] – ابو عبدالله محمد بن فتوح الحميدي ، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة،١٩٦٦م، ص٣١٨ .

[3] – انظر التشبيهات ، مصدر سابق ، ص٢٧.

حتى إذا ما الليل قــوض راحلا عند الغلــس
وبدا الصباح كغـــــرة تبدو على وجه الفرس [1]

فجاءت هذه الأبيات تصف لنا صورة بزوغ الصباح وتكشف عن قدرة الشاعر التعبيرية عن تلك الأجواء الشعورية التي وقع تحت تأثيرها فوصفها وصفا جميلا معبرة عن مشـــاعره، وفي الوقت نفسه توحي إلى السامع بالتأمل وتبعث فيه روح الانتعاش بجمال الطبيعة وتعمق من تفكيره فيها، وقد ساعده في هذا استخدامه التشبيه في بيته الثاني إذ شبه إشراق الصباح كغـــرة مشرقة على وجه فرس وهذا تشبيه جميل. وتغنى شعراء الأندلس كذلك بالربيع، فابن عبد ربـــه مثلا يقف أمام روضة وقد حل الربيع بها فتهتز نفسه الشاعرة فيرسم صورة يتخيل فيها تزاوجا قد عقد بين تلك الروضة الفاتنة والربيع الجميل فيقول:

وروضة عقدت أيدي الربيع بها نورا بنور وتزويجا بتزويج
بملقح من سواريها وملحقــــة وناتج من غواديها ومنتوج
توشحت بملاة غير ملفحـــــة من نورها ورداء غير منسوج
فألبست حلل الموشي زهرتهـــا وجللتها بأنماط الديابيج [2]

فهذه التعبيرات الذاتية جاءت بصورة فنية متحركة تشع عن مدى الامتزاج الشعوري بين الشاعر والتأثير الفني لمظاهر الطبيعة على شعوريته المرهفة. ويتضح فيها قدرة الشاعر علـــى خلق تلك الصور الكثيرة المجتمعة في روضة كقوله " عقدت أيدي الربيع " " وتوشحت بمـــلاة غير ملحمة "، " وألبست حلل الموشى زهرتها..الخ، فالشاعر هنا مفتون بحب الربيع.

ولم يغب عن بال الشعراء وصف الفواكه والثمار، بل انتبهوا إليها فوصفوها وتغزلوا بهـــا وصاغوا ذلك كله في أسلوب رشيق جميل، ويبدو أن الأندلسيين قد اغرموا بالتفاح وفضلوه على غيره من الفواكه ولذلك وصفوه وتغزلوا به ومن ذلك قول إسماعيل المنادى وهو يتغزل بتفاحة.

[1]- انظر التشبيهات ، ص٢٦.
[2]- انظر التشبيهات ، ص٢٦.

مجال العين في ورد الخــــدود يذكر طيب جنات الخلود
وأطيب ما تمنى النفس ألف يجدد وصله بعد الصـــدود
وارجة من التفاح تزهـــى بطيب النشر والحسن الفريد
أقول لها فضحت المسك طيبـا فقالت لي بطيب أبي الوليـــد [1]

ووصف شعراء الأندلس القصور وروعتها وجمالها، وينسبون إلى عبد الرحمن الناصر أبيات قالها في هذا المعنى :

هم الملوك إذا أرادوا ذكرهــــا مـن بعدهـم فبالسن البنيان
أو ما ترى الهرمين قد بقيا وكم ملك محاه حوادث الازمـان
إن البناء إذا تعاظم شانــــه أضحى يدل على عظيم الشأن [2]

ومن الشعراء الذين قالوا في هذا الاتجاه الشاعر عباس بن فرناس قال يصــف قصــرا وكــان بالقصر بركة عليها أشجار من ذهب وفضة، وكانت تنساب المياه من فروع الشجر فقال وهــو يشحن أبياته بوافر من التشبيهات :

إذا بلغ النظر المكثـر فــرعهــــا وصوب لم يبلغ إلى الأرض في شجــر
لها الغرف أليس التي يضحك الضحى وتلحفها من نورها فما سنا الغــر
كأن قصـور الأرض بعـد تمامــه نتوء الذرى أخفى شخوصا من الــذر
وتنتشـر الأبصار منها إلى مــــنازه بالأطيـــار والوحش والزهــــر
نشـت لؤلؤا ثم استحــالت زمـردا يعود إلى العقيان بعد جني البسر
ومن أرجات في الغصـــون كأنها خدود عذارى في مقانعها الخضــر [3]

فالألفاظ في الأبيات الشعرية أوزانها حسنة وألفاظها سهلة رقيقة خفيفة على النفس والأذن، إضافة إلى دقة تصوير الشاعر وإجادته في التعبير والتصوير، فإذا نظرنا إلى الصور الــواردة في الأبيات خيل إلينا أنها تتحرك، والرسوم الجامدة تتكلم، والطيور تغرد، ففي كل بيــت مــن

---

[1] – أحمد بن يحى الضبي ، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، القاهرة ، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م، ص٢٣٥.
[2] – محمد عبدالله عنان، تراجم اسلامية شرقية وأندلسية ، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٧٠م، ص١٨٦.
[3]- انظر المقتبس ، ص٢٢٩.

أبيات هذه القصيدة صورة فنية جميلة تعبر عن معنى من المعاني البديعة. واتجه شعراء الأندلس إلى وصف تغريد الطيور ويمكن أن نلمح ذلك في شعر ابن عبد ربه[1].

وإنَّ ارتياحي من بكاء حمامةٍ   كذي شجنٍ داويته بشجـــونِ
كأنَّ حمام الأيكِ حينَ تجاوبتْ   حزينٌ بكى من رحمةٍ لحزينِ

وقال أيضا وقد سمع حمامة تشجو :

ولربَّ نائحةٍ على فننٍ   تشجي الخليَّ وما به شجـــوُ [2]

ففي الأبيات الأولى يذكر الشاعر حمامة صادحة على الأفنان في شجو وحنين ويبـــدو أن حمامه كانت ذا شجا حزين مما هيجت عواطفه وانهالت أحاسيسه حتى بلغ إحساســه الشـــعري ذروته عندما تصور تناغم شجا الحمامة الحزين وكأنه انبعث بكاء لحزنه. وفي القطعة الثانيـــة، يكرر نفس الصورة بأسلوب رقيق يكشف عن ترجمة ذات الشاعر إزاء عجائب مخلوقات الله.

٢- الــــغــــــزل

غالبا ما تكون المادة الشعرية للشعراء نابعة من تجاربهم الوجدانية الخاصـــة، ومـــن معاناتهم الشخصية والعاطفية في الحياة الأندلسية، ويعد الغزل أكثر فنون الشعر التـــي طرقهـــا الشعراء الأندلسيون. ولم يخرج الغزل الأندلسي عن الإطار العام للغزل العربي فقد جاء غزلهم في معظمه غزلا تقليديا تتردد فيه تلك المعاني والأفكار التي ترددت في الشعر المشرقي فوقفوا على الإطلال وبكوا الديار ويعبر يحيى الغزال عن هذه المعاني فيقول:

ريعَ قلبي لمَا ذكَرتُ الديارا   وتنوّرت بالنخيلاتِ نــــــارا
وازدهيتني ذاتُ السنا ببُروقٍ   مِن لظاها فما أطيقُ اصطِبارا
والقريحُ الفؤادُ يَزدادُ للنـــا   رِ وميضَ السَعيرِ منها استِعارا[3]

[1] - انظر العقد الفريد ، ج١ ، ص١٢٩ .
[2] – انظر التشبيهات ، ص٥٦.
[3] – انظر التشبيهات ، ص٥٦.

ويتناول احمد بن عبد ربه المعنى نفسه فيقول:

دِيارٌ عفت تبكي السحابُ طلها	**وما طللٌ تبكي عليه السحائبُ**
وتنْدُبها الأرواح حتّى حسبتهـــا	**صَدى حفرةٍ قامت عليها النوادبُ [1]**

والشاعر محمد بن عبد العزيز العتبي ينحو نحوهما فيقول:

فاسأل بهن ربوعهن وما الذي	**يجدي عليك سؤال ربع داثر**
عفت معالمه الليالي مثل ما	**عفى سواد الشهر بهجة عـامر [2]**

كما أكثروا من الحديث عن العذال والوشاة ووصفوا المرأة وصفا تقليديا فتحدثوا عن سهام الألحاظ وجمال المحيا وطول الرقبة وطيب الريق ومن مثل ذلك قول ابن عبد ربه:

مظلومة باللحظِ وَجْنتها	**وجفونها جبلت على الظلـــم**
وكأنَّ عينيْها تضمَّنتا	**ما في فؤادكَ من جوى السُقم [3]**

ومن المعاني التي رددوها في غزلهم فكرة التحول التي عبر بها الشعراء عن أشواقهم وما حل بأجسامهم من الأسقام والضنى وترددت هذه الفكرة في غزل الشاعر احمد بن عبد ربه من ذلك قوله:

هيج الشوق دواعي سقمـــي	**وكسى الجسم ثياب الألم**
أيها البين اقلني مـــــــرة	**فإذا عدت فقد حــــل دمي**
يا خلي الروع في غبطـــته	**إن من فارقته لـــــم ينم**
وله هاج بجسمي سقما حـــب	**من لوشاء داوى سقـــــــمي [4]**

والأمير عبد الرحمن الأوسط يتذكر معشوقته فتقوم عنده حالة من الوجد والهيام تضرم في قلبه لهيبا محرقا فيقول:

---

[1] – انظر التشبيهات ، ص١٦٦.

[2]– التشبيهات ، ج٢،ص٢٩.

[3]– التشبيهات ، ج٢، ص١٣٦.

[4] – انظر نفح الطيب ، مصدر سابق ، ج٩ ، ص٢٦٢

لئن حـال دونك بعـد المـــــزار   من بعد أن كنت مني قريبا
لقد أورث الشوق جسمي الضنى   واضرم في القلب مني لهيبـا [1]

ومن الغزل الرقيق والاستعطاف الجميل قول أبي الربيع سليمان بن محمد بن وانســـوس الذي يعترف إلى محبوبته بأنه لا يستطيع العيش بدونها، وأجمل من ذلك ما في البيت الأول من تشبيه جميل إذا شبه فيه محبو بته ببدر الدياجي وعبر عن ذلك بقوله :

كيف لي أن أعيش دونك يا   بدر الدياجي وأنت مني بعيـــد
إن يوما أراك فيه ليـــــوم   في حسابي مدى الزمان سعيد
ومرادي ألا أراك تـــــداني   غير وصلي وذاك مالا تريـــــد [2]

ولا تختلف صورة المرأة في الشعر الأندلسي عن صورتها في الشعر العربي، فلــم تــزل المرأة الجميلة هي تلك المرأة ذات الوجه المستدير، الذي يشبه البدر والشعر المرسل والألحـــاظ الساحرة والقدود المورد. وما شابه ذلك من الصفات، فمن تلك الأوصاف التقليدية المألوفة نجده في قول أبي الربيع سليمان بن محمد بن وانسوس حيث يشبه حبيبته بالقمرين فيقول:

الحب علم مقلتي أن تسهـــــرا   وقضى علي بان أذل واصبرا
يامشبه القمرين مالك معرضا   عني واني لا أزال مـــــحيرا [3]

وأفاض الشعراء في وصف العيون الجميلة التي ترمي قلوب العشاق بسهامها والخدود التي تشابه الورد عطرا وجمالا وكثيرا ما تمزج تلك الأوصاف بأوصاف الطبيعة ويصور لنا الأمير عبد الله بن محمد جمال محبوبته وصفا بديعا ويزج بين جمال الورد وخدود المحبوبـــة حيــث يقول:

ويحي علي شادن كحيل   في مثله يخلع العذار
كأنما وجنتـــــاه ورد   خالطه النور والبهار

[1] – أبو عبدالله محمد بن الابار، الحلة السيراء، تح د/ حسين مؤنس، القاهرة ، ١٩٦٣، ج١،ص١٤٤ .
[2] – انظر المغرب في حلي المغرب، مصدر سابق، ج١، ص٣٦٢.
[3] – انظر يتيمة الدهر ، ج٢،ص٥٤.

قضيب بـــــان إذا تثنى **يدير طرفا به احورار**
وقف عليه صفـــــاء ودي **ما اختلف الليل والنهار** [1]

ويحدثنا الشعراء عما يصيب الإنسان من أسى وألم عندما يقترب يوم البين ولحظة الوداع، وابن عبد ربه يصور موقف الوداع أجمل ما يكون التصوير ويرسم لوحة فنية رائعة للحظـــات الوداع ويفيض من وصف حالة المرء وقت الوداع فيأتي شعره تعبيرا عن عاطفة ذاتية تكشــف عن مدى الشوق والوجد ومعاناة القطيعة والفراق:

ودعتني بزورة واعتنـــــــاق **ثم نادت متى يكون التلاقي**
وبدت لي فأشرق الصبح منهـــا **بين تلك الجيوب والأطـــواق**
يا سقيم الجفون من غير سقم **بين عينيك مصرع العشـــاق**
إن يوم الفراق اقطع يـــــوم **ليتني مت قبل يوم الفـــــراق** [2]

والأبيات المتقدمة تعبر عن مشاعر النفس ومعاناتها من الفراق، وما يحدثه هذا من أثر نفســـي في شعور الشاعر الذي يعاني منه. وكان الأندلســـيون يســـتعذبون الألـــم فـــي ســـبيل الحـــب ويستصغرون الملك أمام تيار العاطفة والأمير الحكم هو صاحب السلطات والملك يبقى متـــذللا واضعا خده فوق التراب من اجل محبوبته حيث يقول :

ظل من فرط حبه مملوكـــــا **ولقد كان قبل ذاك مليكا**
أن بكى أوشكا الهوى زيد ظلما **وبعادايدني حماما وشيكـــا**
تركته جآذر في القصر صبـــــا **مستهاما على الصعيد تريكا**
يجعل الخد واضعا فوق تـــــرب **للذي يجعل الحرير اريكـــا**
هكذا يحسن التذلل في الـــحب **إذا كان الهوى مملوكـــــا** [3]

ولا شك في أن كثرة مجالس الخمر والغناء والرقص في الأندلس قد وســـعت مـــن دائـــرة الغزل، فكثر عشق الشعراء للقيان والجواري والمغنيات، لأنهم وجدوا فيهن مجـــالا لاســـتثارة مشاعرهم وإشباع غرائزهم. فكان غزلهم قد تجاوز في كثير من الأحيان حدود اللياقـــة والأدب

٥- انظر معجم الأدباء ، ج٤،ص٢٢١.
[2] - انظر معجم الأدباء ،ج٤، ص٢٢١ .
[3] - انظر الحلة السيراء، ج١، ص٤٩.

فمالوا إلى الإكثار من الأوصاف الحسية، و التعبيرات الجنسية المفضوحة. ولم يقتصر الشعراء على التغزل بالنساء بل تعدوهن إلى التغزل بالغلمان فوصفوا جمالهم وكانوا صـباح الوجـوه، جميلي العيون فيهم جاذبية ورقة، لذلك تغزل فيهم بعض الأمراء والـوزراء والعلمـاء، ولعـل السبب أن هؤلاء الغلمان كانوا يسقون الخمر حتى إذا ذهبت بعقول الشاربين تخيلوا ما شاء لهم التخيل وتغزلوا في الساقين الغلمان. فعبد الله بن عاصم يتغزل بغلام جميل الصورة كان يسـقي الأمير محمد فيقول:

يا حسن الوجه لا تكن صلفا	**ما لحسان الوجوه والصلف؟**
يحسن أن تحسن القبيح ولا	**تـرثي لصب متيم دنف** [1]

وقد أجاد أغلب شعراء الأندلس المزج بين وصف الخمر والتغزل بساقيها، وهذا ما نلمسه ونجده في شعر احمد بن عبد ربه فيقول في بعض شعره:

بل رب مذهبة المزاج ومـذهب	**راحا براحة ريمة وغزاله**
وكان كف مديرها مديره	**فلك يدور بشمسه وهلاله** [2]

ففي الشعر جمال في التصوير، وخيال بارع يدل على بلوغ الأندلسيين في وصف الخمـر درجة فائقة، فالشاعر يمزج بين إشراق الخمرة وجمال ساقيها ووصـفها بالمذهبـة ووصـفه بالمذهب. وخلاصة القول فان شعراء الأندلس قد هاموا في الجمال أينما وجد فـي النسـاء أو الغلمان أو الطبيعة.

٣- الزهـــــد

الزهد تعبير عن موقف شخصي إزاء الحياة، وغالبا ما يصدر عن الخوف من الموت وما بعده، والشاعر كغيره من الناس يمر في فترات عمرية يجهل فيها، ويتجاوز فـي شـعره بعض المحظورات، وما أن يصحو من غفلته حتى يبدأ في اللجوء إلـى الله يطلـب الإحسـان والمغفرة. فالشاعر الأندلسي في زهده لم يذهب بنا بعيدا عن سبر أغوار نفسه، إنما يعبر عـن أحاسيسه وانفعالاته ويرسم موقفه من الحياة بأبيات زهدية فيها ذاتية واضحة.

[1] – انظر جذوة المقتبس، ص٢٦٤.

[2] – انظر التشبيهات ، ص١٠١.

ولا شك في أن التيار الديني يتفق مع المنطق الطبيعي لتطور الأشـياء، فحيثمـا وجـد اللهـو والمجون وجد الزهد والورع، وأما من حيث النشأة فاغلب الظن أن شعر الزهد يرجع إلى أيام الحكم الربضي الذي اغرق نفسه في بحور الملذات، واغرم بالفنانين أكثر من غرمـه بالفقهـاء فاضطر الشعراء من الفقهاء أن يعرضوا به شعرا قوامه الزهد ولكنه ممزوج بالتعريض بالحكم. ومن أمثلة شعر الزهد الذي يهدف إلى التذكير بالله والتخويف من اقتراف المعاصي مـا قالـه الشاعر عباس بن ناصح :

ما خير مدة عيش المرء لو جعلت — كمدة الدهر والأيام تغنيها
فارغب بنفسك أن ترضى بغير رضا — وابتع بخاتك بالدنيا ومافيهـا [1]

فالأبيات بسيطة صادقة تتناول المعاني الدينية وتكثر من النصائح والمواعظ وفيها ترغيب وتحذير، ولقد أكثر الشاعر غريب الطليطلي من ترديد المعاني الدينية في أبيات ساقها إلى الذين غرتهم الحياة بضجيجها، وملذاتها فعصوا واستكثروا من ارتكاب المعاصي والذنوب غافلين عما ينتظرهم من أقدار فيقول:

وما ندري لعل الموت منـه — قريب أينا قبل المصـاب
لعمرك ما يرد المـوت حصن — إذا انتاب الملوك ولا حجـاب
لعمرك إن محياي وموتـي — إلى ملك تذل له الصعـاب
إلى ملك يدوخ كل ملـك — وتخضع من مهابته الرقـاب [2]

فالشاعر في هذه الأبيات متأثر بالقران الكريم، ويظهر هذا التأثر واضحا في بيته الثالث أما الفقيه محمد بن عبد السلام الخشني فيقدم لنا أبياتا في الزهد الخالص الممزوج بالنصح والإرشاد والتخويف من يوم الحساب فيقول:

بلى وكان الموت قد زار مضجـعي — فحول مني النفس بين تراق
أخي إنمـا الدنيا محلة فرقـة — ودار غرور آذنت بفـراق

[1] – انظر بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، مصدر سابق، ج٢،ص٢٨ .

[2] – انظر المغرب ، مصدر سابق، ج٢،ص٢٤.

تزود أخي من قبل أن تسكن الثرى ... ويلتف ساق للنشور بساق [1]

وهناك لون آخر من الزهد مقرون بالتوبة، ويصدر عن الخوف من الموت والعذاب ويحرك إليه التقدم بالسن والإحساس بالأجل، ويمثل هذا الاتجاه الشاعر احمد بن عبد ربه ومن شعره هذه الأبيات التي تزهد في الدنيا وتطهر من تفاهتها:

ألا إنما الدنيا غضارة ايكة ... إذا اخضر منها جانب جف جانب
هي الدار ما الآمال إلا فجائع ... عليها ولا اللذات إلا مصائب
وكم أسخنت بالأمس عينا قريرة ... وقرت عيون دمعها الآن ساكب
فلا تكتحل عيناك منها بعبرة ... على ذاهب منها فانك ذاهب [2]

ولابن عبد ربه أشعار كثيرة في الزهد سماها "الممحصات"، وقد نقض فيها كل قطعة قالها في الصبا والغزل بقطعة في المواعظ والزهد محصها بها، كالتوبة والندم عليها ومن ذلك قوله:

يا عاجزا ليسَ يعفُو حينَ يقتدرُ ... ولا يُقضَى له مِن عيشِهِ وطرُ
عاينْ بقلبكَ إنَّ العينَ غافِلةٌ ... عنِ الحقيقةِ واعلمْ أنها سَقرُ
سَوداءُ تزفرُ مِنْ غيْظٍ إذا سُعِرتْ ... للظالمينَ فما تبقي ولا تذرُ
لو لم يكُنْ لكَ غيرَ الموتِ موعِظةٌ ... لكانَ فيهِ عنِ اللذَّاتِ مُزدجرُ
أنت المقولُ له ما قلتَ مُبتدِئاً ... هلَّا ابتكَرتَ لِبَينٍ أنتَ مُبتكِرُ [3]

ففي هذه القطعة اعتراف بالذنب والندم عليه وهي محصت القطعة التي قال فيها:

هلَّا ابتكرتَ لبينٍ أنتَ مُبتكِرُ ... هيهاتَ يأبى عليكَ اللهُ والقدرُ [4]

---

[1] – انظر نفح الطيب، مصدر سابق، ج٢، ص٢٢١.
[2] – انظر معجم الأدباء ، مصدر سابق، ج٤، ص٢١٨.
[3] – انظر بغية الملتمس ، مصدر سابق، ص١٥٠.
[4] – انظر نفح الطيبج٩، ص٢٦٣.

ونجد هذا الزهد كذلك عند الأمير عبد الله، الذي اخرج لنا صورة في الحكمة ممزوجة بالزهـد، فيشير فيها إلى أن الموت مقبل ولن ينجو منه احد، ويبقى انه أراد من وراء ذلك لينبه الغـافلين لهذه الحقيقة فيقول:

يا من يراوغه الأجـــل — حتام يلهيك الأمـــل
حتام لا تخشى الـــردى — وكأنه بك قد نـزل
أغفلت عن طلب النجــا — ة ولا نجاة لمن غفـل
فكان يومك لم يكن — كان تعبك قد نـزل [1]

ويعود الأمير عبد الله ثانية يذكر الغافلين حقيقة الدنيا وينبههم إلى أن الدنيا فانية ويدعوهم إلى التقوى والايمان والتقرب إلى الله فيقول:

أرى الدنيا تصير إلى فنــــاء — وما فيها لشيء من بقــــاء
فبادر بالإنابة غـــير لاو — على شيء يصير إلى فنــــاء
كأنك قد حملت على سرير — وصار جديد حسنك للبلاء
فنافس في التقى واجنح إليـه — لعلك ترضين رب السمــــاء [2]

وللغزال زهديات ممزوجة بالحكمة منها هذه القطعة التي يشير فيها إلى أقدار الزمن التي لم ولن ينجو منها احد حيث يقول:

من ظنّ أن الدهر ليس يصيبه — بالحادثات فانه مغـــرور
فالق الزمان مهونا لخطوبــــه — وأنجرَ حيث يجرك المقدور
وإذا تقلبت الأمور ولم تـــدم — فسواء المحزون والمســـرور [3]

وهكذا فان اغلب شعر الزهد لم يكن صادرا عن نهج صوفي، بل هي حالة مـن حـالات التوبة والاستغفار، تعتري الناس وخاصة نهاية مطاف العمر، أو عند الأزمـات والملمـات، أو حلت بهم نائبة من نوائب الدهر. وأما من الناحية الفنية يبقى شعر الزهد لا يرقى فـي عبارتـه وصوره إلى مصاف الشعر وخاصة الغزل والوصف وان بقى متنفسا لآلام الشعراء في حياتهم المضطربة ومجتمعهم المعقد.

---

[1] – انظر الحلة السيراءج١،ص١٢٢ .
[2] – انظر البيان المغرب ،ج٢، ص١٥٥ .
[3] - انظر نفح الطيب ، ج٣، ص١٢٧.

المبحث الثاني
أغراض الشعر الأندلسي

من الظواهر التي تستدعي الانتباه شيوع الشعر بين عرب الأندلس على اختلاف طبقاتهم، ولا غرابة في ذلك فقد هاجر الشعر إلى الأندلس مع العرب المهاجرين فكان الشعراء يحضون به الفرسان على الجهاد، و يثيرون الحماسة في صدورهم عند مواقف الأهوال، و يغذون به عصبية الأحزاب بين المضرية واليمانية ويحرضون الناس على الفتنة و الشغب.

وبقي الأندلسيون يولون وجوههم شطر المشرق في أكثر شؤونهم، لأنه مطلع أنوارهم، و مهد حضارتهم... فمن هنا دأب الأندلسيون على تقليد أهل المشرق في كل شيء.. في إنشاء القصور و المدارس و المكتبات و الجوامع و المدائن... " و في مجال الشعر سلك شعراء الأندلس مسلك شعراء بني العباس لتشابه الحياة بالترف و النعمة... فوصفوا بيئتهم و أموالهم... و أبدلوا الأسلوب البدوي بأسلوب حضري صرف... و نفروا من الألفاظ الغريبة الوحشية إلى الألفاظ المأنوسة الرقيقة فجاء الشعر الأندلسي جميلا رقيقا... فيه خيال لطيف و صور براقة ملونة " [1].

وبالرغم من رقة و جمال الشعر الأندلسي إلا أنه لم يصل في روعته إلى الشعر العباسي لأن أصحابه عنوا بتزيين ألفاظه و توشية أوصافه. و قد نظم الأندلسيون في جميع فنون الشعر العربي، وزادوا عليه بعض فنون اقتضتها ظروف بيئتهم و أوضاعهم الاجتماعية. ولقد طرق شعراء الأندلس كافة فنون الشعر فلم يتركوا فنا من فنونه أو غرضا من أغراضه إلا نظموا فيه شعرا تقليدا ومجاراة لشعراء المشرق و في هذا المبحث سأبين هذه الفنون و ذلك من خلال المطالب الآتية:

---

[1] – بطرس البستاني ، ادباء العرب ، ، ،ص ٣٨-٣٩ ، بتصرف .

المطلب الأول
المـــدح والهجـــاء

أولا : المـــدح

المديح من أغراض الشعر الواسعة فقد أكثر منه الشعراء وخصوصــاً فــي مــدائحهم للأمراء والوزراء. ومن المؤكد أن شعر المديح كان يعتمد على الشعر القديم في معانيه وأفكــاره، فلم نجد فيه تجديداً، حيث كان الشعراء وخصوصاً عندما يمدحون الأمراء يحاولون إن يقولوا فيهم ما قاله السابقون في ممدوحيهم .

وبناء عليه لم يختلف شعر المديح في الأندلس عنه في المشرق و ذلك من حيث وفــرة دواعيه، و كثرة شعرائه، " كما و أن شعراء الأندلس ساروا وفق منهج المشارقة فــي مبــادئهم، فحافظوا على الأسلوب القديم، واعتنوا كثيرا بالاستهلال و حسن التخلص،وإحكام البنــاء و شــد أسره، والتزموا الغزل في محاريب مدائحهم و ربما جعلوا صدورها وصفا للخمرة، أو الطبيعة أو البلد الذي نشأ فيه الشاعر " [1]. وإذا انحرف بعض الشعراء عن هذا الطريق عاب الناس عليه ذلك، فقد مدح هلال البياني شاعر غرناطة ابن حمدين قاضي قرطبة بقصيدة مطلعها:

عرج على ذاك الجناب العالي　　واحكم على الأقوال بالآمال[2]
فيه ابن حمدين الذي لنواله　　من كل أرض شد كل رحال[3]

فقال له القاضي: (ما هذا الوثوب على المدح من أول وهله.!) ألا تدري أنهم عابوا ذلك كما عابوا الطول أيضا، وان الأولى التوسط [4]. ووصفوا الناقة و الجواد جريــا مــع الأســلوب القديم، وحنوا إلى بادية الأعراب و دارتها و لكنهم لم يستفيضوا في الوصف بل اقتصدوا كــل الاقتصاد. وإذا ما نظرنا في شعر المديح العربي بعد العصر الجاهلي نجد صورة مدح الحكام و الخلفاء قد تكررت في الشعر الأندلسي عند عدد كبير من الشعراء كمروان بن أبي حفصــة، و

---

[1] -انظر بطرس البستاني، ادباء العرب في الاندلس و عصر الانبعاث ، ، ، ص٤٠
[2] – الجناب : فناء الدار ، و ماقرب من محلة القوم ، قوله بالآمال : أي بآمالك
[3] – نوالة : عطائه .
[4] – انظر البستاني ، ص ٤١

أبي نواس وأبي تمام والمتنبي فالبحتري على سبيل المثال شاعر جميل الشعر إلا انــه وظــف غالب شعره في مديح الخلفاء و رجال السياسة أمثال المتوكل، و المستعين، والمنتصر والقواد و الوزراء و غيرهم في الأشراف، وقد صور طه حسين بعض هذه المدائح بقوله: " واقبح من هذا في أخلاق البحتري إذ إنه مدح أكثر من عشرين رجلا من كبار الأشراف في بغداد و غير فــي أسمائهم، و أثبت مكانها الأسماء الجديدة، فهو إذن لم يتردد في بيع شعره كأقبح ما يبيع الشعراء أشعارهم "[1] .

ومن الملاحظ في شعر المديح عند الأندلسيين أنه يهتم بالصناعة الفنيــة، و التنــوع فــي أساليبها بين الجزالة والفخامة و الرقة و السهولة طبقا لما تقتضيه طبيعة المعاني، و أمــا مــن حيث بناء القصيدة فتبني القصيدة عندهم من مقدمة طللية، فنسيب، فوصف للرحلــة، فــتخلص للمدح .

وابن قتيبة هو أول من لفت النظر إلى الأسس النفسية التي قامت عليها تقاليد قصيدة المدح القديمة، فهو يروي سماعا عن بعض أهل الأدب أن مقصد القصيدة إنما ابتدأ فيها بذكر الــديار والدمن و الآثار، فبكى و شكى، و خاطب الربع واستوقف الرفيق، ليجعل ذلك سببا لذكر أهلهــا الظاعنين عنها التجاء للكلأ و تتبعا للماء و مساقط الغيث حيث كان .

ثم وصل ابن قتيبة ذلك بالشكوى، فشكا شدة الوجد و ألم الفراق، و فرط الصبابة و الشــوق ليميل نحوه القلوب، و يصرف إليه الوجوه، و يستدعي به إصغاء الإسماع إليه... فإذا علم أنــه استوثق من الإصغاء إليه و الاستماع له، عقب بإيجاب الحقوق، فرحل فــي شــعره، و شــكا النصب و السهر.... فإذا علم أنه قد أوجب على صاحبه المقصود حق الرجاء و التأميل، وقرر عنده ما ناله من المكاره في المسير، بدأ في المديح، فبعثه على المكافأة و هزه للسماح، و فضله على الاشباه [2]. " فشعراء الأندلس في بناء القصيدة يلتقون مع القدماء في تعــدد موضــوعاتها ويخالفونهم في نوعيتها إلى حد ما، لأن لكل زمان موضوعاته التي بها يســتطيع الشــاعر أن يحوز الإعجاب، ويستميل ممدوحه للعطاء أو نيل الحظوة منه[3] .

---

[1]- طه حسين ، من تاريخ الأدب العربي ، ط٢ ، بيروت ، دار العلم للملايين ١٩٧٦ج ص ٣٥٩

[2] – ابن قتيبة ، الشعر والشعراء، ط٤ ، بيروت، دار الثقافة، ١٩٨٠م،ج١،ص٧٤-٧٥ .

[3] – انظر عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص١٨٠، بتصرف.

ومن المدائح التي بنيت على المدح فقط قول ابن حمديس في مدح الأمير أبي الحسن علي بن يحيى إذ جاء فيه:

تفشي يداكَ سرائرَ الأغمادِ لقِطافِ هام واختلاء هوادِ [1]
إلا على غزوٍ يبيدُ بهِ العدى لله من غزوٍ له وجهادِ
ما صونُ دينِ محمّدٍ من ضيمِهِ إلا بسيفكَ يوم كلِّ جلادِ
وطلوع راياتٍ وقودِ جحافلٍ وقِراع أبطالٍ وكرِّ جيادِ
ولديكَ هذا كلّه عن رائحٍ من نصرِ ربكَ في الحروبِ وغادِ
هذا ابنُ يحيى ذو السماح جنابُه مُستهدَفٌ بعزائمِ القصّادِ
ملِكٌ مفاخرُه تعدّ مفاخرا لمآثرِ الآباء والأجدادِ
وطريدُه من حيث راح أو اغتدى في قبضةٍ منه بغيرِ طرادِ [2]

ومن القصائد التي استهلت بالغزل وموضوعها المدح ما قاله ابن هاني الأندلسي في مدح إبراهيم بن جعفر بن علي حيث قال :

قد مررْنا على مغانيكِ تلكِ فرأينا فيها مشابهَ منكِ
بحنينٍ مرجَّعٍ كحنيني وتشكٍّ مردّدٍ كتشكّي
فاتئدْ تسكبِ الدموع كسكبي ثمّ لا تسفكِ الدماءَ كسفكي
لا أرى كابنِ جعفر بنِ عليٍّ ملِكا لابسا جلالةَ مُلكِ
مثل ماء الغمام يندى شبابا وهو في حليةِ تَوَقٍّ ونسك
يطأ الأرضَ فالثرى لؤلؤ رطب وماءُ الثرى مُجاجةُ مِسكِ [3]

وقال ابن دراج القسطلي في مدح مبارك ومظفر صاحبي بلنسيه :

أنورُكِ أم أوقدتِ بالليلِ نارَكِ لباغٍ قِراكِ أو لباغٍ جوارَكِ

[1] – اختلاء : قطع ، الهوادي : الأعناق .
[2] – ابن حمديس الصقلي، ديوان بن حمديس ، بيروت، دار صادر، لا.ت ، ص١٤٥ .
[3] – ابن هانيء الأندلسي ، ديوان ابن هانيء ، تحقيق محمد البعلاوي، بيروت، دار الغرب الإسلامي ،١٩٩٤م ، ص٥٢٦.

ومبسمكِ الوضّاح أم ضــوءُ بـــارقٍ — حداه دُعائي أن يجودَ ديــارَكِ
وطيفكِ أسرى فاستثــارَ تشــوّقي — إلى العهدِ أم شوقي إليكِ استثارَكِ
وطرّةُ صُبــحٍ أم جبينُكِ ســافرا — أعرتِ الصّباحَ نــورَه أم أعارَكِ
وكيف رضيتِ الليلَ ملبَسَ طــارقٍ — وما ذرّ قرنُ الشمس إلا استنــارَكِ
وكم دونَ رحلي من قصورٍ مشيــدةٍ — تحرّمُ من قــربِ المزارِ مَزارَكِ
وأرضي سُيولٌ من خيولٍ مُظفّــرٍ — وليلي نجــومٌ من سَماءِ مُبارَكِ
بحيثُ وجدتُ الأمنَ يهتــفُ للمُنى — هلمّي إلى عينَيْنِ جادا سَرارَكِ[1]
هلمّي إلى بحرَيْنِ قدْ مَــرَجَ النّدى — عبابَيهِما لا يَسأمــانِ انتظارَكِ
هلمّي إلى سيفَيْنِ والحــدُّ واحدٌ — يجيرانِ من صرفِ الحوادثِ جارَكِ
شريكانِ في صِدقِ المنى وكِلاهما — إذا بارزَ الأقرانَ غــيرُ مُشارِكِ[2]

ومن شعراء الأندلس الذين قالوا شعرا في المديح، عباس بن فرناس، فإلى جانب معرفته بالشعر كان عالما في فنون شتى من الرياضيات و الموسيقى والفيزياء والفلسفة والكيمياء، ومن أشهر ما عرف عنه محاولته الطيران وحذقه للموسيقى، وكان مرة في مجلس أحد ولاة الأمير عبد الرحمن الأوسط واسمه محمود بن أبي جميل فغنى ابن لزرياب[3]:

ولو لم يَشُقني الظاعِنونَ لشــاقَني — حمامٌ تداعت في الديارِ وُقوعُ
تَداعينَ فاستبكَينَ مَن كانَ ذا هوى — نوائحُ ما تجري لهنّ دُمــوعُ

فلما انتهى اخذ عباس بن فرناس العود، و غنى بهذين البيتين المذكورين ثم زاد من عنده ارتجالا يمدح صاحب المجلس:

شددت بمحمود يدا حين خانهـا — زمان لأسباب الرجـاء قطــوع
بني لسـماع الجود و المجد قبـةً إليها — جميع الأجوديــن ركــوع !

[1] - سرار الأرض: هو أوسطها و أكرمها .
[2] - ابن دراج القسطلي ، الديوان ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، تحقيق ، محمود علي مكي ، ١٩٧٠، ص ١٠١.
[3]-أبو مروان حيان بن خلق (ابن حيان) ، المقتبس ، بيروت ، دار الفكر ، تحقيق محمود علي مكي ، ١٩٧٣، ص ٢٧٩. وانظر محمد رضوان الداية، الأدب في الأندلس ، دار الفكر ، بيروت ، ط١،ص٦١ .

إن القفول الذي أوفى بعيديـــن   مكرمين على الدنيا عزيزين
قدوم أكرم من في الأرض قاطبة   قدوم فطر فكان خير عيدين [1]

وقد وافق مجيء الأمير من الغزو مع حلول عيد الفطر فجمع الشاعر من أجل المدح بـــين المناسبتين و أعلى من شأن العودة المظفرة من الجهاد. و قد سار شعر المديح فـــي الأنـــدلس و خاصة في قرطبة في ثلاثة اتجاهات (المديح التكسبي، و المديح الحربي، والشكوى في المديح) و فيما يلي بيان لهذه الاتجاهات.

أ- المديح التكسبي

لجأ عدد من الشعراء في قرطبة من شعراء المديح إلى التكسب بشـــعرهم، ولقـــد كـــان للظروف الاجتماعية و الاقتصادية التي يعيشها هؤلاء الشعراء دور كبير في انتشار هذه الظاهرة حيث امتهنوا المديح و التملق والاستجداء ليضمنوا لأنفسهم مصدر رزق واسع حيـــث ابتعـــدوا بذالك عن الرسالة الحقيقية لشعرهم و التي تتجسد في تمثيل قضايا الإنسان، و المجتمع، ونجـــد هذه الظاهرة قد تفشت في فترة حكم المستعمر، حيث طغى شـــعر المـــديح علـــى غيـــره مـــن الأشعـــار، و قد سار شعراء قرطبة في هذا المديح على منهج شعراء المشارقة الذين نهجوا هذا الطريق حيث يقول ابن دراج في ذلك:

وكانَ ضَياعِي حسرَة وتندُمـــــــا   إذا لم يُفِد شيئا ولم يغنِني شيَا
وأصبحت فِي دار الغِنى عن ذوِي الغِنى   وعوِضت فاستقبلت أسعدَ يومِيًا
سِوى حسرتَي عرضي ووجه تضعضعا   لقارِعة البلوى وكانا عتـــاديا [2]

ويقول في موضع آخر:

وإن ذاب حرُ الوجهِ من حرِ نارهـــــــم   فما مستغاثي منه إلا إلى المهلِ [3]

[1] ـ وانظر محمد رضوان الداية، الأدب في الأندلس ، دار الفكر ، بيروت ، ط1،ص61 .
[2] – انظر ابن الدراج ، الديوان ، مصدر سابق ، ص ١٩٤ .
[3] – نفس المصدر، ص ٤٠ .

وينطبق هذا الاتجاه على شعراء آخرين عاشوا في القرن الخامس، فيقول يحيى بن بقي عن شعر المديح الذي يصدر عنه دون عاطفة صادقة ويقدمه لولاة الأمر :

أزورهم لا للوداد وقـــــــد دروا	**فيلقوني بين التـــــــــودد والغل**
وأمدحهم يا حسبي الله كاذبا	**فيجزونني بالمنع شكلا إلى شكل**[1]

ومثل هذين الشاعرين و غيرهما تصدق عليهم مقوله الكلائي:"بيع الشعراء بالسعر و قولهم: لسان الشاعر أرض لا تخرج الزهر حتى يتكسب المطر "[2] و كان شعراء المـــديح التكســـبي يغرقون في المديح و يسرفون فيه دون مقياس أو ضابط حتى تصبح قصـــائدهم لا صـــلة لهـــا بشخص قائلها أو المقولة فيه، و من الميسور جدا جعل معظم هذه المدائح بأسماء غير من قيلت فيهم بعد تحوير طفيف [3] .

ب- شعر المديح الحربي :

ظهر في البيئة الأندلسية لون آخر من ألوان المديح و هو ما يسمى بالمديح الحربي الذي يختص بالتغني بالبطولات والأمجاد التي حققتها الأمة على أعدائها، و أشاد هذا اللون في الشعر بصفات الممدوح التي أثارت إعجابهم دون أن يكون ذلك من أجل العطايا أو لغرض التكسب .

وقد انفرد بهذا اللون ابن دراج الذي راح يمدح المنصور و ابنه المظفر، ومنذر و ابنـــه يحيى، و من اللافت للنظر أن كتب تاريخ الأدب لم تذكر من هذا الشعر إلا مقطوعة صـــغيرة لعبدالملك بن سعيد المتوفى سنة ٣٦٦ هـــ، صور فيها وفود اردون بن ادفوش عندما وفدوا إلى الحكم المستنصر يطلبون منه الصلح و يقول في هذه المقطوعة:

ملك الخلافة آيه الإقبـــــال	**وسعوده موصولة بتوالي**
فالمسلمون بعزة وبرفعــــــة	**والمشركون بذلة وسفال**

[1] - الفتح بن خاقان، قلائد العقيان، تحقيق الطاهر بن عاشور، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٩٠م ، ص ٦٧٧.
[2] - أبو القاسم محمد الكلاعي ، أحكام صنعة الكلام ، تحقيق محمد رضوان الداية ،ط٢ بيروت ، عالم الكتب ،١٩٨٥،ص ٤٥.
[3] - املبيو غارثيا غومث ، الشعراء الأندلس ، ترجمة حسين مؤسس ، بدون ط ، القاهرة ، مكتبة النص المعرفة . ط٤ .

ألقت بأيديها الأعاجم نحوه   متوقعين لصولة الرئبال
هذا أميرهم أتاه آخذا   منه أواصر ذمة وحبال [1]

ومن اللافت للنظر كذلك أن المنصور لم يحظ بتخليد معاركه و انتصاراته و انتصارات ابنه عبدالملك فيما بعد بما يتناسب مع هذا الظفر، وبخاصة أن فترة حكمة عاصرها عدد من الشعراء الكبار مثل: يحيى بن هذيل (ت ٣٧٩ هـ) وطاهر بن مهند المعروف بالمهند (ت ٣٩٠هـ) ، و عبدالملك بن إدريس الجزيري (ت ٣٩٤ هـ) و غيرهم[2] . و يرى أبو العباس المراكشي في كتابه البيان المغرب أن عدم تخليد تلك المعارك و الانتصارات يعود إلى عدة أسباب منها [3]:

١- أسباب سياسية:

حيث يرى المؤرخون أن سياسة الاستبداد و القمع التي مارسها المنصور مع الناس بصورة عامة قد دفعت الكثير من الشعراء إلى رفض هذه السياسة مما جعله يلقي بهم في غياهب السجون.

٢- أسباب شخصية:

فهناك بعض الأسباب الشخصية التي دفعت بالعديد من الشعراء لعدم التعرض لمثل هذه الانتصارات، فمثلا طاهر بن محمد بالرغم من انه عاش في الدولة العامرية زمنا لا بأس به تكاد تكون فترة حكم المنصور كلها إذ توفي سنة ٣٩٠ هـ ، " إلا أن ما أصابه من الشك و الزهد في آخر أمره ، حيث وجدت له رسائل عجيبة و مقالات في الزهد ، ولزومه ضيعة من ضياع قرطبة " [4] ، هو السبب فيما يبدو في عدم وجود شعر له ولا لغيره باستثناء ابن دراج ، و صاعد البغدادي – في أيام هذه الدولة ." وما وصلنا من شعر طاهر

---

[1] - انظر ابو العباس احمد المراكشي، البيان المغرب ، ، .ج٢، ص٢٣٥.

[2]- انظر ابو العباس احمد المراكشي، البيان المغرب، ، ج٣، ص١٣، بتصرف.

[3]- نفس المرجع جـ ٣، ص ١٣ بتصرف.

[4]- عبدالله بن محمد ابن الغرضي، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: إبراهيم الابياري، بدون ط، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٤، ص ٢٤٥.

بن محمد ينتمي إلى فترة الخلافة و بالتحديد في أيام هذه الدولة "[1]. وأما الرمادي كما يقول المراكشي:(فنكل به ابن أبي عامر وأمر بتغريبه، و شفع له عنده في أن يتركه ببلدة فأذن له في ذلك،غير أنه خرج الأمر من جهته لا يكلمه أحد من العامة ومن الخاصه فأقام كالميت[2] .

٣- معاداة المنصور للفكر و المفكرين، فقد اتخذ المنصور سياسة عدائية ضد علم الفلسفة و الفلك و التنجيم و احرق كافة الكتب المتعلقة بهذه العلوم، فاستمر أثر ذلك العداء في نفوس الفئة المثقفة في قرطبة ورأوا فيه عملا مسيئا وإهدارا لطاقات المبدعين فآلم ذلك مشاعر الشعراء فانصرفوا عن مديحه و التغني ببطولاته.

ت- شعر الشكوى في المديح

اتجه بعض الشعراء اتجاها آخر في المديح إذ ظهر في الأندلس على وجه التحديد في مدينة قرطبة ما يسمى شعر المديح الشاكي و كان ذلك في آخر القرن الرابع و خلال القرن الخامس من أمثال: جعفر المصحفي، والجزيري، و الطليق، وابن دراج، و ابن شهيد، و ابن حزم، و ابن زيدون، وغيرهم ممن شكوا عصرهم و عبروا عما يجول في خاطرهم من ألم و معاناة لما يصيبهم من إحباط و عدم قدرته على التكيف في مجتمع لا يقدر مواهبهم وأخذت الشكوى عندهم أشكالا متعددة، فشكوا آلام السجن، وفراق الأحباب، والغربة في قرطبة ثم الحنين إليها، والفقر والشعور بالحاجة، ونكبات الدهر، وتنكر الأصدقاء و حسد الآخرين [3].

ومن نماذج هذا الشعر ما قاله ابن زيدون في مدحه ابن جهور إذ جاءت قصيدته بدايتها غزلية شاكية يقول مخاطبا محبوبته :

أظنينة دعوى البراءة شأنها — أنت العدو فلم دعيت حبيبا
ما بال خدك لا يزال مضرجا — بدم ولحظك لا يزال مريبا

---

[1] – انظر عبدالله الغرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ص ٢٤٥.

[2]- نفس المرجع ج ٢ ، ص ٩٢٤ .

[3] - محمد سعيد محمد ، الشعر في قرطبة ، ط ١ ، ابوظبي ، منشورات المجمع الثقافي ، ١٩٩٧ ، ص ٢١٤.

وَلَزُرتهِ بَل عُدتهِ إنّ الهَــوى مَرَضٌ يَكونُ لَهُ الوِصالُ طَبيبا
ما الهَجرُ إلا البَينُ لولا أنـّـه لم يَشحُ فاهُ بِهِ الغُرابُ نَعيبا
ولَقَد قَضى فيكِ التَجلُّدُ نَحبَـه فَثَوى وأعقَبَ زَفرَةً ونَحيبا
وأرى دُموعَ العَينِ لَيسَ لِفَيضِها غَيضٌ إذا ما القَلبُ كانَ قَليبا [1]

فمن مقدمة هذه القصيدة يتضح لنا مدى إحساس الشاعر بالغربة، و الحزن، فالشاعر عاش زمنا مع ولادة بنت المستكفي، إلا إن هذا الحب ضاع و تبدد و لم يبق منه إلا إطلاله في نفس الشاعر، و صاحب هذه الهموم هموم أخرى هي فقد الأهل و الأصدقاء الذين تخلوا عنه، و دخوله السجن و غيرها من المحن و الهموم.

و توحي هذه القصيدة كذلك بعدم وفاء ابن جهور له بأن يصل إلى مكانه مرموقة في دولته، و يتقلد منصبا كبيرا، كل ذلك جعل الشاعر يصل إلى حالة عدم التوازن و الشعور بالأسى و الحزن. وبعد هذه المقدمة الشاكية ينتقل الشاعر إلى وصف ما آل إليه من سوء الحال فيقول:

ما لي وَلِلأيامِ لَجّ مَعَ الصِبا عُدوانُها فَكَسا العِذارَ مَشيبا
مَحَقَت هِلالَ السِنِّ قَبلَ تَمامِهِ وَذَوى بِها غُصنُ الشَبابِ رَطيبا [2]

ففي هذه الأبيات تصوير لحياة الشاعر فهو يمر بمرحلة قاسية من حياته يشعر فيها بأنه يسير إلى نهاية بائسة كما يسير عمر الإنسان من الشباب إلى الشيخوخة ومن الصحة إلى المرض، وهذه المحن من يمر بها لا يستطيع أن يتحملها مهمة كانت قوته. و يحاول الشاعر أن يستجمع قواه، و يستعيد بعض صبره و تجلده و يزعم أنه قوي، و استمد قوته من لجوئه إلى ابن جهور، و بذلك دخل إلى غرض القصيدة و هو المديح:

فَلَئِن تَسُمني الحادِثاتُ فَقَد أرى لِلجَفنِ في العَضبِ الطَريرِ نُدوبا
مَلِكٌ أطاعَ اللهَ مِنهُ مُوفَّقٌ ما زالَ أوّابًا إليهِ مُنيبا
يَأتي رِضاهُ مُعادِيًا ومُوالِيًا ويَكونُ فيهِ مُعاقِبًا ومُثيبا

[1] - ابن زيدون ، <u>ديوان ابن زيدون</u> ، تحقيق علي عبد العظيم ، القاهرة ، دار نهضة مصر ، ص٣٢٤ .
[2] - نفس المصدر .

مُتمرّسٌ بالدهر يقعُدُ صرفـــــهُ إن قام في نادي الخطوبِ خطيبا ١
لا يوسَمُ الرأيُ الفطـــــيرُ بهِ ولا يعتادُ إرسالَ الكلامِ قضيبـــا
تأبى ضرائبُهُ الضروبَ نفاســـةً مِن أن تقيسَ بهِ النفوسُ ضريبا
بسّام ثغرِ البشرِ إن عقدَ الحُبــا فرأيت وضّاحا هناكَ مهيبـــا
ملأ النواظرَ صامتا ولربّمــــا ملأ المسامعَ سائلا ومُجيبــــا
عقدٌ تألّف من نظامِ رياســــةٍ نسقَ اللآلئَ منجبا ونجيبـــا
يغشى التجاربَ كهلُهم مستغنيا بقريحةٍ هيَ حسبُهُ تجريبـــا

وعاد الشاعر بعد ذلك يشكو أعداءه فيقول:

يغشى التجاربَ كهلُهم مستغنيا بقريحةٍ هيَ حسبُهُ تجريبا
وإذا المنى بقبولكَ الغضِّ الجنـــى هُزّت ذوائبُها فلا تثريبـــا
كم ضاقَ بي من مذهبٍ في مطلبٍ فثنيتُهُ فسحَ المجالِ رحيبـــا [٢]

ومن خلال النظر في أبيات هذه القصيدة نجد أنها بالرغم أنها قيلت فـــي المـــديح إلا أن المسيطر عليها هو روح الشكوى و الإحساس بالقلق و الغربة من بدايتها إلى نهايتها، رغـــم أن موضوعها الأساسي هو المديح، و الشاعر هناك لا يستطيع أن يهرب من معاناتـــه و أشـــجانه المسيطرة عليه.

ثانيا : الهجاء :

الهجاء ضد المديح، ولما كان المديح الجيد المصيب إنما يكون بالفضائل النفســية، فكـــذلك الهجاء الجيد إنما يكون بسلب هذه الفضائل " ولم يكن الهجاء غرضا ذا شأن يذكر فـــي الشـــعر الأندلسي عموما، وما نجده عند ولادة بنت المستكفي أو أبي بكر المخزومي الأعمي أو السميسر و ابن الخطيب " [٣]، لا يرقى في سلم الهجاء إلى ذلك الذي كان عند ابن الرومي والحطيئة." وقد

---

[١] – ابن زيدون ، الديوان ، مصدر سابق . ص ٣٢٣ .

[٢] – انظر ديوان ابن زيدون ، مصدر سابق ، ص ٣٢٥ و ما بعدها .

[٣] – انظر نفح الطيب للمقري، ، جـــ ٤، ص ٢٠٥، ولسان الدين الخطيب، الاحاطه في أخبار غرناطه، ط ١، القاهرة، مكتبة الخاجي، جـــ ١، ص ٢٤٥، و ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، لبيبا، الدار العربية للكتاب، تحقيق: إحسان عبـــاس ، ١٩٧٥ ، ج ٢ ، ص ٨٨٢ .

يكون ضعف فن الهجاء في الأندلس يعود إلى خلو البلاد من الطوائف و الأحزاب، ومن ثم لـم تفرض السياسة على الشعراء سلطانها[1]، و يعود ذلك أيضا للالتزام الأخلاقي حيث يقـول ابـن حمديس الصقلي و هو من شعراء القرن الخامس :

يقولون لي لا تجيد الهجـاء	فقلت وما لي أجيد المديـح
فقالوا لأنك ترجو الثـواب	وهذا القياس لعمري صحيح
فقلتُ صفاتي فقالوا حسـانٌ	فقلتُ نسيبي فقالوا مليـح
فقلت إليكم فلي حجـة	وللحق فيها مجال فسيـح
عفاف اللسان مقال الجميـل	وفسق اللسان مقال القبيـح
وما لي وما لامرئ مسلـم	يروح بسيف لساني جريـح[2]

ويبدو من شعره هذا أنه قد تجنب شعر الهجاء بسبب ترفعه عن الكلام القبيح و عفافه و لم يكن ذلك لقلة مقدرته. و توافقا مع هذا القول يكون الهجاء في هذه المرحلة نوعين.- نوع مقذع ساخر، وآخر يعنى بهجاء المدن و الهجاء الجماعي و فيما يلي نلقي الضوء على هذين النوعين:

١ – الهجاء المقذع الساخر :

اتجه بعض الشعراء نحو نقد و هجاء مقذع يتميز بالسخرية كهجاء عبد الكـريم القيسـي لأبي جعفر بن أبي حامد الحسين، الذي كانت له مع الشاعر خلافات اتضحت وبانت في كثيـر من شعره،" فقد علم يوما أن أبا جعفر قد طلب من بعض الشعراء أن يهجوه فقال القيسي مبادرا في كلام ساخر"[3] .

هجاؤك لي مدح فزدني من الهجـو	لعلك تشفيني من البث والشجـو
ندير كؤوس الوصل في كل ساعة	ونخطو إلى لذاتنا أوسع الخطـو
فنقطف أزهار المسرات غضـة	وطرف الردى جيران في سنة اللهـو
وقد كتبت كفي لك الود قطعـة	بدائعها تدعو العفيف إلى الصبـو
فما لقي القصد الذي كان ثاويـا	وما فاسق يلقى من القصد ما يثـوي

[1]-جورج غريب، العرب في الاندلس ، ص ٨٦ .
[2]- ابن حمديس الصقلي، الديوان، بيروت، دار صادر، تحقيق إحسان عباس ، ص ٩٤
[3] - عبدالكريم القيسي ، الديوان .

وباءَ بخزيٍ لا يُرام ولعنـــــــــــــةٍ كما باءَ إبليسُ الذي لم يزَلْ يَغـــوي
وباتَ ولم تظفر يداه بمطلـــــــــــب يحاكي الكلاب العاويات إذا تعوي
ولستُ أرى من سُكرِ حبّكَ صاحيـــا إذا ما أرى غيري يميل إلى الصَحـــــوِ

فالشاعر هنا وجه غرضا شعريا خدمة لغرض آخر، هجا بالغزل في كلام مخجل، شوه به سمعة صاحبه، فضح سرا خطيرا كان دفينا اتفقا على إخفائه عن الناس من قبل.

٢– **هجاء المدن والهجاء الجماعي** : ويظهر هذا الاتجاه في شعر القيسي فقال في قصـــيدة تعرض فيها للقضاه :

يا أهلَ بسطةَ دعوة من مشفـــقٍ لو فيكمُ لدعائه من يسمــــعُ
إنّ القضاءَ وظيفةٌ دينيـــــــــةٌ ما قطُّ قام بحقها من يطمـــــعُ
وأرى الذي وليَ القضاءَ بمصركمْ قد صار يطمعُ بالقضاء ويجمعُ[١]

فالقضاء في عصر الشاعر كان – حسب هذه الأبيات – و ظيفة دينية لم يســبق أن أسندت إلى غير زاهد في الدنيا، و ما حدث في بسطة اليوم تولية قاض طامع مستغل مسألة أثارت غضب الشاعر فأعلن موقفه الذي يستشف منه توجيهه لأهل بسطة – و منهم القضاة – نحو ما يأمر به الدين وإتباع سبله. و يقول الشاعر أبوبكر محمد بـــن احمـــد المعـــروف بالأبيض الاشبيلي في هجاء المرائين:

أهل الرياء لبستم ناموسكم[٢] كالذئب يذبح في الظلام العاتم
فملكتم الدنيا بمذهب مالك وقسمتم الأموال بابن القاســـم
وركبتم شهب البغال بأشهب بأصبغ صبغت لكم في العـالم[٣]

وقال ابن خفاجة الأندلسي في هجاء المتكسبين بالعلم والزهد:

---

[١] – عبدالكريم القيسي ، الديوان .ص٢٣ .

[٢] – معاني الناموس : المكر و الخداع و الاحتيال ، و منها : وعاء العلم و هو المراد هنا ، أي لبستم الرداء أو الزي الخاص بالعلماء ، يدلج : يسير بالليل .

[٣] - د. محمد رضوان الداية ، في الأدب الأندلسي، ص٧٥ .

دَرَسوا العُلوم ليَملِكوا بجِدالِهِم فيها صُدورَ مَراتِبٍ وَمجالِـــس
وَتَزَهَّدوا حتّى أصابوا فرصــــةً في أخذِ مالِ مَساجِدٍ وَكَنائِسِ [1]

ويدخل في هذا الاتجاه كذلك هجاء السميسر للبربر عامة، فقد جاء في نفح الطيب أن المعتصم بن صمادح لما بلغه أن خلف بن مزج السميسر هجاه، احتال في طلبة حتى وقـع في قبضته ثم قال له: أنشدني ما قلت في، فقال له: و حق من أوقفني بين يديك ما قلت شرا فيك، و إنما قلت:

رأيت آدم في نومي فقلت لـــه أبا البَرِيَّةِ إنَّ الناسَ قد حكَموا
أنّ الزراجين رهط مِنكَ قالَ إذن حواءُ طالِقةٌ إن كانَ ما زعموا [2]

فأباح ابن تلقين صاحب غرناطة دمي، فخرجت إلى بلادك هاربا، فوضع علي من أشاع ما بلغك عني لتقتلني أنت فيدرك ثأره بك، و يكون الإثم عليك، فقال: وما قلت فيه خاصة مضافا غلى ما قلته في عامة قومه؟ فقال : لما رأيته مشغوفا بتشييد قلعته التي يتحصن فيها بغرناطـة قلت:

يبني على نفسه سفاهـــا كأنه دودة الحريـــــــر [3]

فقال المعتصم: لقد أحسنت في الإساءة إليه، ثم أجاره و أكرمه حتـى خلـع عـن ملكـه وسلطانه[4] . وهناك اتجاه آخر يتمثل في هجاء الملوك و الحكام، وإن كان أقـرب إلـى النقـد الاجتماعي منه إلى الهجاء و يمثل هذا الاتجاه أبو القاسم خلف بن فرج السميسر و من هجائه أو نقده الاجتماعي:[5]

أسلمتم الإسلام فـــــي أيدي العداء وقعدتم !
وجب القيام عليكـــم إذ بالنصارى قمتـــم
لا تنكروا شق العصـــا فعصا النبي شققتـــم

---

[1]- انظر نفح الطيب للمقري ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٢١٨ .
[2] - بين سهل اليكي ، الموسوعة الشعرية ، ص٣٢ ، وانظر نفح الطيب للمقري، ص٣٣٨٠ في الموسوعة الشعرية .
[3] - انظر نفح الطيب للمقري، ص٣٣٨٠ في الموسوعة الشعرية . وانظر في الأدب الأندلسي لمحمد رضوان الداية ، ص٧٤ .
[4] – انظر نفح الطيب للمقري، مصدر سابق، ج ٤، ص ٣٨٠
[5] – انظر الذخيره ، لابن بسام الشنتريني ، مصدر سابق ، ٢/١ / ص ٣٧٤

وهناك اتجاه آخر فيه شبه من الشعر العباسي من حيث طول القصيدة و طبيعة الهجاء، و يمثل هذا الاتجاه ابن هاني الأندلسي، فله قصيدة من اثنين وأربعين بيتا يهجو فيها الـوهراني كاتـب الأمير جعفر بن علي الأندلسي و مما جاء في هذه القصيدة :

إنّ أيّام دهرِنا سَخِفَـــــــــات — فهي أعوانُ كلّ وَغدٍ سخيف

إنّ دَهرا سَمَوتَ فِيهِ علــــــوّا — لوَضيعُ الخطوبِ وغدُ الصُرُوفِ

إنّ لفظا تلوكُهُ لشَبيــــــــه — بك في منظرِ الجفـــاء الجليف[1]

كاذبُ الزّعم مستحيلُ المعاني — فاسِدُ النّظم فاسدُ التـــــأليف

أنت لا تغتدي لتدبــــيرِ مُلكٍ — إنما تغتدي لرغم الأنـــــوفِ

نِلتَ ما نِلتَ لا بعقلٍ رصــــينٍ — في المساعي ولا برأيٍ حصيــف[2]

وظهر اتجاه في هذا اللون من الشعر يوصف بالفاحش المليء بالقذف والسـباب ممـا يؤذي المشاعر، ويبعث الاشمئزاز في النفوس وممن تورط في هـذا الاتجـاه أبـو بكـر المخزومي هجاء الأندلس، " والذي قال فيه لسان الدين بن الخطيب في الاحاطة: كان أعمى شديد الوقاحة وسوء الأدب معروفا بالهجاء، متسلطا على الأعراض، سريع الجواب، ذكـي الذهن، فطنا للمعاريض، سابقا في الهجاء، فإذا مدح ضعف شعره"[3] . وقد تورطت بعـض شاعرات الأندلس في هذا الاتجاه مثل نزهون بنت القلاعي ، وولادة بنت المستكفي الأموية.

---

[1]- الجليف: الجلف الجاف في خلقه و خلقه.

[2] - د. عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص٢٥١-٢٥٢ .

[3]- لسان الدين بن الخطيب ، الاحاطه ، بدون ط ، بيروت ، دار المكشوف ، ١٩٦٥ م ، ص ٦٨ ، و انظر نفح الطيب ، ج ٢ ، ط ٣ و انظر الأدب العربي في الأندلس لعبد العزيز عتيق ، ، ٢٥٣ .

المطلب الثاني
الغـــزل

في نظرة إلي البيئة الأندلسية وتضاربها نجد أن كل شيء فيها يغري بالحب و يدعو إلـــى الغزل، فمن هنا لم يكن أمام القلوب الشاعرة إلا أن تنقاد إلى عواطفها، فأحبت وتغزلت ثم خلفت وراءها كما هائلا من شعر الغزل الرائع الجميل. " وأوضح سمات هذا الغزل تتجلى في رقتــه الناشئة من التفنن البياني في وصف محاسن من يقع الشعراء في حبهن مـــن نســـاء الأنـــدلس الجميلات، و في تصوير مشاعرهم المتضاربة تجاههن من وصل و هجر، وقرب وبعد، و إقبال و إعراض " [1] .

ومن الغزل الجيد في أوائل الشعر الأندلسي قصيدة الأمير الأموي عبدالرحمن بن الحكم و المعروف بالأوسط جمع فيها بين الغزل و الحماسة، فقد كان الأمير في غزوه بأرض جيليقيـــة الشمالية و طال بعده عن زوجته المسماة طروب[2] .

فقدت الهوى مذ فقدت الحبيبـا	**فمـــا أقـــطع الليل إلا نحيبا**
و إما بدت لي شمس النهـــــار	**طالــــــعة ذكرتني طروبا**
فيا طول شوقي إلى وجههـــــا	**ويا كبدا أورثتها ندوبـــــا**
ويا أحسن الخلق في مقلـــــتي	**وأوفرهم في فؤادي نصيبـــا**
لئن حال دونك بعد المـــــزار	**من بعد أن كنت منى قريبا**
لقد أورث الشوق جسمي الضنا	**وأضرم في القلب منى لهيبـــا**
عداني عنك مزار العـــــــدا	**وقودي إليهم لهاما[3] مهيبـــا**
سموت إلي الشرك في جحفل	**ملأت الحزون به و السهوبـــا**

فالغزل هنا رقيق، والشاعر فيه متشوق إلى محبوبته، و يتذكرها بعد طول غياب و يعتـــذر بأسلوب غزلي عن غيابه عنها، فطول غيابه يعود إلى دفاعه عن أرض وطنه و كرامتـــه وقـــد شارك ابن عبد ربه الشعراء في هذا الفن فجاء في ديوانه:

[1] – انظر الأدب العربي في الأندلس لعبد العزيز عتيق ، ص ١٦٩ .
[2] - – انظر البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٨٢ ، و تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٨٠ و نفح الطيب ، ج ١ ، ٤٣٩ .
[3] – اللهام : الجيش العظيم ، و المهيب من المهابة .

يا لؤلؤا يسبي العقول أنيقـــا — **ورشا بتقطيع القلوب رفيقـــا**
ما إن رأيت ولا سمعت بمثلـهِ — **درًا يعودُ منَ الحياء عقيقـــا**
وإذا نظرت إلى محاسنِ وجههِ — **أبصرتَ وجهكَ في سناه غريقا**
يا من تقطعَ خصره من رقـةٍ — **ما بالُ قلبكَ لا يكونُ رقيقـــا**[1]

فهذه المخاطبة " كاللؤلؤ المنظوم، والرشا الرشيق، وهي تجمع ما بين محاسن جمال الخلقة وروعة الحياء، واشتهر في عصر الخلافة احمد بن فرج الجياني"[2] ، الذي برع في الغزل و عده الدكتور شوقي ضيف بأنه حامل لواء الشعر العذري في الأندلس و من أشعاره المشهورة :

وطائعة الوصال عففت عنهـــا — **وما الشيطان فيهـــــا بالمطاع**
بدت في الليل سافرة فبـــــاتت — **دياجي الليل سافـــــرة القناع**
و ما من لحظه إلا و فيهـــــــا — **إلى فتن القلوب بهـــــا دواع**
فملكت النهى جمحات شوقي — **لأجري في العفاف على طباعي**

وكان كثره من خلفاء بني أمية و أمرائهم ينظمون الشعر، و يجيدون، و نجد في أشعارهم ميلا إلى شعر الغزل الذي استحسنه العرب من قديم، و صار غرضا من أغراض كل من نظـم الشعر. و كل ما قيل سالفا فإنه يعد من الغزل التقليدي، بمعنى أن شعر الغزل عند بعض شعراء الأندلس مقدمة لقصائد المديح في الشعر العربي، و أصبحت تقليدا يسير عليه شـعراء العربيـة أينما كانوا.

ومن أنواع الغزل التي كانت سائدة في الأندلس " الغزل الحسي " فقد كانت أغلب النســاء اللاتي تغزل بهن شعراء الغزل الحسي من الجواري و الإماء اللاتي كانت تعج بهن قرطبة في قصورها، وأماكن لهوها و من المعروف تاريخيا أن المجتمع القرطبي خاصة كان خليطا مــن أجناس متعددة. وهناك سكان البلاد الأصليين و البربر و العرب.. و لهذا جاء شعر الغزل فــي الجواري ضعيفا إلى حد ما، إذ لم تظهر فيه تلك اللهفة الحارة و الشوق الشديد إلا نــادرا، لان الشاعر هنا يطلب اللذة العاجلة ولا يهمه إلا الجسد.

---

[1] – ابن عبد ربه ، الديوان ، مصدر سابق ،ص

[2]– أبو عبدالله محمد الحميدي، جذوه المقتبس ، مصر ، الدار المصرية للتأليف و الترجمة ، ١٩٦٦ ، ص ٩٧ .

وجاء بعض الشعر الحسي صريحا كما هو الحال عند أبي عامر بن شهيد الذي دفعتـــه الحيـــاة الاجتماعية إلى اللهو و العبث و المجون، فعبر عن هذه الحياة اللاهية دون حياء أو خجـــل. و مقابل هذا الشعر هناك شعر آخر صريح لكنه يبتعد عن الفحش و من ذلك قول الطليق[1]:

غصن يهتز في دعص نقا يجتني منه فؤادي حرقـــا
أطلع الحسن لنا من وجهه قمرا ليس نراه ممحقـــــا
وتناهى الحسن فيه إنمـــا يحسن الغصن إذا ما أورقا

وخلاصة القول فإن الصورة التي رسمها شعراء العربية من قبل في الوصف الخارجي للمـــرأة هي الصورة نفسها التي رسمها شعراء الأندلس و خاصة شعراء قرطبة لها في الغزل الحســـي الفاحش و غير الفاحش، و كانوا يركزون على وصف كافة أجزاء جسد المرأة، لا يطلبون الحب بل يعشقون الجسد في حسية شهوانية ماجنة في بعض الأحيان، و يبدو أن سبب ذلك كان كثـــرة الكنائس وأماكن اللهو المنتشرة في بيئاتهم، و كذلك تأثرهم بالشعر العباسي الخليع[2] .

[1] – انظر د. محمد رضوان الداية ، الأدب في الأندلس ، ، ص٥٦ . و الدعص : القطعة المستديرة من الرمل . والطليق : هو أبو عبد الملك بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر ، ويعرف كذلك بالمرواني الطليق، أو الشريف الطليق ، وقد ذكره المراكشي في كتابه" المعجب" .

[2] – انظر محمد سعيد محمد، الشعر في قرطبة، ، ص ٣١٢.

الفصل الثالث
الصورة العامة والخاصة
للمرأة في الشعر الأندلسي
المبحث الأول
الصورة العامة

تتمثل صورة المرأة العامة في الشعر الأندلسي في الصور المجازية والوجدانية وما يتعلق بلباسها وزينتها وفيما يلي عرض لذلك من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول
الصورة المجازية للمرأة

أثرت المرأة بشكل كبير على لب الشاعر وفكره بسبب فتنتها وسحرها وأساليبها، وكان من نتائج هذا التأثير أن وصفها الشاعر وصفاً مادياً حسياً منطلقاً من مضامين رؤيته الشعرية لها، فاعتنى ببيان صور الجسد المادية و بيانٍ تفاصيلهٍ الدقيقة.

وقد اتجه شعراء الأندلس وبخاصة في عصر بني الأحمر وعصر الطوائف إلى البحث عن نموذج نسائي للجمال المادي الملموس الذي يستثير فيهم القرائح، ويشحذ القدرات، وربما دفعتهم حياة القلق الملازمة دائماً للاضطرابات النفسية و السياسية إلى الإنشاد في هذا اللون، فذهبوا يتغزلون بالمرأة، ويتحدثون عن مفاتن جسدها، وربما وصفوا مغامراتهم معها، وقد كانت أيضاً مصدر إلهامهم في مجالس اللهو، ومشارب الخمر، و مراقص الأنس، ومحافل الغناء "[١].

وقد تباينت آراء الشعراء في تحديد معالم هذا اللون، " فمنهم من جاءت عنده تقليدية، ومنهم من استقى معالم هذا الجمال المادي للمرأة من واقع بيئتهم الاجتماعية التي امتزج فيها الجمال التقليدي بعناصره الموروثة عن العرب بالجمال المادي الذي جاءت به المرأة بعناصره الجديدة التي طالما تعطش الشعراء لها في بحثهم عن الجمال المطلق لجسد

[١] - حمزة محمد عبد الهادي، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بني الأحمر، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الاردنية، ص٢ .

المرأة لأنها امرأة المتعة واللذة. فجاءت المرأة الأندلسية شبيهة في بعض صفاتها المادية بالمرأة المشرقية فهي حوراء العين أسيلة الخد، هيفاء القامة، لفاء الجسم "[1]، تحاكي البدر ضياء والشمس نوراً والنجم لمعاناً والقضيب قداً والورد حمرةً، ... فهي مفردة الحسن لا شبيه لها .[2] وقد عرف العرب مثل هذه الصفات للمرأة وكانت شائعة فيما بينهم فقد نقل عن الأصمعي أنه قال :" سمعت امرأة من العرب تصف امرأة وهي تقول: سطعاء بضة، بيضاء غضة، درماء رخصة، قبّاء طفلة، تنظر كعيني شادن ظمآن وتبسم عن منوّر الأقحوان في غبّ التهتان، وتشير بأساريع الكثبان، فلقها عميم وكلامها رخيم"[3].

ويتجلى في هذا الوصف صورة التمثال الجمالي الذي تناقله العرب، وأسبغ عليه الشعراء آيات من الحسن والجمال في قصائدهم وأشعارهم[4]. وصف لسان الدين بن الخطيب جمال المرآة وصفاً رائعاً، فتحدث عن رشاقة قدّها وفتور طرفها وأثرها في القلوب، وإعجابه بنضارة خديها ولونهما الأبيض النقي الممزوج بحمرة، فقال:

يا بانة تلوي معاطفها الصبا ... للحسن بين حدائق ورياض
ولدت أشكال الجمال بوجنة ... ألفت فيها حمرة ببياض
وأصبت لي قلبا صحيحا سالما ... عمدا بأجفان لديك مراض[5]

فمثل هذه الأوصاف وردت فيما قاله الشعراء العرب قديما، فهي في حقيقتها محاكاة لمل قاله شعراء المشرق في المرأة من قبل، وبإمعان النظر في هذه الأبيات نجد أنها تتميز بأسلوب سهل سلس راق، مع إبداع في التشبيه والتصوير، والشاعر هنا يستعين بالطبيعة في بعض أوصافه، مما زاد من أناقة الأبيات وجمالها. ويرى الدكتور مصطفى الشكعة أن مزج

---

[1] –هيفاء: دقيقة الخصر ضامرة البطن، انظر لسلن العرب لابن منظور، مادة هيف، لفآء: كثيرة لحم الفخذين، مادة لفّ

[2] –نعمات أحمد فؤاد – المرأة في شعر البحتري ، ص ١٦ –١٧.

[3] – الحصري – زهر الأداب ،(تح محمد محي الدين عبد الحميد) ط٤ ، بيروت ، دار الجيل ، ١٩٧٢ ،ج ٢ ، ص ٩٨٧ ، سطعاء : من طال عنقه ، ابن منظور ، مادة سطع / بضة :امتلأ الجسم وضر ، ابن منظور ، مادة بض / غضة : رقيقة الجلد ، ابن منظور ، مادة غض / درماء امرأة لا كعوبها و مرادفها لامتلائها ، ابن منظور ، مادة درم : طفلة : المرأة الناعمة الرقيقة ، ابن منظور ، مادة طفل رغب : آخر الشيء وعاقبته ، ابن منظور ، مادة غبّ / التهتان : التواء في اللسان كاللكنة ، ابن منظور ، مادة همت / اساريع : دود أبيض حمر الرؤوس تشبه به أصابع المرأة ، ابن منظور ، مادة سرع .

[4] - حمزة محمد عبد الهادي، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بني الأحمر، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الاردنية، ص٣ .

[5]– الصيب والجهام ، ، ص ٦٠٦

الطبيعة بالغزل أمر مقبول، بل هو تزاوج طريف بين فنين أليفين رقيقين "[1]. والشعراء الذين استعانوا بالطبيعة في أوصافهم كثيرون، فهذا يوسف الثالث – كمعظم شعراء الأندلس – وجد في الطبيعة ما أعانه على التعبير عن مجال شوقه، فاستمدّ بعض أوصافه للمرأة من مشاهد الطبيعة، واستعان بالغزل لتصوير بعض ملامح الطبيعة، بل أراد أن يرفع المرأة ويعلي منزلتها فجعلها من الطبيعة بحيث لا يضاهيها أحد في جمالها وحسنها فيقول:

هل البانُ يحي منْ معاطِفك القـدا ... أو الوردُ في توريدهِ يُشبه الخـدا
لقد أخطأ التشبيه مَن حسب السُها ... يُقاوم في آفاقه القمرَ السعدا
وهل لِحلِي ليلى نظيرٌ وإن هُـم ... يظنون منها الثغر قد أشبَه العقدا
أو الغصن المرتاح يحكي انثناءها ... أو الزهرُ نثرا في التكلم أو نضدا
هي الغايةُ القصوى محاسنُ لم تجد ... شبيها لها في الغانياتِ ولا نِـدا[2]

ونجده في قصيدة أخرى يصف جمال صاحبته، وافتتانه بهذا الجمال، فيتحدث عن عينيها وشعرها وقدّها ولحاظها وثغرها وأسنانها[3]، وقد جعلها تفوق الشمس بهاءً وإشراقاً، كما التفت إلى كلامها وتحدّث عن سحره وفتنته، مشبهاً إياه بالدر على عادة الشعراء يقول :

تردتْ رداءَ الفخرِ وهوَ محبَـر ... لها من ظلام الليل فرع ومحجـرُ
فتاة تريك الشمسَ عند طلوعها ... ولكنها أبهى جمالا وأبهـرُ
فمِن قدَها رمح لقلبي انثنـاؤة ... ومن لحظها عَضبٌ على مشـهرُ
فالله ذاك القد وهو مُهفهـف ... ولله ذلك الثر وهو مُؤشـرُ
ويا حسنها يبدي الثنايا كأنما ... يلوح بمرآها عقيقٌ وجوهـرُ
فيالك من سمطٍ بفيها مُنظـم ... له كلم كالدرِ وهو مُنشـرُ
عجبت لها ملءَ العيونِ بدائعـا ... لها العطفُ يزهي والحديقةُ تزهـرُ[4]

فنرى الشاعر هنا يستعين بمحاسن الطبيعة في حديثه عن المرأة، " وبهذا يمنح صُورة فيها شيئاً من التألق والجمال، كما يستمد من بيئته المترفة بعض الصور، إذ يشبه أسنان

---

[1] – مصطفى الشكعة ، الأدب الأندلسي ، موضوعاته وفنونه، ط٣، بيروت، دار العلم للملايين، ، ص ٣٤٢ – ٣٤٣

[2] – الملك يوسف الثالث ملك غرناطة ، الديوان ، ط٢، تحقيق عبدالله كنون ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ،١٩٦٥ م، ص ٤٥.

[3] - حمزة محمد عبد الهادي، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بني الأحمر، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الاردنية، ص٤ .

[4] – نفس المرجع ، ص ٥٨ ، عضب ، السيف القاطع ، المؤشر ، من التأشير ، وهو أن تحدد المرأة أسنانها وترققها – المحجر ، مشق جفن العين ، السمط الخيط مادام فيه خرز ، مادة أشر ، مادة حجر ، مادة عضب ، مادة سمط.

المحبوبة بالعقيق والجوهر، فهو وإن أتى بتشبيهات قديمة، لكن أوصافه لم تخلُ من جديد بسبب افتقاره للمعاني" [١]، ونفاد حصيلته منها. ولقد كرر الشاعر هذه الأوصاف والمحاسن كثيراً في معرض شعره الغزلي، الأمر الذي افقد هذه الصور بهجتها، وقد كرّرها بذات الأصباغ و الألوان، ولعل ذلك، يعود إلى افتقاره للمعاني، ونفاد حصيلته منها .

وفي غزل ابن فركون يجد الباحث أوصافاً عديدة لأعضاء المرأة ومحاسنها، وهذه الأوصاف مستوحاة من أحضان الطبيعة، فيتحدّث عن لين قوامها، وجمال عينيها وعذوبة ثغرها وسلامة أسنانها، فمن الحري بهذه الأسنان ألا تخرج إلا ما يشبهها جمالاً من ألفاظ وحديث، وبهذه المقاييس الجمالية تكون المرأة في شعر ابن فركون قد اكتملت حسناً وجمالاً فيقول :

أين ليل نعمت فيه بليلى … وعلينا من النجوم رقيب
فهي تحكيه إذ يروق جمالا … زهرة أو يميل منه قضيب
منطق لين وعين كحيل … وقوام لدن وثغر شنيب [٢]

وهو في هذه الأبيات لا يغفل الحديث عن الطبيعة، فيجمع بين الطبيعة والمرأة – على عادة شعراء الأندلس – فيذكر الحب في أحضان الطبيعة، ويتخذ الطبيعة سبيله إلى الغزل واستجلاء مفاتن الحبيب، وبهذا يخلع على أوصافه لوناً بهيجاً من الجمال، ويبتعد بها ما أمكن عن رتابة التقليد.

وقد وصف ابن خاتمة مفاتن المرأة، وتتبع أجزاء الجمال في جسمها، وشبّهها بعناصر الطبيعة، فوجهها متلألئ كالبدر المنير، وقوامها ممشوق كالغصن النضير، وهي ليست مشابهة للغصن فحسب وإنما هي ضرته الأجمل، ولم يكتف الشاعر بهذا بل جعل محبوبته كالصباح في إشراقها، تضاهي الشمس ببهائها، كما تستهويه بجمال بشرتها، وصفاء أديمها، وثقل أردافها، وجمالها هذا يغنيها عن الحلي الصناعية فيقول:

أأخيه البدر المنير، وضرة الـ … ـغصن النضير، وربة القلب الوفي
لله أنت مهاة خدر لو بدت … للشمس حيّتها ولم تتوقف
هيفاء يثنيها الصبا طوع الصبا … تلتاح عن مثل الصباح المشرف

---

[١] - حمزة محمد عبد الهادي، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بني الأحمر، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الاردنية، ص٤ .

[٢]– ابن فركون (ابو الحسين بن احمد بن سليمان) ، الديوان، تعليق : محمد بن شريفة ، الرباط ، أكاديمية المملكة المغربية، ص ٢٥٧ ، شنيب : رقة وعذوبة الأسنان ، لسان العرب ، مادة شنب

درية الجسم استشف أديمها | فيكاد مضمر سرها لا يختفي
حسناء قد جلت بفضل جمالها | عن زينة بتطوق وتشنف [1]

وحديثه هذا شبيه بحديث الشاعر القديم عن محبوبته، فمحاسن المرأة التي فضلها العربي منذ الجاهلية ما زال الشعراء يذكرونها في غزلهم في هذه الفترة. والملاحظ أن شعراء هذا العصر لم ينتزعوا المرأة من إطار الطبيعة، فكانت طبيعة الأندلس الغناء تمدهم بالصور والتشبيهات، فإذا أراد الشاعر أن يتغزل أمدته الطبيعة بمعاني الغزل، وإذا أراد أن يُبدع في وصف الطبيعة استعان بآيات الجمال عند من يحب، من هنا امتزجت أوصاف الطبيعة بأوصاف المحبوب في أشعارهم، وهم في هذا الجانب متأثرون إلى حدّ كبير بابن خفاجة شاعر الطبيعة المبدع .

ويقول المقري في نفح الطيب عن الأندلسيين إنهم: " إذا تغزلوا صاغوا من الورد خدوداً، ومن النرجس عيوناً، ومن السفرجل نهوداً، ومن قصب السّكر قدوداً، ومن قلوب اللوز وثغور الأقاح مباسم، ومن ابنة العنب رضاباً "[2]، وهم بهذا يمنحون غزلهم لوناً بهيجاً من الجمال تقدمه الطبيعة الأندلسية الآسرة ، بما فيها من جنان وثمار عذبة وأزهار فاتحة .

ولا بد من تتبع الصور التي رسمها هؤلاء الشعراء للمرأة، كي نتبين مدى تمثلهم للذوق العربي، ومدى استجابتهم لمتطلبات بيئتهم وأذواق عصرهم، و نتبين أيضاً المقاييس الجمالية الحسية التي ينشدونها في المرأة.

ووصف شعراء الأندلس وخاصة في عصر بني الأحمر وعصر الطوائف مفاتن جسد المرأة، فوصفوا شكلها العام وما أثاره من شوق في قلوبهم،" ووصفوا قامة المرأة وشعرها ووجهها ولحاظها وثغرها وخدها وخصرها ونهودها وأصابعها... وقد ابتعدوا في هذا الضرب ما أمكن عن الألفاظ الفاحشة، والتزموا حدود الأدب والأخلاق، فابن خاتمة له أبيات في مغنية، أجادت في الغناء، كما أجادت في فنون الرقص المختلفة، تحدث عن شكلها العام، ووصف محاسنها، وأسبع عليها أوصافاً كثيرة، فهي ناعمة القد "[3]، رشيقة القوام،

---

[1]– ابن خاتمة الأنصاري (أبو جعفر احمد بن علي الأنصاري) (تح محمد رضوان الداية) ، الديوان، دمشق ، دار الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٧٢ م، ص ٧٨ – ٧٩ .

[2]– المقري (احمد بن محمد المقري التلمساني ، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، (تح د/ إحسان عباس)، بيروت، دار صادر، ١٩٦٨ ، ج١ ، ص ٣٢٣ .

[3] - حمزة محمد عبد الهادي، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بني الأحمر، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الاردنية، ص٣٨ .

مشرقة الوجه، جميلة كالظبي، تبهر الأنظار بخفة حركاتها، وهي تؤثر فيمن يراها، وقد بلــغ إعجابه بها حداً فائقاً فيقول[١]:

كأنَّ مفاصلها الخيـــزران فتبدو منَ الرَّقص في كـلِّ فنْ
فتاة يفوت النُّهى حسنُهـــا بها فتن الحبُّ مَن قدْ فتـــنْ
تجلت فجلت ضحىً في دجا فوجهٌ أنار وشعرٌ دجـــنْ
لِخلخالها ضمَّة ما رآهـــا سواه من الحلــــيِ إلا وأنْ
أيا ظبيةً في ظبا لحظهـــا وفي وجنتيها ضروب المحـــنْ
تلافيْ محبًا قضى نحبـــه وإنْ لمْ يكنْ قدْ قضى فكـأنْ
إذا لم تجودي له بالرِّضـــا ولمْ ترحميهِ بوصلٍ فمـــنْ

فالشاعر هنا لم يخرج عن مألوف الأوصاف التي[٢] اعتمدها الشعراء في الغزل، لكنــه عرضها بشكل جديد يناسب ذوق العصر وترفه، وخلع عليها شيئاً من نفسه وفكره وعاطفته. ويركز ابن فركون على الأوصاف الحسية في المرأة، ويرتضي من أوصاف الجمال ومحاسنه ما ارتضاه الشعراء القدامى، فيسير على مناهجهم، و يستمد كثيراً من صورهم ويعمــد إلـــى تكرارها في أكثر من موضع. فمحبوبته جميلة يشبهها بالغزال حيناً، و البــدر حينـــاً آخــر، وبالغصن تارة، وبالشمس تارة أخرى[٣]... يقول:

هيَ الظبيُ جيدا والقضيب تأوُّدا تثنى ملاكا دون شرطٍ ولا استثنا
بنيِّر مرآها وحسن قوامهـــــا إذا ما تبدت تخجل البدر والغصنا[٤]

ويقول :

هام الفؤاد بظبيةِ البــانِ التي منها استفاد البان لِين المعطـــفِ
لم يثنها قولُ الوشاةِ وإنـــما ريح الصَّبا مالت بغصــنٍ أهيَفِ
وتبسَّمت بعقيقها عن لؤلؤ شفةً شفت وجدي وإن لم ترشفِ[٥]

---

[١] - انظر ابن خاتمة الأنصاري، ص ٧٢.
[٢] - حمزة محمد عبد الهادي، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بني الأحمر ، ص٧ .
[٣] - نفس المرجع ،ص٣٩ .
[٤] – انظرديوان ابن فركون، ، ص ١٢٦.
[٥]– انظرديوان ابن فركون، ، ص ١٢٦، ص ١٢٩.

فهذه أوصاف جميلة وتشبيهات رقيقة استقاها الشاعر من سحر الطبيعة، ومن بديع صـــنع الله فيصف ابتسامتها التي تصور أسنانها كعقيق جميل، وقد جعلها تفوق البدر والشمس في حسنها فيقول:

هيَ الشمسُ يُستجلى سَناها وقد غَدا   لها البدرُ والجوزاءُ قرطا ودُملجـــــا
فمَنْ لمْ يُشاهِدْ وجهها وقوامَهـــــا   فما البدرُ مُلتاحا ولا الغصنُ رجرَجا [1]

وكذلك افتتح الشاعر الملك يوسف الثالث قصيدة فخر بالغزل في سلمى التـــي وصـــفها وصفاً يشبه تماما أوصاف الشعراء القدامى في صاحباتهم فيقول [2]:

أغصنٌ بهبات النسيم يميـــــلُ   أم القدُّ تثنيه صَبا وقبـــــول
هي البانة المرتاحة العطف طـالما   أهاجت غرامي والنسيم بليـــل
هي الغادة الحسناء أما التماحهـا   فكافٍ وأما وصلها فكفيـــل
يقولون أقصرْ عن هوى من تحبه   وشرح حديثي في هوايَ يطول
أما عرفوا سَلمى وأن خيالهـــا   حبيبٌ على بُعد المزار وَصـــول
أما سلموا في حسن سلمى وإنـه   إذا حلَّ في قلب فليس يحـــول

فهو يشبه محبوبته بغصن يميل مع نسمات الهواء العليل ، وهذا الغصن الرطب الجميل قد هيج أحاسيسه وأشعل نار الوجد في فؤاده، ولم يكتف بذلك فقد وصفها بغادة ناعمة تملكت قلب الشاعر وعواطفه .

وهذا ابن الخطيب يصف جارية أضفت على مجلس من مجالس الشراب في أحضان الطبيعة الساحرة سحراً وروعة بجمالها الفتان، وجدة عزفها، كما يصف أجواء الرقص واللهووالسرور من حولها[3]:

وفاتنةِ اللحـــاظِ إذا تثنّت   رأيتَ الغصنَ يمرح في البرودِ
غزالةِ ربربٍ ومهاةِ قـــفرٍ   تعوّدَ طرفها صَيْدَ الأســـودِ
فتمرضُها بألحاظٍ مـــراضٍ   وتُسهرُها بأجفــــانٍ رقودِ
إذا ما استنطقت نغم المثاني   ثنَيْنا هزّةَ قضْبِ القـــــدودِ

---

[1] – انظرديوان ابن فركون ، ، ص ١٩٣ ، الجوزاء : نجم يقال أنه يعترض في جوز السماء : قرطاً : ما يعلق في الأذن
[2] - ديوان يوسف الثالث ، ص١٠٥ .
[3] - انظر ديوان لسان الدين بن الخطيب، ص٢٣. وانظرحمزة محمد عبد الهادي، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بني الأحمر، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الاردنية، ص٢ .

فالشاعر في هذه الأبيات يصف المرأة بصفات استخدمها الشاعر العربي القديم في وصف المرأة، فهي مثلا غزالة ربرب، ومهاة قفز، وذات الحاظ مريضة تفتك بعاشقها، علماً بان الأبيات تحكي أجواء البيئة الغرناطية المترفة، وتتسم بالسهولة و الرشاقة والرقة. " وقد حاول الملك يوسف الثالث أن يجمع بين القديم والجديد، إذ شبه صاحبته في جمالها بالغزال والغصن والبدر، ولكنه لم يكتف بهذه الأوصاف القديمة، بل رسم صورة خاصة في جمالها فجعلها مخلوقة من لؤلؤ فيقول:

عيني رمى لقلبي	بشادن ربيب
قد صاغه قديرٌ	من لؤلؤ رطيب
يلوح في الدّياجي	بدرا على قضيب
والقدُّ إن تثنى	غصنٌ على كثيب[1]

فالشاعر هنا يشبه محبوبته بالغصن الذي يميس فوق الكثيب، وربما لم يكن – وهو في الأندلس – قد رأى كثباناً . ويصف ابن فركون جمال المحبوبة، ولوعته ووجده وهيمانه بها بأن جعلها منفردة بين قريناتها فيقول:

هيَ الشّمسُ في أفقِ الفؤادِ طلوعها	هيَ الظبيُ ما بينَ الضلوعِ مرادُها
لقدْ جمعتْ فيها المحاسنُ كلّها	فصحّ بأشتاتِ الجمالِ انفرادُها
لقد رقّ جسمي من هواها فليتها	يرقُّ لحالِ المستهامِ فؤادُها[2]

ولشعراء الأندلس وخاصة في عصر بني الأحمر وصر الطوائف الكثير من المقطوعات الغزلية الحسية قلدوا بها تشبيهات القدماء وأخيلتهم، ويقول أبو حيان الغرناطي في هذا السياق واصفاً مفاتن المرأة من خلال مقطوعة رقيقة، يبين مدى تأثره بمدرسة الغزل القديمة إذ نجد فيها صورة من استعارات مألوفة وتشبيهات تقليدية متكلفة فيقول:

لا تعذلاه فما ذو الحبّ معذولُ	العقلُ مختبلٌ والقلبُ متبولُ
هزّت له أسمرا من خوطِ قامتِها	فما انثنى الصبُّ إلا وهوَ مقتولُ
جميلةٌ فصّلَ الحسنُ البديعُ لها	فكم لها جملٌ منه وتفصيلُ

[1]– انظرديوان يوسف الثالث ، ، ، ص ٧ . وانظر حمزة محمد عبد الهادي، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بني الأحمر، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الاردنية، ص٤١ .
[2]– نفس المرجع ، ص ٣٣١.

فالنحرُ مَرمرةٌ والنَشرُ عنبـــــرةٌ	والثغرُ جوهرةٌ والريقُ مَعســـولُ
والطرفُ ذو غَنَجٍ والعَرفُ ذو أرَجٍ	والخصرُ مختطفٌ والمتنُ مَجدولُ[1]

فالشاعر هنا يحاول أن يعارض قصيدته هذه بقصيدة كعب بن زهير المشهورة " بانــت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول " ، فتوصل إلى بعض معانيهـــا وصـــورها ووزنها وقافيتها، ولم يتوصل إلى روحها وصفاتها، فالصيغة واضحة في أبيات أبي حيان فلا نجد فيها عاطفة جياشة صادقة ، وإنما نجد رصفاً للأوزان خالياً من إحساس الشاعر به. كما أن الإحساس الجمالي بهذه الأوصاف ليس صحيحاً، لأنه لم يكن تعبيراً عن قيمة جمالية تعلق بها الشاعر، وإنما جاء تقليدياً لقيم جمالية أحسها القدماء، وتعلقوا بها، وبذلك خلت الأبيات من الوصف الساحر الذي يجذب النفس ويطربها، وتترك القاري يسبح في عالم الخيال التقليــدي فقط.

وفي إحدى مقدمات ابن الخطيب يتلفت إلى جمال المرأة ،" فيصـــف ثغـــر المحبوبـــة ونضارة شبابها، و جمال قوامها، وضياء وجهها، وتفننها في الزينـــــــــة، ويصف أثر هذا الجمال في نفسه، فيتحدث عن مشاعره نحوها، ويعبر عن ذلك في لفظ أنيق رشـــيق، فهـــو يسوق الأوصاف المشرقية الموروثة، إلا أنه يضفي عليها شيئاً من ذاته وروحـــة، ويطبعهـــا بطابع متأنق يعكس ترف العصر وتحضره[2]، فتطغى العاطفة والرقة الآسرة على أبياته بشكل عام فيقول:

وَسَوَاسُ حليكِ أم هُمُ الرُقَبَـــــــاءُ	للقلبِ نحوَ حديثِهِمُ إصغاءُ
وَوَميضُ ثغركِ أم تألقُ بـــــــارقٍ	وشهابُ شنُفكِ ذا أم الجـــوزاءُ
يا بانَةٌ وَرقُ الشَبَابِ ظِلالُهَـــــــا	وَكأنَّ قلبي بينَهَا وَرقـــــاءُ
يا بدرَ تِمّ يَهتَدي بِضِيَائِـــــــهِ	سَاري الفَلاةِ وَليلتِي ليـــلاءُ
أشكُوكِ أم أشكُو إليكِ صَبَابَتِي	أنتِ الدَوَاءُ وَمِنكِ كانَ الدَاءُ[3]

ووصف البسطي جمال محبوبته ومحاسنها، وكرر الأوصاف التقليدية المعروفة فمحبوبته جميلة كالظبي، وفي بيانها كالشمس أو كالبدر، وقدها كالغصن، ولحاظها تسقي خمـــراً، إلـــى غير ذلك من المعاني الموروثة فيقول:

[1] - انظر الموسوعة الشعرية ، ص١٩٤٨ .
[2] - انظر المرأة في الشعر الندلسي في ظل بني الأحمر ، ص٤٢ . بتصرف .
[3] - الصيب والجهام ، ص٢٣١. الشنف ، القرط الذي يعلق في الأذن .

وبمهجتي ظبيٌ أنيسٌ حسنُـــــه سَلب العقولَ وتيّمَ الأفكـــارا
شمسٌ ولكن لا مغيب لحسنِها بدرٌ ولكن لا ينـــــالُ سَرارا
نهلت نفوسُ الخلقِ من ألحاظِـهِ بشرابِ غنجٍ حثّـــــه أودارا
عجبا لِسَكرانٍ بغنجِ لحاظِـهِ ثمِلِ الفؤادِ وما استساغ عُقارا[1]

فالشاعر هنا رسم لمحبوبته صورة مكررة، لولا أنه أضاف إليها شيئاً من تألق العصر وزخرفها فتميزت بالسلاسة والبساطة والرشاقة. ومحبوبة البسطي تجمع الحسن والملاحة معاً وهي من حسن جمالها سيطرت على القلب الذي حمى نفسه من الوقوع في الحب فيقول:

عجبا لها من غادةٍ في أنفهـــــا شممٌ سَبَت بجمالها قلب الكَــمِي
والحسنُ فِي العَينَينِ مِنْها عاضِدٌ ذاكَ الجمَالُ مع الملاحة فِي الفَــمِ[2]

وهكذا نجد البسطي يصور المرأة ويتغزل بها في صور متلاحقة، وكل صورة لها ما يكملها وما يجعلها تتسق مع الصورة العامة، بحيث تمثلت لنا هذه المحبوبة إنسانة أكثر فتنة وجمالا من حبيبات الشعراء القدامى.

ولقد تناول الشعراء في " وصفهم للمرأة القامة والشعر والوجه واللحاظ والثغر والخد والخصر والنهود والأصابع... وهذه الأعضاء أخذت أوصافاً ثابتة ومستقرة على مر العصور، فالمقاييس الجمالية ظلت واحدة لم تتبدل بتبدل الأجيال والبيئات، ومن هنا جرى هؤلاء الشعراء وراء النماذج الوصفية المعروفة في الشعر العربي، وهذا ما جعل صورهم نسخة مكررة عن صور الشعراء القدامى، رغم تباعد العصور بينهم ورغم اختلافهم عنهم في البيئة "[3] ، وقد نلمح بعض الإضافات اليسيرة في أوصاف بعضهم استمدوها من واقع عصرهم، والبيئة الجديدة المتحضرة. وقد تسابق الشعراء وتفننوا في وصف وجه المرأة وتشبيهه بالشمس تارة وبالبدرة تارة أخرى، وبعضهم جعل وجهها يفوق الاثنين معاً.

[1] - ديوان عبد الكريم القيسي، ص٢٥ .
[2] - ديوان عبد الكريم القيسي، ص ٣١٩ قال أبو بكر: قال الزبير، تقول العرب: الملاحة في الفم، والجمال في الأنف. والحلاوة في العينين، ذيل لأمالي للقالي: ١٢٢- الشمم: هو استواء قصبة الأنف مع ارتفاع يسير في الأرنبة أي أسفله، وهذا الأنف الأشم، الكمي: الشجاع المتكمي في سلاحه لأنه كسي نفسه أي سترها، اللسان، مادة كمي.
[3] - حمزة محمد عبد الهادي ، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بني الأحمر، ص٤٤ . بتصرف .

وكان البسطي أكثر هؤلاء الشعراء تفننا في وصف محاسن المرأة وجمال وجهها، كما أوتي من العذوبة والسهولة والرقة حظاً كبيراً فيقول:

أفدي التي لم تزل تبدي محاسنهـــــا للناظرين إليها منظر عجبـــــا
ووجهها حاز من شمس الضحى شبها بل نور غرته شمس الضحى غلبا(١)

وقد جعل بعض الشعراء لوجه المحبوبة حسناً ليس له مثيل بين أقرانها، حيث يقول ابــن خاتمة في وصف وجه محبوبته:

في وجهِ مَنْ هام قلبي فيهِ لي شغلٌ عن كلِّ شغلٍ فلا يزري بكَ الرَّغَب
وجه إذا انتسبت كلُّ الوجوهِ إلى حسنٍ فما لِســــواه الحُسنُ ينتسبُ(٢)

فأبو حيان مثلا يجعل وجه محبوبته لا مثيل له ، فقد فتن القلوب والأبصار مــن جمالــه وكأنه ورد النرجس فيقول في مقطوعة له:

نورٌ بخدكَ أم توقّدُ نــــــــــارِ وضنىً بجفنِكَ أم كؤوس عقارِ
وشذا بريقكَ أم تأرج مِسكـــــــة وسنا بثغرك أم شعـــــاع دراري
جمعت معاني الحُسنِ فيكَ فأصبحت قيدَ القلوبِ وفتنــــــة الأبصارِ
في وجهِهِ زهرات روضٍ تجتـــــلى مِن نرجس مع وردةٍ وبهــــــارِ ٣

وكان الشاعر الملك يوسف الثالث من أكثر شعراء هذه الفترة وصــفاً لمفــاتن المــرأة المحبوبة ولم يترك شيئاً من مفاتنها إلا وعكسته مرآة شعره فيقول في تشبيه وجه المحبوبــة بالبدر:

سل الروضة الغناء من جانب القصر ومنبت حوط البان ذي الورق النضـر

١- انظر ديوان عبد الكريم القيسي، ، ، ص ٣٩٦.

٢- انظرديوان أبو خاتمة الأنصاري ، ص ٢٨ – ٢٩.

٣ - انظر ديوان أبي حيان الغرناطي، ص ٧٧ – ٧٨.

بها من ظباء الأنس حوراء طفلــــة   هي البدر أو تزهي جمالا على البدر[1]

وهو في حديثه جعل وجهها أجمل من البدر. ويخبرنا ابن فركون بأن وجـــه محبوبتـــه مشرق، إلا أنه يفوق ضياء الشمس ويبين أنه بذل كل جهده حتى لا يقع قلبه في أهوال ومشاق الحب إلا أنه لم ينجح في ذلك فيعبر عن ذلك بقوله:

وقد كانَ قلبي يحْذرُ الحبَّ جَهْدَه   وما كان ذاكَ الحِذرُ إلا ليَسلمـــا
إلى أنْ بَدا للقلبِ لما بَــــــــدا لهُ   مُحيًا يفوقُ الشَمسَ في أفقِ السَما[2]

ويبالغ أبو حيان حيث يشبه البدر في جماله وضيائه بمحبوبته، فوجهها دائم الإشراق بعكس القمر الذي يواجه الاضمحلال والكسوف، وقد جرت العادة في التشبيه على غير ذلك فيقول:

ويا بدرُ كَم قد شبّهوكَ بوجهها   لقد غلِطوا ما مشرقٌ مثلَ خاسِفِ[3]

ويرى ابن الجياب أن جمال محبوبته ما فوقه جمال، ويقسم أنه لم يشاهد شبيها لها بين الناس، فوجهها يشبه القمر ويحاكي الشمس في إشراقه وضيائه، بل إنه يفوقهما نوراً وبهجـــة فيقول:

يا أيها القمران استخفيا فلهـــــا   قمرٌ إذا لاح يمحي منكما النور
أقسمت ما أبصَرت عيني لها شبَها   حقيقةً لا أقولُ الطرف مسحور[4]

ونجد عبد الكريم القيسي قد وقع في غرام فتاة ديرانية هي من أهل يابرة، عندما كـــان أسيراً في أراضي قشتالة، وقد بادلته هذه الفتاة حباً بحب، على الرغم من الحـــواجز الدينيـــة، فرسم لنا معالم الجمال النصراني دونما اعتبار لظروف الأسر التي كان يعاني منها، فوجههـــا جميل يعكس آيات حسن وجمال، ويكمن جماله في تناسق أعضائه من جبين وعيون وأنف وفم فيقول:

---

[1] – انظر ديوان ملك غرناطة – يوسف الثالث، ص ١٦٦، طفلة: ناعمة، اللسان مادة طفل. وانظر حمزة محمد عبد الهادي، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بني الأحمر، ص٤٥ . بتصرف .

[2] – انظر ديوان ابن فركون ، ص ٢٦١.

[3] – انظر ديوان أبي حيان الأندلسي، ص ٣٠٢.

[4] – انظر ديوان ملك غرناطة – يوسف الثالث، ص ٦١.

وأعجبَ عبّادِ الصّليبِ صبيّــــة سَبَتْني بوجْهٍ مثلَ بدرٍ مُتمّمِ
فبتُّ حليفَ الهمّ منْ فرْطِ حبّها وباتتْ بهجْري في فراشٍ تنعُمِ[1]

لقد كان الشاعر يحب هذه الفتاة النصرانية حباً شديداً ولهذا فإنه يتألم لفــراق محبوبتــه وبعدها عنه. ويرى ابن الخطيب أن محبوبته متفردة في جمالها، وهذا ما جعلها تعلــو عــن منزلة البشر فيقول:

لو بدا للحور يوما وجهـــــــه قلن جلّ الله ما هذا بشـــــــر[2]

ويقول البسطي واصفاً جفون حبيبته ووجها المشرق الجميل قائلاً:

بنفسي من شغفت به وروحـــي وأفديه على طول النــــــزوح
غزالٌ من ظباء الـــــــروم غرٌ كحيل الجفن ذو وجهٍ مليح
فقلت أخاف من إخلاف وعدي فقال مؤكدا لا والمسيـــــــح[3]

ولم يكتف الشعراء بذكر الوجه فقط بل ذكروا الخدود أيضا، فقد وصف البسطي خــدود حبيبته وصفاً رائعاً، فشبهه بالورد الذي تنتابه لحظة غضب، فغضب الورد يعني ازدياد حمرة الخدود وهذا أضاف إلى جمال محبوبته جمالا آخر فيقول:

ووجنتاها إذ يبدو احمرارها حققت أنهما ورد الربى غضبا[4]

وتشبيه لون الخدود بالورد أمر شائع لدى شعراء أهل المشرق، إلا أن وصــف الــورد بالغضب لم يكن مألوفا لديهم فإضفاء صفة الغضب على الورد أعطى الصورة شيئاً من الجدة والطرافة. وكان خد المرأة مثار إعجاب الشعراء فوصفوه وصفاً رائعا فيقول البسطي:

[1] – ديوان عبد الكريم القيسي، ص ٣٦ .
[2] – لسان الدين بن الخطيب، الصيب والجهام، تحقيق محمد الشريف، الجزائر، الشركة الوطنية، ص٣٦، ١٩٧٣.
[3] – ديوان عبد الكريم القيسي، ص ٣٩٨ – ٣٩٩.
[4] – انظر ديوان عبد الكريم القيسي، ص ٣٩٦.

بالحاظه جيش السقام مخيم   وفي خده الورد المورد فاتح(1)

فكانت حمرة الوجه هذه مثار حيرة الشعراء وتساؤلاتهم، إلا أن ابن خاتمة يعلل سبب احمرار خد محبوبته تعليلا جميلاً حيث يقول:

تحمرُ وجنته مهما مـــــــرَرْتُ بهِ   ويستحيلُ دمي أيضا مِنَ النظر
حتى كأنَ الدَمَ المفقودَ من جسدِي   هوَ الذي قد بدا في خدِهِ النضِرِ(2)

ونجد كذلك يوسف الثالث في إحدى مقدماته يتغزل بـــ (الينور) وهي فتاة نصـــرانية تغزل بها من قبل، فيشيد بسحرها واحمرار خدودها قائلاً:

ناديت إذ سحب الظلام مسوحة   لينور: لا يرضى المسيح صدودي
إن اليــنور إذ تــوضح نورهـــــــا   ودَ الضحــى منها احمرار خدود(3)

وإذا ما طالعنا شعر ابن زمرك في هذا المجـــال فإننـــا نجـــده يرســـم لوحـــة جماليـــة للمحبـــوب، تزين الألوان كافة أطرافها، وأجمل ما فيها لون خدودها:

ومشتملٍ بالحسن أحوى مهفهف   قضى رجع طرفي من محاسنه الوطرْ
فأبصرتُ أشباه الرياض محاسنــا   وفي خده جرح بدا منه لي أثـــــــرْ
فقلتُ لجلاسي خذوا الحذر إنمـا   به وصبّ من أسهم الغنج والحـــــورْ(4)

وكرر البسطي بعض الأوصاف في محبوبته فاطمة، فتحـــدث عـــن احمـــرار خـــديها ونضارتهما، وحلاوة ثغرها فيقول:

للّه من خدَها زهرٌ ومن فمهـــــا   خمر يغارُ عليه الشهد والضرب(5)

1- ديوان عبد الكريم القيسي، ص ١٤٠.

2- انظر ديوان ابن خاتمة الأنصاري، ص ١١٧.

3- انظر ديوان ملك غرناطة – يوسف الثالث،ص ٣٦.

4- ابن زمرك، ابو عبدالله محمد بن يوسف بن محمد الصريحي، الديوان، لبنان، المكتبة العصرية، ١٩٩٨ م، ص ٤٣٢.

5- ديوان عبد الكريم القيسي،ص ١١٣.

وأما من حيث العيون فلا شك في أن لها سحراً وجمالاً وتناسقاً مع سائر أعضاء الوجــه، وقد دأب الشعراء على وصف العيون بالمرض والسقم والفتور، على الرغم من صحتها وسلامتها وذلك لناحية جمالية وفرّها فتور الطور وانكساره، وأحبّ العرب هذه الصــفة كثيــراً، فــابن الخطيب يذكر أن الحبيبة أصابت قلبه بطرفها الفاتر المريض، فأوردته السقام والمرض:

وأصبت لي قلبا صحيحا سالما   عمدا بأجفانٍ لديك مراض[1]

ويحدثنا ابن فركون عن ألحاظ محبوبته التي تشبه السيوف، وعــن عيونهــا الفــاترة المريضة، التي تورث السقام للجسد:

هام فؤادي بظبي إنـــــــس   ألحاظـه تشبه الصّفاحا
ظبيٌ له أعينٌ مـــــــراضٌ   لكنها تمرضُ الصّحاحا[2]

ويقول:

همت بظبي لم يزل جفنُه ذا   مرضٍ يُمرض منها الصحاح[3]

وتحدث ابن الخطيب عن غمزات محبوبته، فهي كالسهام تصيب الأفئــدة، وتنفــذ إلـــى القلوب، وتتمكن منها فيقول:

غمزات طرفك في القلوب تخالها   مثل السهام مضت إلى الأغراض[4]

ولقد جعل الشعراء لهذه العيون السقيمة آثاراً قاتلة في أنفسهم حتـــى اقترنـــت صـــورة الطرف المريض بالقتل. ويرى ابو حيان الغرناطي في صغر أعين التركيات جمالاً لا يعدلـــه جمال فيقول:

[1]- انظر ديوان الصيّب والجهام والماضي والكهام، ص ٦٠٦.
[2]- انظر ديوان ابن فركون، ، ص ٢٦٦.
[3]- نفس المرجع، ص ٢٦٤.
[4]- انظر الصيب والجهام،ص ٦٠٦.

بروحي التي زارت بليلٍ وأقبلت ... تجرّ على آثارها العضب والوشيا

من الترك ضاق العينُ منها لبخلها ... وليست من العين التي تشرد الضبيا[1]

ويقول في مقطع آخر واصفاً صغر عين التركيات :

ضيق العينين تركيهما ... واسع الوجنة، خزيُ المجس[2]

وقد تغنى بعض الشعراء في العصر العباسي بالعيون الزرق كابن المعتز[3]، وكذلك نجد الشاعر يوسف الثالث يتحدث عنها في معرض غزله وهذا يعود الى مدى تأثرهم بالعنصر الإفرنجي الذي كان من نسيج المجتمع الأندلسي فيوسف الثالث يتغزل بالعيون الزرق فيقول :

وكم من كسول نؤوم الضحى ... تصبحها وهي دون اصطباح

وكم قد سباني من سيبها ... بزرق العيون وزرق الرماح

وكم أوقعت في الهوى فتنة ... ببيض الثنايا وبيض الصفاح[4]

ويتضح من هذه الأبيات مدى تأثير البيئة الحربية في الشعر الأندلسي حيث ترخي ظلالها في صورة الغزل ونراه يقرن زرقة عينيها ببياض ثناياها وخديها، وإلى جانب ذلك يشيد بترفها وتنعمها، وهو لا يحدثنا عن زرق العيون إلا مرة واحدة ويبدو أن الأمر كان عارضاً لا يعكس ذوقه العام، وفي هذا الموضع قال ابن خاتمة :

واستبى الثغرُ مُندّى زهرِه ... واحتوت عيناه سِرَّ الزرَقِ[5]

وجدير بالذكر أن خضرة العين وزرقتها، نادرا ما ذكرها الشعراء في العصر الجاهلي والإسلامي،وذلك لغلبة العيون السود عند النساء العربيات، وكذلك الحال بالنسبة لعصر بني الأحمر. وأما حواجب المرأة فقد وصفها البسطي في قصيدة له في محبوبته فاطمة، فتحدث

[1]- انظر ديوان أبي حيان الغرناطي، ص ٤١٩، العضب: القتل.

[2] – انظر ديوان أبي حيان الغرناطي، ص ٩٥ .

[3]- يقول ابن المعتز: ورنا إلى الفرقدان كما رنت زرقاء تنظر من ثقاب أسود .ديوان ابن المعتز :ص١٠٠

[4] – انظر ديوان ملك غرناطة – يوسف الثالث ،ص ٢٥ .

[5] – انظر ديوان ابن خاتمة الأنصاري ،ص ١٠٠.

عن سحر حاجبيها مع الجبين، فقد صوره دقيقاً مزججاً مقوساً يدل على عناية موصولة ويكشف عن فتنة وسحر فيقول:

ومَنْ تفوق إذا تبدو محاسنها — بدرَ الدُجنة في حسن وإشراقِ
ومَنْ رمت كبدي عن قوس حاجبها — من غير قصدٍ بألحاظٍ وإحراقِ[1]

ولم يشأ أن يتأنق في صورته، فرسم صورة ناطقة لحاجبي محبوبته، وأثرهما في نفسه :

وللحواجبِ أفواه تكلمنا — تثيرُ بالقلبِ أنواعا من الفرحِ[2]

فحواجب النساء تتكلم كما تتكلم الأفواه، غير أن هذا الكلام لا تسمعه الأذن وإنما يسمعه القلب، فتثير ضروباً من الفرح والسرور. وتفنن الشعراء في وصف ثغرالمراة وشبهوه تشبيهات رائعة، فقد وصف البسطي ثغر محبوبته وعذوبته وطيب رائحته وصفاً مميزاً قائلاً:

وثغرها حسن زهر الأقحوان حوى — والأقحوان غدا لا يعرف الشنبا
جرى بفيها رضاب طيب عبقٌ — يذكو لمن شمه يجلو لمن شربا
إذا الفتى شمه أو ذاقه سحرا — ألفاه في الحالتين المسك والضربا[3]

وتصوير فمها بالأقاح شائع في شعر المشارقة، لكن البسطي يخرجه مخرجاً طريفاً عندما جعل فم المحبوبة يطغى على الأقحوان بعذوبته. وهذا ملك غرناطة يصف ثغر محبوبته وعذوبة ريقها قائلاً :

ولو لم يكن ذاك الرضاب بقهوة — لما مال عطفاها تمايل ذي سكر[4]

وفي موضع آخر يصف ثغرها وجمال أسنانها الموجودة فيه فشبهها بعقد من الدرر:

وهل لحلي ليلى نظيرٌ وان هم — يظنون منها الثغر قد أشبه العقدا[5]

---

[1] – انظر ديوان عبد الكريم القيسي ،ص ١١٤.

[2] –نفس المرجع، ص ١٦١.

[3] – انظر ديوان عبد الكريم القيسي، ص ٣٩٧: الحدة الأسنان، اللسان مادة شنب.

[4] – انظر ديوان ملك غرناطة – يوسف الثالث، ص ١٩٦.

[5] – نفس المرجع، ص ٤٥.

ويقول ابن فركون إن الزهر موجود في ثغر محبوبته والورد منتشر في وجنتيها:

إذا شئت زهرا ففي الثغر منها وإن شئت وردا ففي الوجنتين[1]

وإلى جانب إعجابه بفمها وابتسامتها، نراه يشبهها بتشبيهات قديمة، فهي كالغزال، وقدها كالغصن يقول:

فمهما رنت كانت غزالا ممنعــــا ومهما انثنت تحكي قضيبا مفعما[2]

وابن زمرك لا يتمالك نفسه عند رؤية ثغر عذب شيق، فلا يسكن له ساكن، إلا إن توصل إليه وتمتع به، ولكن يلاقي صعوبات في طريقه، وما يتعرض إليه كلما أراد أن ينال ما ترتاح نفسه فيقول:

ما رمت أن أجني الأقاحي بثغره إلا وقد سل السيوف من الحور[3]

وتظهر براعة ابن زمرك في مزج الطبيعة بالغزل عند وصفه لثغر محبوبته قائلاً:

وليلة بات البدر فيها مضاجعي وباتت عيون الشهب نحوي روانيــا
كرعت بها بين العذيب وباريق بمورد ثغر بات بالدر حاليــــا
وبت أسقي وردة الخد أدمعــــي فأصبح فسها نرجس اللحظ ذاويا[4]

وقد اعتمد ابن زمرك في هذه الأبيات على الاستعارة من جمال الطبيعة لجمال المــرأة شتى النعوت والأوصاف، وهو بارع في المزج، ويكمن هذا في تشخيص الطبيعة والحــديث إليها، ومناجاتها كالمرأة تماماً، فهو يساهر البدر، ويشرب الرضاب، ويقبّل الأقاحي، ويســقي ورد الخدود من دموعة، ويسوق هذه الصور الفنية الجمالية في نطاق حديثة عن يوم من أيام الوصال، غير أنَ هذا الوصال كان محصّناً بالعفة والأخلاق.

---

[1] – انظر ديوان ابن فركون،ص ٢٥٦.

[2] – نفس المرجع، ص ٢٦١.

[3] – انظر ديوان ابن زمرك ، ص ٤١٧ .

[4] – انظر ديوان ابن زمرك، ، ص ٥٢٠.

وفي موضع آخر أشار ابن زمرك إلى رقة أصابع محبوبته ونعومتها قائلاً:

باحت أناملك اللــدان بكل ما   كان المتيّم في هواه قد ستر[1]

وملك غرناطة يتغزل في إحدى مقدّماته بــ(الينور) تلــك الفتــاة النصــرانية، فيشــيد بسحرها، وعذوبة ريقها فيقول:

إنّ (الينور)وقد وردت رضابهـــا   مُزج اللمى بالكوثر المــورود
وهي التي صرحت حين دعوتها   بهلال إفطاري وضحوة عيدي[2]

ويرى ابن خاتمة أن أجمل شيء في الريق عذوبته وبرودته، فأكثروا من الحــديث عــن متعة، ارتشافه، ووصفوه بالعسل مذاقاً ورائحة، ويرى ابن خاتمة أن ريق محبوبته هو باعث للحياة يقول:

مهاة جرى ماء الحياة بثغرها   رضابا أعادته المنون بعقرب[3]

وجاء الريق في أشعارهم وسيلة لتخفيف ما تحمله دواخلهم من نار العشق والآم البعــد، فكان مصدراً للشفاء من الأوجاع والسقام، وله القدرة على بعث الحياة من جديــد فـــي نفــس الشاعر يقول البسطي:

لعل نفحة رحمى أن تهب لهم   تشفى الضنى وتداوي السقم والوصبا
وميت الحب تحييه وتنشـــره   فقـــد طـــواه هـــوى أحبابه حقبا[4]

وليس هذا من المبالغة المموجة التي يسوق إليها التكلف في التعبير، بل هو من حــدة العاطفة التي لا تعرف حدوداً. وتحدث الشعراء وأبدعوا في وصف قامة المــرأة وخصــرها وأردافها حيث فتنتهم القامة المجدولة التي منحت المرأة شكلاً جميلاً ومشية كلها دل وأنوثــة، لذلك وصف يوسف الثالث أطراف حبيبته وجمال خصرها قائلاً:

---

[1] – انظر ديوان ابن زمرك،ص ٤١٢

[2] – ديوان ملك غرناطة – يوسف الثالث، ،ص ٣٦.

[3] – ديوان ابن خاتمة الانصاري ، ص ٥١.

[4] – ديوان عبد الكريم القيسي ، ، ، ص ٣٩٧.

منعمة الأطراف، ساقية الحشا   مرجرجة الأرداف، مخطفة الخصر[1]

فهذه الصفات تعني أنها مجدولة حسب مفهوم أهل العصر كما يقول الجاحظ: " أكثر البصراء بجواهر النساء الذين هم جهابذة النقد، يقومون المجدولة، والتي هي بين السمينة والممشوقة، ولا بد من جودة القد وحسن التجريد واعتدال المنكبين واستواء الظهر، ولا بد من أن تكون كاسية العظام، بين الممتلئة والقضيبية، ولذلك قالوا كأنها غصن بان أو قضيب خيزران وجدل عنان[2]. وعندما يتحدث عن الأرداف الممتلئة لا يعبر عن ذوقه وعن أذواق معاصريه، إنما يحاول أن يقلد المشارقة، ويسوق صوراً تعبر عن أذواقهم، وقد أوغل في التقليد حتى إنه اعتمد على صيغهم وألفاظهم في التعبير عن بعض صوره فيقول:

منعمة ريا الروادف أودعت   جمال رواء في بهاء شباب [3]

فهو يرى كما كان يرى العرب القدماء أن ثقل الأرداف دليل على الحياة المنعمة التي تعيشها المرأة، فهي لا تقوم بأي عبء من أعباء الحياة. وقد صف البسطي محاسن محبوبته وكرر الأوصاف التقليدية المعروفة، فمحبوبته جميلة كالظبي، وقدها كالغصن يقول:

قد تمايل للصبا لا للصبا   لا بل عليه الغصن قدما غارا[4]

ولم يغفل ابن فركون عن إدراك الجمال الذي تحمله ابتسامة المرأة، فتحدث عن هذا الجمال، وأثره في نفسه، فصاحبته حين تبتسم تسقيه الحب الخالص، كما أنها تكشف عن ثغر براق وأسنان بيضاء ناصعة كالدر فيقول:

ولله در راق من ثغرها الذي   سقاني كؤوس الحب حين تبسما[5]

وأما يوسف الثالث فيقول في معرض حديثه عن أوصاف محبوبته سلمى ويتحدث عن ابتسامتها التي كشفت من خلالها عن عقد من الدرر:

---

[1] – ديوان ملك غرناطة – يوسف الثالث ، ، ، ص ٦.

[2] – الجاحظ ، رسائل الجاحظ (رسالة النساء ، ، ، ص ٢٠١.

[3] – ديوان ملك غرناطة – يوسف الثالث ، ، ، ص ٦.

[4] – ديوان عبد الكريم القيسي، ص ٢٥.

[5] – ديوان ابن فركون، ص ٢٦١.

ألقت على الدنيا بدائع لم تدَع   للشمس مُطلعا بأفق صُعود
وتأوّدت فالبان قد أخذ الحِلى   عنها فجاء بأبدع التأويـــــد
وإذا هي ابتسمت يروقك مَبسم   يزري بعقد اللؤلؤ المنضــود [1]

ويرسم البسطي صورة رائعة لابتسامة محبوبته، حيث ابتسامتها في بهائها وجمالها تبدو كقوس قزح ذي الألوان اللافتة للأنظار فيقول:

نلهو بكل كحيل الطرف ذي غنج   ما زال مبسمه يبدو سنا قزح [2]

وقد بين الشعراء قديما صورة المرأة وهي فرحة ضاحكة، وذلك لبيان جمال ابتسامتها وأسنانها، لما فيها من معان وسحر وجمال، وابن فركون لا يختلف عــنهم إلا فـــي طريقـــة العرض وتقديم الصورة، فقد أضفى على حديثه في هذا الجانب شيئاً من مزاجه، فاتسم بالجدة والطرافة. والعرب كانت ترى جمال المرأة في بياضها، وكثيراً ما امتدح الشعراء البياض في المرأة وروى عن أعرابي، قال وهو يصف امرأة، " لها جلد لؤلؤ رطب مع رائحـــة المســك الأذفر، في كل عضو منها شمس طالعة"[3] . " وقيل لابنة الخُس ... فأي النساء أحب إليــك ؟ قالت البيضاء العطرة كأنها ليلة قمرة..."[4] .

وقال الجاحظ: " قيل لأعرابي: أتحسن صفة النساء؟ قال: نعم،إذا عذب ثناياها، وســهل خداها، ونهد ثدياها، وفعم ، والتف فخذاها، وعرض وركاها، وجدل ساقاها، فتلك هم الــنفس ومناها "[5]، وقد وصف البسطي جسم حبيبته وصفاً رائعاً، بحيث تمثلت لنا المحبوبة من خلال هذه الأبيات إنسانة أكثر فتنة وجمالاً من حبيبات الشعراء القدامى :

جسمٌ من الفضة البيضاء معتدلٌ   تخاله مشربا من حسنه ذهبـــــــا
إذا يدٌ لمسته من غضاضتـــه   وحسن نعمته أبقت به ندبــــــا

[1] – ديوان ملك غرناطة – يوسف الثالث، ص ٣٦ .
[2] – ديوان عبد الكريم القيسي، ص ١٦١.
[3] – الجاحظ : المحاسن والأضداد ، ص ١٦٩.
[4] – القالي : ذيل الأمالي والنوادر ، ص ١١٩، السائل هو القلمس الكناني ، كانت هي وأختها لإحداهما على صاحبتها بالفصاحة.
[5] – الجاحظ : المحاسن والأضداد ، ص ١٦٨ .

تقله إن مشت رجلان حجلهمـــا   يضيق وهي اشتكت من حمله تعبا[1]

فالشاعر في هذه الأبيات رسم صورة متكاملة لمحاسن محبوبته، فاختار البياض لوناً لها، والى هذا مال أكثر الشعراء في القديم، وهذا البياض المشوب بالصفرة شبهوه بالفضـــة التـــي خالطها الذهب، كما هي الحال عند البسطي .

ويؤكد البسطي في البيت الثاني حين يصف جسم محبوبته مؤكداً أنه غض بض، إذا مـــا لمسته يد تركت أثاراً فيه. إلا أن هنالك من الشعراء من راى عكس ذلك، كما وجدنا عند أبي حيان، فقد هام بحب السود وافتتن في وصف محاسنهن وفضلهن على الغواني البيض، وله في ذلك تفسير غريب يقول:

لنا غرامٌ شديدٌ في هوى السودِ   نختارهنّ على بيضِ الطلى الغيـــدِ
لونٌ بهِ أشرقت أبصارُنا وحكى   في اللونِ والعرفِ نفح المسكِ والعودِ
لا شيءَ أحسنُ مِن آس تركّبُهُ   في آبنوسَ ولا أشفى لِمـــــــبرودِ
لا تهوى بيضاء لون الجص واسم إلى   سوداء حسناء لـــون الأعين الســـود
في جيدها غيد ، في قدها ميد ،   في خدها صيد ، من سادة صيـــــد[2]

ونجده في موضع آخر يبين فيه نقيض ما ذكره، فلم يظل أبو حيان صريع السود بل قال في عكس ذلك:

إذا مالَ الفتى للسودِ يومـــا   فلا رأي لديهِ ولا رشـــــادُ
أتهوى خنفساء كأن زِفتا   كسا جلدا لها وهوَ الســوادُ
وما السوداءُ إلا قِدر فـــرنٍ   وكانونٌ وفحمٌ أو مِـــــدادُ
وبينَ البيضِ والسودانِ فرقٌ   لِذي عقلٍ بهِ اتّضحَ المـــرادُ
وجوه المؤمنينَ لها ابيضاضٌ   ووجهُ الكافِرينَ بهِ اسودادُ[3]

---

[1] – ديوان عبد الكريم القيسي البسطي ، ص ٣٦٩ .
[2] - ديوان أبي حيان الغرناطي، ص ١٥٤.
[3] – ديوان أبي حيان الغرناطي ، ص ١٦٥ .

وفي ذلك مفارقات كبيرة، ولعل الشاعر كان يتفنن في قوله، فيهوى السود ويقع في غــرامهن أحياناً، ويعشق البيض ويسقط في هواهن أحياناً أخرى. ومع جودة القــد وجمــال الخصــر ونعومة الملمس وطيب الجسم كانت المشية ناعمة فيها دلعا وأنوثة، فوصف الشعراء المــرأة ونعتوها بالبطيئة والمتثنية، يقول ابن الخطيب:

يا هِلالا يا قضيبا يا رشا إنْ تبدى أو تثنى أو مشى
يا غزالا وِرْدُه في أدمُعي كلما شاءَ ومرعاهُ الحشا [1]

فهذه الأوصاف وإن كانت تقليدية، إلا أنه عرضها بشكل جديد مستمد من روح العصر، فصاغها في أوزان قصار ومرح موسيقى خفيف، فكأن هذه الأبيات قد نظمت للغنــاء، الــذي شاع في هذا العصر، وكانت له مجالسه وحفلاته الخاصة. وتحدث الشعراء عن شعر المرأة، فهذا يوسف الثالث، يصفه بالليل الفاحم من شدة سواده فيقول:

وبدت لنا من وجهه شمس الضحى قد كللت للشعر ليلا فاحما [2]

وتحدث الشعراء عن نعومة المرأة ورقتها، فيصف البسطي صاحبته بأوصــاف كثيــرة، يفهم منها أنها كانت ذات جمال فتان، فكل ما فيها من وصف يشير إلــى النعمــة واللطافــة والرقة:

بدمي منعمة كعـــاب ذات دل هيفاء تزري بالقضيب إذا اعتدل
من دونها في حسنها شمس الضحى تلتاح والبدر المنير إذا كمـــل
راودتها عن نفسها في خلـــوة وقد اكتست وجناتها ورد الخجل
فرنت الي من الحياء بمقلـــة فتانة ما كحلها ألا الكحـــل
وطباء بات مصاب صارم لحظهـــا من سقمه مضنى الحشاشة لم يبل [3]

فهي طفلة ناعمة البدن، حسنة الدل، قدها لين، وهي كالشمس والبدر حسناً وبهاء محمرة الوجنتين، كحلاء العينين، فلا حسن كحسنها، ولا دل كدلالها.

[1] – ديوان ملك غرناطة. يوسف الثالث، ص ١٧٣.
[2] – ديوان أبي حيان الغرناطي : ص ٣٠٣ ، الوطفا : مسترخية الجوانب .
[3] – ديوان عبد الكريم القيسي، ص ٣٠٨.

واتجه الشعراء في عصر بني الأحمر الى وصف أعضاء بشكل مفصل ودقيق . إلا أن الملاحظ أن ابن الخطيب لا يحتفل كثيراً بمفاتن الجسد الأنثوي، فنحن لا نقع في شعره الغزلي إلا على بعض الأوصاف المتفرقة لأعضاء المرأة ومحاسنها، وهو يتخطف من بعض الأوصاف القديمة، فلا نجد في شعره حديثا عن ثقل الأرداف أو ضخامة الأعجاز... وما إلى ذلك. أما تلميذه ابن زمرك – الذي كان من كبار رجال الحاشية– فلم نجد في ديوانه قصيدة مستقلة في الغزل، وإنما وردت أحاديثه الغزلية في مطالع قصائده المدحية بصورة خاصة ولم يكثر فيها من الحديث عن مفاتن المرأة.

ويقول الدكتور حمد سليم الحمصي في هذا السياق (وإذا كان علينا أن نعلل خلو شعره من قصيدة غزلية مساقة، فالأمر جد يسير، إذ يسهل القول أن شاعرنا لم يقع في الحب مطلقاً، فإننا لا نعرف شيئاً عن أسرار ابن زمرك الغرامية فالمصادر تسكت تماماً عن ذلك) [١]، على أن الشاعر حريص هو أيضاً على الكتمان فيقول :

يا سائلي عن سرِّ من أحبَبْته   السرُّ عندي ميِّت الإِحياء [٢]

وكان يوسف الثالث من أكثر شعراء هذه الفترة وصفاً لمفاتن المرأة المحبوبة ولم يترك شيئاً من مفاتنها إلا وعكسته مرآة شعره، كما كان أشدهم حرصاً على ترسم الخطا، والسير على مناهج القدماء، فأوصافه في مجملها من النمط القديم.

وشعراء العصر الغرناطي – في أوصافهم للمرأة – لا يمتازون عن الشعراء القدامى إلا في عذوبة اللفظ، وطرافة الصورة أحياناً فقد يضيفون إليها ما يحسنها ويجملها لتزداد روعة، كما أن استخدام هؤلاء الشعراء للألوان البديعية قد زاد من جمال العبارة وتأنقها، فجاءت أشعارهم سمحة تتدفق في سهولة وانسياب، وعبارتهم حافلة بالطرائف، زاخرة في كثير من الأحيان.

---

[١] – ابن زمرك الغرناطي: سيرته وأدبه، ص ١٦٢.

[٢] – نفح الطيب، ج ٧، ص ١٨٠.

المطلب الثاني

الصورة الوجدانية للمرأة

لم يكتف الشعراء برسم صورة مجازية لمن يحبّون من النساء، بل أضفوا على نموذجهم الجمالي جمالا وجدانيا وروحياً، بحيث غدت المرأة كائناً استثنائياً مفرد المزايا والصفات، جامعاً لآيات الحسن والجمال الروحية. لقد أخذ حديث الغزل من حياة الشعراء الأندلسيين وأدبهم مكاناً رحيباً، حيث عبّرت قرائحهم الشعرية عن عواطفهم نحو المرأة وطربهم لجمالها وفرحهم بلقائها، ونشوتهم بوصالها، من غير أن يبتعدوا عما جاء به المشارقة شكلاً ومضموناً.

وكان من المتوقع كما يقول الدكتور عبد العزيز عتيق " أن ينفعل الشاعر الأندلسي بمؤثرات الحياة الجديدة من طبيعية واجتماعية، فيبدل من نظرته إلى المرأة، ومن مفهومه لقيم الجمال فيها، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث، وظل الغزل الأندلسي كأخيه المشرقي". [1]

وقد حاولت المرأة الأندلسية الاحتفاظ بحبها والإبقاء على جذوته مشتعلة في قلوب عشاقها، فتمنعت وعاتبت وصدّت وهجرت وتدلّلت. وقد دفع هذا السلوك يوسف الثالث إلى عرض حبّه باستمرار والتذلل أمام محبوبته واستعطافها، ونراه يشكو حبّه ويستعطف محبوبته أن ترفق به ولا تصد ولا تبخل عليه بالوصال فيقول:

مددت يد المضطر نحوك ذلة — فلم تسعفي من جاء بالذلِ مضطرا
وما ضرَ ذاك الحسن لو منْ بالذي — يضاعف لي البلوى ويجري لك الأجرا
أردت بطول البخل إشعال لوعتي — فيهينك أن عادت ضلوعي به جمرا[2]

وعلى الرغم ممّا يتمتّع به من امتيازات ملكية، فمحبوبته تبخل عليه بالوصال فيقول:

بنوا الأملاك ما بلغوا مناطي — لهم فخرٌ إلا لثموا بلاطي

[1] – عبد العزيز عتيق ، الأدب العربي في الأندلس ، ط٢ ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ص٨٥ ، ١٩٧٦م.

[2] – انظر ديوان الملك يوسف الثالث ، ، ، ص١٧٧. وانظر حمزة محمد عبد الهادي ، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بني الأحمر، ص٦٢ .

فما لك كأس وصلك لا تعاطي　　　كأني لم أكن بالدهر ساطي

مهيب الأمر محمود السجية[1]

ولعلّ وقع كلمة بخيلة على أسماعهم أعطى أبعاداً نفسيّة بإمكانية أن تجود إذا ما آثارها النعت، فأصرّوا على استخدامه، حيث يصف يوسف الثالث بخل حبيبته بطيف الخيال:

لقد بخلت حتى بطيف خيالها　　　فلا وصل لي إلا التوّهم والفكر[2]

ويقول يوسف الثالث في وصف بخل حبيبته التي بخلت عليه حتى برد جواب:

أخادع فيها النفس بالوعد والمنى　　　وقد بخلت حتى برد جواب[3]

ونراه يتحدث في موضع آخر عن صد حبيبته عنه وهجرانها له، فقد استعرت نيران الوجد في فؤاده، فيلجأ الشاعر إلى مُناجاتها، ويتمنى أن تنعم عليه بالوصال لكي يتسنى له رؤيتها فيقول:

أراك تمل الوصل من غير علة　　　وتوصل هجري ظالما وتعتبي

وتطلب قتلي بالصدود وبالقلى　　　كأنيَ ذو ذنب ولست بمذنب

فهلا مللت الهجر يا مُنتهى الهوى　　　وواصلت وصلي واجتنبت تجنبي[4]

ويتحدث ابن فركون عن بخل محبوبته وإعراضها عنه، وميلها إلى المراوغة والمماطلة من خلال هذا الحوار الطريف الذي جرى بينهما:

تتيه مائلة عني وقائلة　　　أنت الذي قد ألِفت الهجرَ والتيها

فقلت علّ خيالا منك يطرقني　　　قالت أتطلع شمسٌ في دياجيها

عنيت قلبي بأشجانٍ أكابدها　　　فهل يصير طليقا من يعانيها[5]

---

[1]- انظر ديوان الملك يوسف الثالث، ص١٦٤.

[2]- نفس المرجع، ص١٦٣.

[3]- نفس المرجع، ص٦.

[4]- نفس المرجع، ص١٧٨.

[5]- انظر ديوان ابن فركون، ص٢٦٠.

لذلك لام ابن خاتمة عينه التي نظرت إلى جمال المرأة، فأوحت إلى قلبه بأن يعشق وبذلك جرّت إليه المتاعب والهموم والهوان فيقول:

اللهُ يُنصفُ مُهجتي مِنْ مُقلتي فهيَ التي جلبَتْ هوايَ وهُوني[1]

ويقول أيضاً:

لا تَروَعْ بمحنةِ الهَجْرِ قلبي فهوَ مِنْ مُقلتَيْكَ في مِحنَتَيْنِ
ناظِري قادَ خاطِري لِفُتوني سَيَطولُ العَذابُ بيْني وبيْني[2]

فبدت المرأة في هذه الصورة" أنانية قاسية ترغب باهتمام الجميع، وتتلذّذ بتعذيب عاشقها، وتستمتع برؤيته ذليلاً أمام ودّها، عاجزاً إزاء جمالها تريده دائماً حريصاً على صدق مشاعره ووفائه لحبّها واحترامه لجمالها حتى تحوّل عتابه مديحاً لها ويظهر مدى التطور الذي وصلت إليه أساليب التعامل مع المرأة وهو أمر وفرته الحضارة بتهذيب الأساليب وتلطيفها بحيث غدا التذلل في الحب من مظاهر صدقه، والضعف إزاء الجمال من مظاهر قوته"[3].

ولعلّ الحديث عن غدر المرأة وتلونها على إطلاقه، أمر ليس من الإنصاف في شيء، فهناك فرق بين ما قيل منه في الجارية وما قيل منه في الحرّة، لأن الأولى يعنيها المكسب المادي وهذا جزء من طبعها الذي ربيت عليه، بينما في الثانية يتمنّى الشاعر وصلها ويرغب في تحقيق مواعيده معها، لكنها تخشى إن فعلت ذلك أن يكون هدراً لكرامتها وسمعتها وسمعة أهلها وخوفاً من مجتمعها، فهو إذن ليس غدراً إنما نتيجة طبيعية لما أملته ظروف الحياة على المرأة. ووصف الشعراء حديث المرأة، بأنه ينبوع سحرها الذي تنفثه شفتاها، فيأسر القلوب ويفتن الألباب، لذلك تناول الشعراء صفاته ونوعه وأثره. ويتحدث ابن خاتمة عن إحدى المغنيات واصفاً صوتها الأغن المتميز قائلاً:

غنَّاءُ مُغنيةٌ بحسنِ غِنائها عَنْ لذَّةِ المغنى وطيبِ المألفِ
إنْ تَشْدُ فالأسماعُ رهْنُ تَشوُّفٍ أو تَبْدُ فالأبصارُ رهْنُ توقُّفِ[4]

---

[1] – انظر ديوان ابن خاتمة، ص٤٩.

[2] – انظر ديوان ابن خاتمة، ص٨٥.

[3] - انظر حمزة محمد عبد الهادي ، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بني الأحمر، ص٦٤ .

[4] – نفس المرجع، ص٧٩.

ويقول واصفاً صوت إحدى المغنيات حيث سبت العقول وشنّفت الآذان بسحر صوتها قائلاً:

تغنّي فتغنيكَ عنْ بلبلٍ وتثنيكَ إمّا انثنت عنْ فنَنْ

تريكَ وتسمعُ ما تشتهي بقدٍّ رطيبٍ وصوتٍ أغنْ[1]

ويقول في مقطع آخر واصفاً جمال منطقها حيث يسدّ عن سماع الأغاني:

وغانيةٍ تغنّينا فتغني بمنطِقِها الأغنِّ عنِ الأغاني[2]

وجاء اهتمامهم " بهذه الناحية واضحاً في حديثهم عن المغنيات وإتقان صنعة الغناء والعزف، لأن الصوت من أبرز مقوّمات العملية الفنية والغنائية. ولا تقل نظرة المرأة تأثيراً عن حديثها، فهي مصدر إلهام الشعراء والأدباء، ومنبع فتنتهم وسحرهم، يتجلى فيها الجمال المعنوي وتعكس بسهامها الجمال الحقيقي" [3]. ويقول ابن خاتمة في وصف سهام العيون وما تتركه في النفس من أثر:

ثعليّةُ الألحاظِ أصمَت مهجتي بظبا سهامٍ لا عدِمت ندوبها[4]

ويتحدث الشاعر الملك يوسف الثالث عن السهم الذي أصاب قلبه:

لقد اثبتت في القلب سهم فتورها وما كلّ سهم مرسلٍ وافق المرمى[5]

ويتحدث كذلك أبو حيان عن سهام العيون التي اخترقت كبده، فلهذه السهام تأثير قوي على نفس الشاعر، فقد أثارت في نفسه جذوة حب لا سبيل إلى إطفائها:

أصابت فؤاد الصبّ منها بنظرة فلا رقيةٌ تجدي المصاب ولا حرز[6]

---

[1] – نفس المرجع. ص٩٥ .

[2] – انظر ديوان ابن خاتمة، ص٨٨.

[3] - وانظر حمزة محمد عبد الهادي ، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بني الأحمر، ص٦٥ . بتصرف .

[4] – نفس المرجع، ص٦٥ .

[5] – انظر ديوان الملك يوسف الثالث، ص١٦٧.

[6] – انظر ديولن أبي حيان الغرناطي، ص٩٠ .

ويصف ابن فركون سهام عيون محبوبته وما لها من أثر على قلبه قائلاً:

يروم جناها حليف الهـــوى   فتحرسـها أسهم المقلتـــــــين
تصيب القلوب إذا ما رمت بها   عن قسيّ من الحــــــاجبين[1]

ويتحدث عن سهم لحاظها الذي أصاب قلبه، فيقول للحاجبين:

وما كنت أدري أن سهم لحاظها   يُصيب فؤاد المستهام إذا رمى[2]

ويلاحظ كثرة الحديث عن سحر العيون إذ " إن الشعراء رأوا في عيــون المــرأة فتنـــة تشدُّهم وسحراً يملك عليهم اللب والفؤاد، وجعلها بعضهم أشد فتكاً بالعشّاق. ويذكر ابن الجيّاب أن المحبوبة سطت على قلبه بتلك النظرات الساحرة التي ترميها من عينيها الفاترتين، والتـــي هي أسلحة فتاكة لا يستطيع مقاومتها أو الردّ عليها" [3].

سلطانُ حسنٍ على الأملاكِ منصور   سلَّ السيوف وهنَّ الأعينُ الحور
فبايع القلب عن طوعٍ وما هــــو في   تِلكَ الإبانة منهي ومأمـــــور[4]

وإذا ما تعرض ابن زمرك لوصف بعض محاسن المرأة، وصفها وصفاً يذكر على الفور بأوصاف القدماء، فتحدّث عن غنج اللحاظ، وسلاقة الرضاب وشهده، وعذوبة الثغــر وذكــر سهام الجفون ورشاقة القدّ، وغير ذلك من التعابير التقليدية، كقوله:

فطعنت من قدِّ القوام بأسمر   ورميت من غنج اللحاظ بأسهم[5]

فالسهام التي ترميها مع كل نظرة لا تخطئ مرماها، بل هي تنفذ بسرعة إلى قلب الرجل، ولا يستطيع مقاومتها، وفي ذلك يقول الملك يوسف الثالث:

---

[1] – انظر ديوان ابن فركون، ص٢٥٦.

[2] – انظر ديوان ابن فركون، ص٢٦١.

[3] - حمزة محمد عبد الهادي ، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بني الأحمر، ص٦٦.

[4] – انظر ديوان ابن الجياب، تحقيق مشهور عبدالله، ١٩٨٣ م. ص١٨

[5] – انظر ديوان ابن زمرك، . ص٩١.

ألحاظه كسيوف الهند ماضية لها بقلبي وإن سالمه أثر[١]

ويقول في موضع آخر:

ورمت من جفنها بأسهم وسط قلب مُغرم بالنظر[٢]

ويقول:

سدّدت نحوي من لحاظك أسهما وجعلت قلبي عرضة لنبالك[٣]

ويقول ابن فركون مشبها نظرة محبوبته بنظرة الغزال، ولين قوامها بالغصن:

فمهما رنت تحكي غزالا مُمتعا ومهما انثنت تحكي قضيبا منعَما[٤]

وقد تحدث ابن حزم في كتابه طوق الحمامة عن أثر النظرة الأولى فقال: " وكثيرا ما يكون لصوق الحب بالقلب من نظرة واحدة " [٥] . وقد تحدّث الشاعر الملك يوسف الثالث عن جمال محبوبته مشيداً بطيب منبتها وعفتها فيقول:

عقيلة خدرٍ من ذؤابة غالبٍ لها النجم شنف والجبين هو البدر[٦]

وما كان يزيد المرأة جمالاً وقرباً هو خجلها، حيث أحبّ العرب المرأة الخجولة، وقد رسم الشاعر ابن خاتمة صورة للمحبوبة، وقد كشفت عن وجهها واستأنست بعد حياء وخجل قائلاً:

جلت عن حجابي خجلة وتنقب كما لاح بدر عن سحاب وغيهب[٧]

---

[١]-انظر ديوان الملك يوسف ا لثالث ، ص٦٠ .

[٢]- نفس المرجع. ص ٨٤ .

[٣]- انظر ديوان الملك يوسف ا لثالث، ص٦٠ .

[٤]- انظر ديوان ابن فركون، ص٢٦١ .

[٥]- ابن حزم ، طوق الحمامة ، ، ص٨٩ .

[٦]- انظر ديوان الملك يوسف الثالث، ص٦٣ .

[٧]- انظر ديوان ابن خاتمة، ص٧٢ .

ووصف البسطي محبوبته وصفاً جميلاً فقال:

لم أنس يوم وصاله وقد اكتسي خداه من فرط الحياء خمارا[١]

وقد أحب الأندلسيون الجميلة صاحبة الرائحة الطيبة، إذ يبالغ ابن فركون في حديثه عن طيب رائحة المحبوبة، فلو أعارت رائحتها للنسيم لأصبح يتضوع طيباً ورقة:

لو أعرت القبول عرفا وطيبا لم يهُب النسيمُ إلا بليلا[٢]

كما يصف ابن خاتمة طيب أنفاس محبوبته قائلاً:

أو أن عرف الروض من أنفاسها حتى شممت على الأزاهر طيبها[٣]

ولم ينس الشعراء عواطف المرأة ومشاعرها، بل صوروا مشاعر المحبوبـة نحـوهم، ورغبتها في الوصال، وأسبغوا عليها صفة الوفاء والإخلاص وحفظ الودّ والعهد، بل أشـادوا بهذه الصفات وحفظوا لها إخلاصها ووفاءها[٤].

فالبسطي يخبرنا أن محبوبته تبادله الحب والغرام، وهي لا تطيق الفراق، ولا تصبر على الهجر، فإذا ما حان وقت الرحيل، انهمرت الدموع من عينيها، وبدت على وجههـا علامـات الحزن والكآبة فيقول:

لم أنسَ يوم النوى والبينِ كلمتها وقلبُها مثل قلبي اليوم مضطـرب
ووجهها مثل وجهي واجمٌ فرَقــا من خطبِ فرقتِنا غيرانُ مكتئب

---

[١]- انظر ديوان عبد الكريم القيسي، ص٢٥.

[٢]- انظر ديوان ابن فركون، ص١٦٠.

[٣]- انظر ديوان ابن خاتمة، ، ص٨٦ .

[٤] - انظر حمزة محمد عبد الهادي، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بني الأحمر، ص٦٩. بتصرف .

ودمعها مثل دمعي فوق وجنتــــها كالغيث منهمرٌ هامٍ ومنسكبُ
وقد مددتُ إليها للوداع يــــــدا واستقبلتني بأخرى وهي تنتحبُ
اللّه في حفظ حبّي لا تضيّعــــه فحفظه ليس لي في غيره أربُ[1]

ويوسف الثالث يؤكد حب المرأة له فهي تعترف بأنها لا تستطيع البعد عنه، فقد قتلها الحب، وأثارتها دواعي الوجد والصبابة، كما تعلن إخلاصها له وبقاءها على العهد فيقول:

لك الله لا تبعد فحبك قاتلـــــــي وقلبيَ من أجل النوى يتفطـــر
لئن غبت عن عيني ولم يُسعد اللقا فشخصُك في طيّ الفؤاد مُصوَّر[2]

ويصف لنا ابن الخطيب محبوبته، وقد أضناها الحب، فهي تبكي بكـــاءً مــرا ســاعة الوداع، وتؤكد له حبّها ووفاءها وتعترف له بأنها لا تقدر على بعاده لأنها تــرى ســعادتها، وصفاء عيشها في قربها ممن تحب فيقول:

فما ذقتُ أشهى من مُشاهدةِ النّوى وأعظمَ من بينِ الحَبيبِ المــــودّعِ
ولمْ أنسَ إذ عانقتُها لوداعِنــــــــا فخالطَ درَّ العِقدِ جوهرُ أدْمُـــعي
تمَسَحُ باليُمنى دُموعَ جفونِهــــا وتجعلُ يُسرى فوقَ قلبٍ مُـــروّعِ
فإنْ غِبْتَ غابَ الأنسُ عنّي بأسْرِهِ ومالِي منْ عيشٍ إذا لمْ تكُنْ معي[3]

وهناك فرق بين بكاء المرأة وبكاء الشاعر، لأن الأخير يبكي المرأة والحياة التي رحلت برحيلها، أما المرأة فتبكي نفسها وما حلّ بها برحيل الرجل. وهي إلى جانـــب جرأتهـــا فـــي تعاملها مع من تحب، وإعلانها عن حبها له، إلا أنها تخاف الوشاة والحاسدين أن يكشفوا خبر حبّها، فتحاول السيطرة على نفسها، وربما وجدت في إيماءة الطرف، وإشـــارة البنـــان مـــا يعوّضها عن التصريح الذي يعرّضها للخطر:

ولما سَرت والليل قد مال وانقضى وأعجلها ضَوءُ الصَبــــــــاح الملمَع

[1]- انظر ديوان عبد الكريم القيسي البسطي، ص١١٣ .
[2]- انظر ديوان الملك يوسف الثالث، ص٥٩ .
[3]- انظر الصيب والجهام ، ص٦١٧ .

ولم تستطع رد السلام مخافـــة   أشارت بطرف العين ثم أومت بإصبع[1]

وتشكو المحبوبة أيضاً من رحيل الأحباب وفراقهم وقسوة الهجر، كما يشكو صاحبها:

في ذمة الله أحباب لنا ارتحلوا   دانوا محبهم مثل الذي دانـــــــــا
فإن شكونا إليهم ما نكابده   شكوا من البعد عنا مثل شكوانا[2]

ونجح الوشاة بأكاذيبهم وحسدهم في تدمير علاقة الشاعر بمن يحب،" وهذا لم يكن مـــن العدل والإنصاف في شيء فقد قطعوا حبائل الودّ بين الشاعر الملك يوسف الثالث ومحبوبتـــه فإذا بها تتغير عليه وتميل إلى الصدّ والجفاء، ومن هنا نراه يعرّض بالرقبـــاء والوشـــاة فـــي غزله. يقول في قصيدة معاتباً محبوبته لتغيرها عليه ومعرّضاً بالوشاة الذين كانوا ســـبباً فـــي صدودها وهجرانها[3]:

حسبت مقال القوم صدقا وإنمـــا   أتـوك بـزور بين وكـــــــذاب
صددت وأشمت الأداة بهجرنـــــا   وأنعمت غذالي بطول عـــتاب
وهلا بقدر الذنب كنت جزيتني   وكان بغير الهجر منك عقابي
فلا تقبلن قول الوشاة فإنـــــــما   مراد وشاتي أن تطيل عذابي[4]

وهو يعرض بالعذال الذين سرهم ما كان يعانيه من بكاء وسهر وألم:

وعهدي بالعذال لا در درهم   ثغورهم من عبرتي تتبسم [5]

ويرجو الحبيبة أن تتعطف عليه بالرضى ليكيد هؤلاء الوشاة :

واني لأرجو من رضاه تعطفا   ليرغم واش بالرضى ورقيب [6]

---

[1]– نفس المرجع ، ص٦١٨.

[2]– انظر الصيب والجهام ، ص٥٩٦.

[3] - انظر حمزة محمد عبد الهادي ، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بني الأحمر، ص٧٠ . بتصرف .

[4]– انظر ديوان الملك يوسف الثالث ، ١٧٥ .

[5] - نفس المرجع ، ص١٢١ .

[6] - نفس المرجع، ص١٢ .

ويطلب منها أن تتريث فلا تقع في أحابيل هؤلاء الوشاة، وأن تنبذ أقوالهم وما نمقوه من أكاذيب، كما يفعل هو، رغم سعيهم في التفريق بينهما:

مُرادُ قلبي أن أحظى بودكـم وإن يكون رهينا طوع وعدكم
لما عدمت اصطباري يوم بعدكُم قال الوشاة بأني خنت عهدكم
فلا وحقك ما كان الذي زعموا

راموا التقاطع عنكم إذ قطعتهم ونمقوا زورهم لما منعتهم
صرفت سمعيَ عنهم لا سمعتهم وأنت يا سؤل قلبي إن أطعتهم
أثمت فيَ كما في قولهم أثموا

والله ما الصبر في شكواي طوع يدي ولا يمرُ سلو القلب في خلدي
فيما عذولي في وجدي على الأبد من ذا يفرق بين الروح والجسد
لا تبغ قسمة شيء ليس ينقسم[1]

ويحذر ابن الخطيب محبوبته من الوشاة، ويطلب منها ألا تصغي إلى أقوالهم لما فيها من كذب وافتراء فيقول:

يا سامعين من العذال إفكهمُ بالله لا تسمعوا زورا وبهتانا[2]

ويتحدث ابن فركون عن سعي الوشاة في التفريق بينه وبين المحبوبة، إذ اتهموه بأنه ملّها، وانشغل عنها، لكنه يؤكد إخلاصه لها، ودوام هذا الحب في قلبه فيقول:

وقد زعمَ الواشونَ أنيَ تاركٌ هواها ومرآها وأصبرُ عنهما
فظنُّت بأني قد سلوتُ عن الهوى وأني إذا لا أسهَرُ الليلَ مُغرَما
وهيهات يمحو الدهرُ أو ينسطُ العِدى لها في حصاةِ القلبِ ما قد ترسَّما[3]

وابن خاتمة يعصي في حبه لمحبوبته العذال واللوم، ولا يلتفت لشخص غير شخصها فيقول:

[1]- انظر ديوان الملك يوسف الثالث،ص١١١-١١٢ .
[2]- انظر الصيب والجهام ، ص٥٩٧ .
[3]- – انظر ديوان ابن فركون، ص٢٦١-٢٦٢.

نهاني عنها عزلي فعصيتهم فيا غيهم فيما أتوه، ويا رشدي
حرامٌ على قلبي غرامٌ بغيرها وإن جل ما ألقاه فيها من الوجد[1]

ويطلب منها أن تعرض عن الرقباء، كما يفعل هو، ويعصي عواذله فيقول:

اللهُ يكفي عاذلي ورقيبها حتى تثيب على الهوى وأثيبها
ما كانَ ضرَّ وقدْ عصيتُ عواذلي أنْ لمْ تكُنْ تعصي كذاكَ رقيبَها [2]

ولم يخرج شعراء الأندلس عن هذا الاتجاه وخاصة في عصر بني الأحمر على القدماء في التعبير عن حبهم للمرأة التي لم تكن تأبه بأنّات العاشق وآهاته، وغالباً ما صوّروها لنا مُتكبرة، معرضة عن هذا الحبّ، فالرجل وحده هو المغرم التائه، والمرأة هي المعشوقة المدللة، لذلك كان حديث الشاعر عن محبوبته حديث العاشق الظامئ إلى اللقاء، والمتشوق إلى الوصال بعد الهجر والحرمان، لا تجف له دمعة، ولا يهدأ له بال، ولا يجد السلوان إلى قلبه سبيلا[3].

وخلاصة القول فان صورة المرأة في الشعر الأندلسي لم تختلف عن صورتها في العصور السابقة إلاّ في بعض المواقف والصور القليلة بحيث لم تصل نسبة هذه المواقف والصور الجديدة إلى درجة الخروج عن المألوف، وكأنهم قد فضلوا تجاربهم العشقية على تجارب السابقين، وقلدوا مظاهرها ومواقفها بإتقان من حيث الظاهر فقط.

[1]- انظر ديوان ابن خاتمة، ص٤٧.
[2]- ديوان ابن خاتمة، ص٦٤ .
[3] - انظر حمزة محمد عبد الهادي ، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بني الأحمر، ص٧٢ . بتصرف .

المطلب الثالث
لباس المرأة وزينتها في
شعر الأندلسيين

اهتمت المرأة الأندلسية بأمور زينتها وجمالها، لكي تبقى محل اهتمام الرجل ولتظهر أمامه بأحسن مظهر وأكمل صورة، ولا شك في أن التجمّل ليس وقفاً على المرأة الأندلسية بل انه شأن المرأة في كافة العصور، " وذكر ابن الخطيب أن النساء في عصره كن يبالغن في أمور الزينة والتبرج، قال: وقد بلغن من التفنن في الزينة والمظاهرة بين المصبّغات، والتنافس في الذهبيّات والديباجيات والتماجن في أشكال الحلي إلى غاية بعيدة ".[1]

وقد أشار شعراء هذه الفترة إلى الأصباغ التي كانت تستخدمها المرأة في زينتها من حلي وعطر وثياب، وفتنوا بها، ولا سيّما أن معظمهم كانوا من طبقة الخاصة، وعاشوا في أكناف القصور، وفي ظل ترف ونعمة، فبدت المرأة في أشعارهم، منعمة، مترفة.

وكانت الحليّ أوّل اهتمامات المرأة الغرناطية، ولا سيما المرأة المترفة، حيث قمن بارتداء المجوهرات من أساور ودمالج وهو المعضد أو السوار الذي يجعل في العضد وخواتم وقلائد وخلاخيل وأقراط وتيجان، لذلك كثر الشعراء على ما كانت تستعمل المرأة من أصناف الحلي، وذكروا أنماطاً متعددة لها.وكان ابن الخطيب أكثر شعراء عصره احتفاءً بها، فهو بذلك أكثر وفاءً وتجاوباً مع حضارة عصره، وكما حدثنا عن اهتمام المرأة في عصره بزينتها وحليها – كما ذكرنا آنفاً – نجده يعكس هذه المظاهر الحضارية في شعره فيقول:

ونلثِم ما بين النحور إلى الطلى   **وإن هي غُصَّت بالحُلى والقلائد**[2]

ويقول أيضاً:

ولم أنسَ إذ عانقتها لوداعِنــا   **فخالطَ درَّ العِقدِ جوهرُ أدمُعي**

---

[1] – انظر اللمحة البدرية للسان الدين بن الخطيب ، ص٤١-٤٢ .و انظر حمزة محمد عبد الهادي ، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بني الأحمر، ص٧٣ . بتصرف .

[2] –انظر ديوان الصيب والجهام للسان الدين بن الخطيب ، ص٤٨٨. الطلى : الأعناق .

ففي البيتين السابقين يركز على ما كانت تضعه المرأة في نحرها وجيدها من قلائد وعقود ثمينة، وعرض ذلك في صور جميلة، منتزعة من حضارته وبيئته المترفة.

بنفسي غـزالٌ قد غزتني لحاظـه　　　وتيّم قلبـي حسنه وجماله
هو البدر والجوزاء قرط معسجدٌ　　　وجنح الليالي فرعه ودلاله[1]

إنّه يمزج جمالها وحسنها بجمال حليها وزينتها، فهي في جمالها كالغزال وكالبدر، إلا أن هذا الجمال يزداد بدلالها وترفها، وبالحلي التي تتزين بها، فهي تضيف إلى جمالها ألوانا حضارية براقة[2]. وهي تتخذ أنواعاً من الحلي يظهر صوتها مع كل حركة تصدر عنها، فيتحدث الشاعر عن هذه الوسوسة وما يتركه ذلك من أثر في نفسه قائلاً:

وَسْواسُ حلْيِكِ أمْ همُ الرُّقبَاءُ　　　لِلقلبِ نحوَ حديثِهِمْ إصْغاءُ
ووميضُ ثغرِكِ أم تألقُ بارقٍ　　　وشِهاب شُنُفِكِ ذا أم الجوزاءُ
يا بانةً ورقَ الشّبَابِ ظِلالها　　　وكأنّ قلبي بينها ورقاءُ[3]

وقد طرب الشعراء القدماء كثيراً لوسوستها خاصة إذا ما ألصقت هذه الحلي والمجوهرات على الثياب، حيث تضفي على المرأة جمالاً خاصاً فيقول الأعشى:

تَسمعُ لِلحلي وَسواسا إذا انصَرفت　　　كَما استعانَ بريحٍ عِشرِقٌ زَجِلُ[4]

فابن الخطيب يرى الجمال مقروناً بالحلي وألوان الزينة غالباً، وهذا الجمال الحضاري كان يفتنه، لما فيه من تأنق وترف ودلال فيقول:

صبوت وما قلبي بأوّل من صبا　　　لناطقةِ القرْطين صامتةِ القلْبِ[5]

---

[1] - نفس المرجع . ص٦١٧ . معسجد : مذهب ، اللسان ، مادة عسجد .

[2] - انظر حمزة محمد عبد الهادي ، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بني الأحمر، ص٧٤ . بتصرف .

[3] - نفس المرجع ، ص٥٧٣ . الشنف : حلية تلبس في أعلى الأذن، اللسان ، مادة شنف .

[4] - ميمون بن قيس "الأعشى" ، ديوان الأعشى ، بيروت، دار الجبل، ص١٦، ١٩٩٢م.

[5] - انظر ديوان الصيب والجهام لابن الخطيب ، ص٤٣ . القلب : السوار يكون نظما واحدا ، اللسان ، مادة قلب .

فهو يعبّر عن امتلاء المعصم وصمت السوار، ويقرن هذا الجمال الطبيعي الذي في المرأة بالجمال الصناعي، عندما يحدثنا عن جمال قرطيها ووسوستهما، نلمح في معانيه بعض الطرافة والجدّة أحياناً مع امتزاج العواطف بها، مما يجعلها مادة لاستمتاع فني بديع، وهي تكشف عن نزوع عميق إلى الترف، كما نستشعر فيها ميلاً إلى الراحة والرخاء[1].

فابن الخطيب عاش في قصر الحمراء حياة ناعمة مترفة، فلا بد من أن يترك هذا الأفق السلطاني الذي عاش في كنفه أثراً كبيراً في شعره، فراح يصوغ من ذهب القصر ولؤلؤ الثراء ودر الغنى صوراً تبهج النفوس والمرأة التي يتحدث عنها يوسف الثالث منعمة مترفة، تتأنق في زينتها واختيار حليها، كما أنها عريقة الأصل، شريفة في نسبها:

عقيلة خدر من ذؤابة غالب　　　لها النجم شنف والجبين هو البدر[2]

ففي هذا البيت اشادة بحسن المرأة وجمالها، وما تتحلى به من ألوان الزينة، كما أشاد بأصلها وطيب منبتها وعفتها، وهذه الأمور تزين المرأة، وترفع من قدرها ومكانتها، فهي وإن أخذت بأسباب الحضارة وألوان الترف، إلا أنها تتمسك بالقيم العربية الأصيلة.

وعلى النقيض الآخر هناك من الشعراء من اعتبر أن جمال الوجه والجسم هو الجمال الحقيقي معتبرين أن الحلي صور ثانوية، ونجد ابن خاتمة يتحدث عن مفاتن المرأة وجعلها كالصباح في إشراقها، تضاهي الشمس ببهائها، كما تستهويه بجمال بشرتها، وصفاء أديمها، وثقل أردافها وجمالها هذا كما يقول ابن خاتمة يغنيها عن الحلي الصناعية فيقول:

حسناء قد جلت بفضل جمالها　　　عن زينة بتطوقٍ وتشنُف[3]

ويخبرنا ابن خاتمة في موضع آخر أن الله قد خصّ محبوبته بحسن فريد بين الناس، بحيث أنها عاطلة من الحلي، فجمالها الباهر يغني عن الزينة والتبرج فيقول:

---

[1] - انظر حمزة محمد عبد الهادي ، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بني الأحمر، ص٧٥ . بتصرف .

[2] – انظر ديوان الملك يوسف الثالث ، ص٦٣ .

[3] – انظر ديوان ابن خاتمة، ص٧٩ .

ما زهرة الدنيا سوى زهــــرةٍ أطلعها الحسنُ على غصــنِ
زهرٌ لمن شمَّ وغصنٌ لمـــن ضمَّ وتفاحٌ لمن يجنـــي
عاطلةٌ قد غنيت عن حـلىً بما بمرآها من الحسـن
لو نعت الناعت شمس الضحى ما خلته عن غيرها يكني
قد نظم الحسن بها شمـــله كأنها حوراء من عـــدن[1]

ولم يكتف ابن خاتمة بوصف محاسن محبوبته وصفاً تقليدياً، وإنّما نعتها بأشياء جديدة استقاها من عصره، وعرض ذلك كله بلغة سهلة بسيطة، وألفاظ عذبة منتقاة لا غرابة فيها وهو بذلك يقترب من شعراء بني العباس المحدثين.

وكانت الثياب أحد جوانب اهتمام المرأة من خلال تصاميمها وأشكالها وألوانها، وساهم التقدم الحضاري الذي عاشه المجتمع في توفير كل ما تحتاج إليه المرأة من أجود أنواع الأقمشة، فكانت تلبس الحلل الفاخرة المزركشة وتستعمل الوشاح، وقد صورّ الشعراء هذا الجانب فوصفوا الألوان والنقوش والأشكال ومدى تأثير ذلك على نفوسهم، فيصف يوسف الثالث اللون الغالب على ملابس صاحبته وهو اللون الأحمر قائلاً:

تالله ما أهوى سوى قمـــر متورد الجلباب والـــخد[2]

ويقول:

من ساحبٍ في فجره وأصيله حللا أتت بمورّس ومـــورّد[3]

ويقول:

أمن أجل زورٍ لذات الوشاح غدا القلب مغرى بها مستباح[4]

فالشاعر في هذا النص يصورّ ملابس المرأة بما فيها من أصباغ حضارية تكشف عن جمالها وثرائها ودلالها وترفها، فمحبوبته جميلة، وإلى جانب جمالها تهتم بزينتها وحليها وملبسها وهي تعيش حياة كلها ترف ودلال، في قصر تحيط به الرياض الغناء، والحدائق الخضر الملتفة فيقول:

---

[1] - انظر ديوان ابن خاتمة الأنصاري ، ص٧٨ .نفس المرجع
[2] - انظر ديوان الملك يوسف الثالث ، ص٤٥ .
[3] - نفس المرجع. ص ١٧١ .
[4] - نفس المرجع.ص٢٥ .

سل الروضة الغناء من جانب القصر ومنبت حوط البان ذي الورق النضر
بها من ظباء الأنس حوراء طفلة هي البدر أو تزهي جمالا على البدر[1]

ويقول:

كلفت بظبي ليس سكناه بالفلا ولكن له القصر المرفع منزل[2]

ويقول:

غزال له القصر المرفع مسكن وبدر بآفاق الضلوع مقيم[3]

إنها امرأة منعمة مترفة، تحافظ على جمالها وتعيش له، فهي تجمع الحسن والرقة والدلال:

طوع الترفه قومة أو نومة الحسن بين توسم وتوسد[4]

ويبدو أن المرأة في هذه الفترة كانت تستعمل القناع، وهو كالخمار يكون على الرأس، ثم تسدل المرأة بعضه على جزء من الوجه، إذا احتاجت إلى ذلك فيقول ابن فركون:

قد يجتلى حسنها لولا تقنعها ويجتنى زهرها لولا تجنيها[5]

وهذا القناع كان منسوجاً من الذهب الخالص، مما يدل على ترف صاحبته وثرائها. ولابن فركون مقطوعات كثيرة في ديوانه، يصف فيها القناع الذي كانت تستعمله المرأة آنذاك، منها قوله:

أحسن به من قناع راق العيون جمالا
حوى من الوجه بدرا فاق البدور كمالا

---

[1]- نفس المرجع. ص ١٩٦ . الحوط : الغصن ،طفلة: رخصة لينة، لسان العرب مادتا : خوط- طفل .
[2] - انظر ديوان ملك غرناطة ، ص٤٥ .
[3]- نفس المرجع، ص٩١.
[4]- نفس المرجع، ص، ١٧١.
[5]- انظر ديوان ابن فركون، ص، ٢٦٠.

من خالص التِبْر جــــــلت صـفاتـه أن تنـــــالا
شمس الأصيـل حكتـــــه لونا وحسنا وحــــــالا(١)

والمرأة كما تبدو من شعر البسطي، كانت ترتدي الثياب المرصعة بالذهب والفضة:

تردى رداء الحسن بردا مُفوّقـــــا فمالت له بالحب منى الجــــوارح(٢)

وهي إلى جانب جمالها تتأنق في اختيار ملبسها وحليها:

عانقت منها الغصن يرفلُ من حلىً من حسن بهجتها تروق وفي حللْ(٣)

وإلى جانب جمالها وترفها اهتمت المرأة الغرناطية بطيبها وعطرها، حتى غدا هــذا جانباً مهماً من شخصيتها، وجعل الشعراء الطيب جزءاً لا ينفصل عن صورة المرأة بهــدف تقريبها من الأذواق وإكسابها شيئاً من الجمال، فأضافت إلى جمالها جمالاً آخر هو من نــوع خاص، يحبه الرجل ويرغب فيه[٤].

وهذا يعني أن المرأة كانت جميلة وفاتنة وتملك ذوقاً جمالياً عالياً ظهر فــي زينتهــا ووسائل تجميلها وفي فهمها للجمال المطلوب عند أهل العصر. وقد أحبّ ابن فركون المــرأة الجميلة صاحبة الرائحة الطيبة، لذلك فهو يقرن حسن المرأة وجمالها بطيب رائحتها فيقول:

إذ لها بهجةٌ وحسنٌ عجيبٌ وجمالٌ بادٍ وعرفٌ وطيبٌ(٥)

وبالغ في الحديث عن طيب رائحتها، فلو أعارت رائحتها للنسيم لأصبح يتضــوّع طيبــاً ورقة فيقول:

١- انظر ديوان ابن فركون، ص، ص٢٦٧- ٢٦٨.

٢- انظر ديوان عبد الكريم القيسي ، ص١٤٠ . يقال: غرفة مفوفة: وتفويفها لبنة من ذهب واخرى من فضة ، والمفوف : الذي فيه خطوط بيض على الطول، انظر لسان العرب.

٣- نفس المرجع، ص ٣٠٩.

٤ - انظر حمزة محمد عبد الهادي ، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بني الأحمر، ص٧٩ . بتصرف .

٥- انظر ديوان ابن فركون ، ص ٢٧٥ .

لو أعرت القبول عرفا وطيبا   لم يهبَّ النسيمُ إلا بليـــــــلا[1]

كما تحدث عن أثر هذه الرائحة في النفسن فهي تنعشها وتحييها:

عهدي بها والطيب يذكى عرْفه   منها فأحيا النفس إذ حيّاها[2]

ويقول الملك يوسف الثالث واصفاً رائحة المرأة الطيبة:

للّه نسمـة داريـنٍ إذا صـدرت   عن ورد وجنته التفاحة الأرج
تهدى من الطيب ما يحيي تنسّمه   فؤاد ذي نظرٍ بالحسن مبتهج[3]

أما أبو حيان فيجعل الأرض تستمد طيبها من رائحة الحبيبة وتخضرُّ بعــد أن كانــت لا تنبت فيقول:

يـفوح أديمُ الأرضِ من نش طيبها   ويخضر من آثار تربتها الجُـــــــرزُ[4]

ويقول البسطي في وصف رائحة محبوبته:

وبي شادنٌ أغرى فؤادي بالهوى   فأصبح عن معنى الهوى ليس يبرح
وتحـمل عن أنفاسه نفحة الصَّبا   روائـح مسـكٍ حيـن تهفو وتنفـــح[5]

وابن خاتمة عندما يعمد إلى بيان أجزاء الجسم وجلاء مفاتنه، يتخذ من لباس المرأة سنداً له وعوناً ليرصع وصفه بخلابة من الحياة الخارجية، التي لا تمل المرأة من خصها بالعنايـــة والأهمية فيقول:

---

[1]- انظر ديوان ابن فركون،ص١٦٠ .

[2]- انظر ديوان ابن فركون،ص ١٦٨ .

[3]- انظر ديوان الملك يوسف الثالث، ص ٢٠.

[4]- انظر ديولن أبي حيان الغرناطي، ص١٨٩.

[5]- انظر ديوان البسطي ، ص١٥٩ .

قد كان في حمْرِ المقانع مقنَعٌ لِضَلالِ شأني وانهِمــالِ شؤوني
حتّى دهيتُ بحمْرَةٍ في سُمْرَةٍ كالخمرةِ الصَّهباءِ في تلوينِ[1]

إنه يرينا جمال المرأة من خلال اختيار هندامها، ثم ما يكون في هذا الهندام من إغواء، فللقناع دور يؤديه في الكشف عن جمال الوجه، الذي أجاد الشاعر وصف ما يثير من الفتنة.

لقد وصف شعراء الأندلس وخاصة في عصر بني الأحمرجمال المــرأة الحسّــي، ولــم يتركوا شيئاً من مفاتنها إلاّ وعكسته مرآة شعرهم . وعلى الرغم من ذلك كله فقد وجدنا فــي شعر هؤلاء ألوانا من التصاوير والمجازات تمثل أذواقهم ومتطلبات عصرهم، وأحياناً يعرض الشاعر الصورة الموروثة عرضاً جديداً، فيعطيها الجدة والطرافة، كذلك نجدهم يضيفون إلى الوافد الآتي من الشرق إضافات تدل على أنهم تأثروا ببيئتهم وظروف مجتمعهم.

وخلاصة القول فإن المرأة في المجتمع الأندلسي وخاصة في عصر بني الأحمر وعصر الطوائف ظهرت في كثير من الأحيان بصورة جديدة ومتفرّدة عن غيرها في باقي العصــور فيما يخص ملبسها وزينتها، فلم تكن مقلّدة للمرأة المشرقية في كل شيء، فنرى أن المشــارقة كانوا يفضلون الملابس التي تشتمل على لون النرجس الأصفر في حين أن شعراء بني الأحمر يفضلون الملابس التي تشمتل على الورد الأحمر، فغدا هذا الشعر الذي قيل في زينتها يحتوي على تجديد واضح.

[1] – انظر ديوان ابن خاتمة ، ص ٤٧. صهباء: شقراء أو حمراء. مادة صهب، انظر اللسان لابن منظور .

المبحث الثاني
صورة المرأة الخاصة
في الشعر الأندلسي
المطلب الأول
صورة الزوجة والزواج

كرّم الإسلام الزوجة تكريما لم تعرفه الديانات الأخرى والأنظمة الحديثة التي تدعي المحافظة على حقوق المرأة فكرم الإسلام الزوجة وأعلى من شأنها، وميز مركزها وقرنها في معظم الآيات القرآنية فيقول جلّ شأنه:{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[1]....وقوله تعالى {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ }[2]....

فالمرأة والرجل كلاهما من معدن واحد وهما متساويان في المنشأ فلا ينبغي أن يتباينا. وقد ضمن الإسلام للمرأة حقوقها من إرث وزواج وغيرها، وكرّمها مثلها مثل الرجل، ولا نقول تماما ذلك " لان الله فضّل الرجال على النساء، على سبيل المثال فضّلهم في الشهادة والزواج بأربع، وزيادة النصيب في الميراث، وأمر الطلاق، والرجعة، والانتساب "[3].

وللمرأة في الإسلام حق التملك، والإجارة، والبيع، والشراء، وسائر العقود، ولها حق التعلم، والتعليم، بما لا يخالف دينها، بل إن من العلم ما هو فرض عين يأثم تاركه ذكراً أم أنثى . بل إن لها ما للرجال إلا بما تختص به من دون الرجال، أو بما يختصون به دونها من الحقوق والأحكام التي تلائم كُلاً منهما .

[1] – سورة النساء ، آية : ١ .

[2] – سورة الأعراف، آية : ١٨٩ .

[3] – صلاح الدين الناهي ، الأسرة والمرأة ، بغداد ، شركة الطبع والنشر الأهلية ، ١٩٨٥م ، ص١٥.

ومن إكرام الإسلام للمرأة أن أمرها بما يصونها، ويحفظ كرامتها، ويحميها من الألسنة البذيئة، والأعين الغادرة، والأيدي الباطشة؛ فأمرها بالحجاب والستر، والبعد عن التبرج وعن الاختلاط بالرجال الأجانب، وعن كل ما يؤدي إلى فتنتها. ومن إكرام الإسلام لها: أن أمر الزوج بالإنفاق عليها، وإحسان معاشرتها، والحذر من ظلمها والإساءة إليها .

بل ومن المحاسن– أيضاً– أن أباح للزوجين أن يفترقا إذا لم يكن بينهما وفاق، ولم يستطيعا أن يعيشا عيشة سعيدة؛ فأباح للزوج طلاقها بعد أن تخفق جميع محاولات الإصلاح، وحين تصبح حياتهما جحيماً لا يطاق . وأباح للزوجة أن تفارق الزوج إذا كان ظالماً لها، سيئاً في معاشرتها، فلها أن تفارقه على عوض تتفق مع الزوج فيه، فتدفع له شيئاً من المال، أو تصطلح معه على شيء معين ثم تفارقه .

ومن صور تكريم الإسلام للمرأة أن نهى الزوج أن يضرب زوجته بلا مسوغ، وجعل لها الحق الكامل في أن تشكو حالها إلى أوليائها، أو أن ترفع للحاكم أمرها؛ لأنها إنسان مكرم داخل في قوله تعالى :(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً) .

وليس حسن المعاشرة أمراً اختيارياً متروكاً للزوج إن شاء فعله وإن شاء تركه، بل هو تكليف واجب . قال النبي ﷺ –:" لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم يجامعها في آخر اليوم فهذا الحديث من أبلغ ما يمكن أن يقال في تشنيع ضرب النساء، إذ كيف يليق بالإنسان أن يجعل امرأته – وهي كنفسه – مهانة كمهانة عبده بحيث يضربها بسوطه، مع أنه يعلم أنه لا بد له من الاجتماع والاتصال الخاص بها .

وقد سنّ الإسلام أحكاما للزواج والطلاق وتعدد الزوجات لكن بنظرة قائمة على الرحمة والمودّة، وحفظ للزوجة كرامتها وجعلها مهابة الجانب، مقابل ذلك عليها واجبات معينة تؤديها تجاه زوجها.فالرجل والمرأة يؤلفان شطري الإنسانية، ويكمّل كلٌّ منهما الآخر، ولكن أُعِد كلٌّ منها لمهام معينة وهذا وجه اختلافهما . ولهذا وجّه ابن الجيّاب عدة أبيات إلى أحد أصحابه بمناسبة زواجه ثانية، مبيّنا أن الإسلام احلّ للمسلمين الزواج مثنى وثلاث ورباع فيقول :

قصرَ بي في الفعل والقـول عـن	واجبك المحتوم بيعي القصـير
فإن تلم فاللـوم حقـــــي وإن	أوسعتني عـذرا ففضلُ كبيـر
ثلث وربع لا تخف عيلـــــة	يكـفيها الله وفضـل الوزير[1]

فنظام تعدُّد الزوجات مألوفٌ عند العرب، وكان أسلافنا يمارسونه قبل الإسلام، وظلوا يمارسونه على وفق التشريع بعد ظهوره، وازدادوا شيوعاً بعد دخول العرب الفـاتحين إلـى الأندلس.[2] وربما كان لا يتم عقد الزواج في الاندلس إلا بعد موافقة الفتاة وأهلها على ذلـك، وإن تمّ يدفع الزوج صداقا مقابل ذلك يحدد باتفاق بينهما، لهذا نرى عبد الكريم القيسي يعرض بقاضي بسطة الذي غيّر الأحكام، وأجاز الزواج بلا صداق فيقول:

تبا لقاضي بسطة ابن مفضـلِ	تبًا له فيه يروح ويغتدي
ويرى النكاح بلا صداقٍ جائزا	رأيَ الغويِّ الجاهليِّ الملحدِ
ويغيّر الأحكام عمّا أصّلت	تغيير جبار عنيد معتد[3]

وشاعت ظاهرة الطلاق في الأندلس كما في غيره من البلدان، وهو تنازل الرجل عـن حقوقه التي على الزوجة كافة، وينفرد الزوج دائما بحق الطلاق الا فـي حـالات اسـتثنائية نادرة[4]. وقد أباحه الإسلام وإنْ ضيّق من دائرته. وهذا الشاعر عبد الكريم القيسـي وبعـد أن يورد الصفات الذميمة التي تتصف بها زوجة إحدى أصحابه يبين له أن زوجته عجوزا لم تعد قادرة على خدمته، ويدعوه إلى تطليقها وأن يتزوج من فتاة صغيرة السن فيقول:

شكوت به عجوزا أنت منها	بحالٍ ترتجي لها الاستحالـه
وجئت لها بأوصافٍ قبـــاحٍ	تناسبُ خلقها منها الرذالـــه
فلم تترك بما أبديتَ منهـــا	مداعبة لذي قولٍ مقالـــه
فـــطلقها طلاقَ فتى كريم	فها هيَ اكثرت زعموا سُؤاله
فإنَ طلاقها رأيَ رشيـــــدٌ	تحقق رُشده تلك الجلالــه[5]

---

[1] – أبو الحسن بن الجياب ،ديوان ابن الجياب ، تح مشهور عبد الرحمن الحبازي واشراق عصمة غوشة ، ١٩٨٣، ص٢٦١

[2] – محمد سلام زناتي ، تعدد الزوجات لدى الشعوب الإفريقية، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٣ م ، ص ٦٢ – ٦٣ .

[3] – ديوان عبد الكريم القيسي ، ص ٢٤٣ .

[4] – مونيك بييتر ، المرأة عبر التاريخ ، ترجمة هنرييت عبودي ، بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٧٩م، ص ٢٥ – ٧٩.

[5] – ديوان عبد الكريم القيسي البسطي ، ص ،٣٠٤.

وبعد هذه النصيحة يدعوه أن لا يطيل فترة بقائه بدون زوجة، بل وعليه أن يبادر إلى الزواج من زوجة صغيرة السن ، لما يلاقيه من نعيم وطيب عيش فيقول:

ولا تطل التأيم بعـد وانكح	فتاة تسلب الغصن اعتدالـه
ممتعة يبيت الصـب منها	بما يلقاه شاكيا اعتلالـه
تحبك مالها أحببـت يوما	وتبدي للجفا منك احتمالـه
وتبكي إن تمت عنها بدمع	يفوق دموع باكيك المسألة[1]

وديننا الإسلامي لا يجيز للمطلقة ثلاثاً أن تعود إلى عصمة زوجها قبل أن تنكح رجلاً نكاحاً صحيحاً مقصوداً لذاته، إلا أن قاضي بسطة أجاز و بلا تقوى منه لمن تهوى من المطلقات ثلاثاً الرجوع إلى زوجها مباشرة، ولهذا نرى الشاعر عبد الكريم القيسي يُعرض بهذا القاضي، حيث قال :

أمبتوتة تهوى الرجوع لزوجها	عليك بقاضي بسطة ابن مفضل
تجد قاضيا ذا مذهب غير ضيق	يجيز بلا تقوى نكاح المحلل[2]

وهنالك من الرجال من طلقوا زوجاتهم، فقضى قاضٍ بردهن إلى أزواجهن لكن الأزواج امتنعوا عن ذلك. كما هو الحال عند عبد الكريم القيسي عندما عرض بابن الأحول حين حرمت عليه زوجته، فقضى قاضٍ بردها إليه، بينما تشبث ابن الأحول بتحريمها عليه فيقول:

ما لابن الأحول والغرور بوصفه	في الفقه بالتفضيل والتقديم
ولزوجة قد حرمت رد الـذي	رد الفراق، اختار بالتحريم[3]

وعدة المرأة الحامل عند تطليقها بأن تضع حملها، لكن ابن الأحول جعل عدة زوجته الحامل المطلقة أربعين يوماً، فقال عبد الكريم القيسي شعراً معرضاً به ومبيناً له أن نكاحها في هذا الموضع يعتبر زنى يؤثم عليه فيقول :

---

[1] – نفس المرجع ، ص ٤٠٣ – ٣٠٥ .

[2] – عبد الكريم القيسي البسطي ، ص ٤٠٩ . والمبتوتة : المطلقة ثلاثاً .

[3] – عبد الكريم القيسي ، ص ٢٤٥ .

عدد الطوالق أن يحضن حرائرا جعل ابن أحول أربعين صباحا
فنكاحهن زنى عليه وزره لعظيم ما بالجهل منه أباحا[1]

وقد حرم الإسلام على الزوج أن يتزوج بنات زوجته أو حفيداتها من غيره لما يؤدي من اختلاط في الأنساب ينجم عنه أذى كبير، إلا أن ابن الأحول أجاز لنفسه هذا الزواج، فقال فيه عبد الكريم القيسي شعراً معرضاً به :

نقد ابن الأحول ما رآه شيخنا مستعملا ومتمما عقد الهبة
سُحقا له فنكاح بنتِ ربيبه بعد الدُخول بالأمَ أضحى مَذهبه[2]

وتعدّ زوجات ﷺ خير قدوة لنساء العالمين، فهنّ المثل الأعلى في الأدب والأخلاق، كيف لا وهنّ أمهات المؤمنين وزوجات النبيﷺ . فقد نظم ابن الجياب شعراً يبيّن فيه حبّه لزوجات النبي ﷺ ، وهنّ أمهات المؤمنين، حيث يُبيّن أن حبّه هذا مذهبه في الحياة فيقول:

حب ثلاث نسوة مُطهرات مذهبي
عائشة التي لها الـ فخر العظيم الرتب
برأها الرحمن من فرية أهل الكذب
وقبلها فاطمة فات العلى والنسب
وأبدأ بأزكى منهما ربة بيت النصب[3]

وقد كان لميل القلب دورٌ في النكاح، " وكان هذا الميل والإعجاب سبباً مباشراً في كثير من الزيجات، فقد يعجب الرجل بسرعة بديهتها وحسن ذكائها وجمالها، فقد قيل: المرأة الصالحة كمثل التاج على رأس الملك والمرأة السوء كمثل الحمل الثقيل على ظهر الشيخ الكبير"[4].

[1] – ديوان عبد الكريم القيسي ، ص ٤٠٩.
[2] – نفس المرجع ، ص ٤١٧ .
[3] – ديوان ابن الجياب ، ص ٧٩ .
[4] – ابو الفرج عبد الرحمن بن علي البغدادي (ابن الجوزي) ، صيد الخاطر ، تح السيد الجميلي، بيروت ، دار بن زيدون ، ١٩٨٦م، ج٢ ص ٤٧٧ .

لهذا نرى ابن زمرك يقول في خاطب استعدّ أن يقدّم كل ما يستطيع من مجوهرات وحلي ومذهّبات في سبيل استرضائها حتى تقبل أن تكون شريكة حياته:

عدلت بها عن خاطب بقريضة يقرضها فيه المبرة والمدحا
وساق لها الجوزاء قرطا مجوهرا ومن مهبات البرق أهدى لها وشحا
ولو طلبت تاج الهلال مكللا بدرّ الدراري لم يضنّ به شحا [1]

ويقول ابن زمرك في فتاة أحبّها، أنه بارتباطه بالمحبوبة وعقد قرانه عليها كأنه ملك الدنيا وما فيها :

خطبت منها خطابا كان موقعه أشهى إليّ من الدنيا وما فيها
ضنّت عليّ وليس البخل شيمتها لكن لمعذرة لم يبدَ خافيها [2]

ومن النساء من لامت زوجها على إنفاقه المال بكثرة، وقد بيّن الشّعراء من خلال جدلهم وحوارهم مع العاذلة الأسباب والعوامل التي دفعتهم للكرم والعطاء السّخيّ، والشاعر لا يسمع لها العذل وإنما يستمر في ذلك لأن الكرم صفة جُبل عليه منذ مولده. ويصوّر ابن زمرك حواراً دار بينه وبين زوجته التي تلومه على إنفاقه المال، بينما هو يردّ عليها بأنّه ينفق هذا المال عن اقتناع تام ومطلق بوجوب إنفاقه فيقول:

ألائمتي في الجود والجود شيمتي جبلت على آثارها يوم مولدي
ذريني فلو أني أخلد بالغنى لكنت ضنينا بالذي ملكت يدي [3]

وهذه الظاهرة وجدت في العصور القديمة وتحديداً في العصر الجاهلي، وذلك من خلال قراءة الشعر الجاهلي، حيث يصوّر طهمان بن عمرو الكلابي في شعره حواراً دار بينه وبين زوجته التي تلومه على إنفاق المال فيقول :

[1]- ديوان ابن زمرك، ص ١٩٩.
[2]- نفس المرجع، ص ٢٠٠.
[3]- نفس المرجع، ص ٣٨٤.

تقول ابنة الطائي مالي لا أرى   بكفيك من مال يكاد يليق
يزين ما أغطيت مني سماحة   ووجه إلى من يعتريه طليق [1]

ويقول تأبّط شراً معللاً سبب اسرافه في إنفاق المال :

يقول أهلكت مالا لو قنعت به   من ثوب صدقٍ ومن بزٍ وأعلاقِ
عاذلتي إن بعض اللوم معنفة   وهل متاع وإن أبقيته باقِ [2]

ومن الملاحظ أن شعراء الأندلس بشكل عام لم يتغزّل أحد منهم بزوجته قط، ما خلا الشاعر أبا حيّان الغرناطي، وربّما يعود التعليل في ذلك إلى أنّ الشعراء أرادوا الحفاظ على خاصتهم من النساء وعدم الرغبة في إظهار محاسنهنّ وجمالهنّ أمام العامة، من باب الغيرة عليهنّ. أما غزل أبي حيّان فيتجلّى في حبه لزوجه زمردة (أم حيان) فقد بث لوعته في أشعاره وتحدث عنها وجنّ بها فيقول :

جننت بها سوداء لون وناظر   ويا طالما كان الجنون بسوداء
وجدت بها برد النعيم وإن يكن   فؤادي منها في جحيم ولأواء
وشاهدت معنى الحسن فيها مجسدا   فاعجب لمعنى صار جوهر أشياء
أطاعنة من قدها بمثقف   أصبت وما أغنى الفتى لبس حصداء
لقد طعنت والقلب ساه فما درى   أبالقد منها أم بصعدة سمراء [3]

ويختلط الغزل بالمديح والإعجاب في هذه الأبيات، ولا غرو في ذلك، فقد أحبّها وهام بها وكانت أنيسة في الغربة وسميره في الوحشة.

---

[1] – طهمان بن عمرو الكلابي ،ديوان طهمان عمرو والكلابي، تح محمد جبار المعيبد، بغداد ، مطبعة الارشاد ، ١٩٦٨م ، ص ٢٥–٢٦ ، ما يكاد يليق: ما يبقى ولا يلصق .

[2] – أبو زهير ثابت بن سفيان، ديوان تأبّط شراً ، تح علي ذو الفقار شاكر، بيروت، دار الغرب الاسلامي، ١٩٨٤م، ص ٥٠–٥١، البزّ : الثياب أو السلاح، الأعلاق : كرائم الأموال .

[3] – ديوان أبي حيان الغرناطي، ، ص ٤٢٣. انظر حمزة محمد عبد الهادي ، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بني الأحمر، ص٨٦. بتصرف .

المطلب الثاني

صورة الابنـــــــة

أظهر الشعر الأندلسي قوة العلاقة وعمقها بين الأب وابنته، فقد ظهرت الابنة في مظهر المحبة لوالدها المتعلقة به، وظهر الوالد كذلك محبّاً لها مشفقاً عليها من كل ما يمكن أن يسبب لها الأذى سواء في حال وجوده أو بعد موته. ففكرة كون البنات الأكثر تأثيراً في نفس الوالد فكرة متوارثة في شعرنا، فقد قال فيها غير شاعر، ربّما لأنهم يرون أن البنت عنصر ضعيف في الأسرة وفي المجتمع، وبالتالي فإنها تثير في نفس والدها الإشفاق على حالها[١].

ومن مظاهر حب الأب لابنته ذكرها في شعره ومحاورته لها في قضايا الحياة المختلفة. وصورة الابنة في شعر عصر بني الأحمر لم تختلف عن صورتها في بقيّة العصور من حيث قلّة الشعر وندرته، فلو استثنينا الشاعر أبا حيان لوجدنا أننا لم نعثر في دواوين الشعراء إلا على خمس قصائد تناولت الحديث عن بعض جوانبها، فلقد عثرت على قصيدتين في باب التهنئة بقدوم مولودة وقصيدة في المديح وقصيدة في وصف زيارة وقصيدة في الرثاء، أما أبو حيان فقد وجدت له اثنتي عشرة قصيدة في رثاء ابنته نُضار[٢].

وربّما يعود قلّة الشعر الذي قيل في البنت في تلك الفترة إلى الاضطرابات السياسية التي شهدتها الأندلس آنذاك، فقد وجدت كثيراً من الشعر قيل في المواليد الذكور، وذلك لأن فرحتهم بالمولود الذكر أكثر منها من الأنثى، لحاجتهم إلى من يقف في وجه تهديدات النّصارى.

وكانت البنت في نظرهم عنصر الضعف في الأسرة، فكان هذا القلق ملازماً لهم خوفاً من انتهاك حرمتها فيما لو احتلّوا من قبل العدو. وعلى الرغم من هذا كله إلا أننا نجد لسان الدين بن الخطيب يهنّئ الأمير أبا عبد الله يوم ميلاد ابنته مبيناً له أنها وبقدومها أصبح الدين عزيزاً فيقول:

بـشرى تقـوم لهـا الدنيا على قـدم   حيّا بهـا اللّه حيّ النصـــر في القدم

---

[١] - انظر حمزة محمد عبد الهادي ، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بني الأحمر، ص٨٧ . بتصرف .

[٢] - نفس المرجع والصفحة .

وأصبـح الديـن جذلانا بموقعهـا   يثنـي بكـل لسـان ناطق وفـم
ويا بشيـرا بنعمـى جـل موقعهـا   لك البشـارة ممـا شـئت فاحتكم
ويا أميـر الـهدى هنيتهـا نعـمـا   موصولـة العد قد جلـت عن النعم
ويا أميـر الـهدى هنيتهـا نعـمـا   موصولـة العد قد جلـت عن النعم [1]

ولابن فركون نصيب من هذه التهاني، فنراه يهنئ السلطان يوسف الثالث ببنت ولدت له، مبيناً أن شرف قدومها وصل إلى قاضي البلاد لسمعة أبيها الطيبة فيقول :

هـنيئـا هنيئا إمـام الهـدى   وغوث الوجـود وغيـث النـدى
وبـشرى بوافـدة قـد أتـت   لهـا شرف حـاز أقـصى المـدى
لقـد طلعـت هذه عنـدمـا   رأت سيـفه فـي الثـرى أغمـدا
فـايمن وأسعـد بهـا طلعـة   وأعظـم وأكـرم به مولـدا [2]

ولقد كان للبنت نصيب من المدح في عصر بني الأحمر، فقد نظم الخطيب مقطوعة يمدح بها ابنة السلطان صاحب تونس، مبيناً أنها من بيت ملكي مشهور بالحسب، وأنّ النجوم تدور عليها كالحرس لحمايتها، وقد وجّه هذه الأبيات إلى زوجها عامر بن محمد بن علي مهنئاً إيّاه بزواجه منها فيقول:

وجددت نصر الجد في ابن ابنه الذي   رعيـت له حـق الذمـام المـؤكـد
عقـيلـة ملك فـزت مـنها بـطائـل   عـزيـز علـى الـنفس الكـريم الممجد
يـزر عـليها هـوج المـلك هالـة   يـدور عـليها كـل غـفر وفـرقـد
فـلو أنصـفت فوق العين ابتغوا لـها   طـريقـا فـتمشي فـوق صرح مـمـرد
وفـي نـسبـة الأشياء يـظهر حسنهـا   مـوحدة زفـت لـخيـر مـوحـد
فـهناك الله الإيـاب ولا انـقـضـت   سـعودك تتـرى بيـن مثـنى وموحد [3]

ووصف أبو حيّان الغرناطي زيارة ابنته نضار إلى الأراضي المقدسة وحجّها البيت الحرام وزيارتها قبر الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول:

---

[1]- انظر الصيّب والجهام، ص ٥٧٩ .
[2]- ديوان ابن فركون، ص ١٣٧.
[3]- الصيّب والجهام، ص ٤٤٢ – ٤٤٣.

وبالكعبة الغراء طفت بمكة ... وللحجر المسود كان التثامك
وجاورت أياما بها وليا ليا ... وكان كثيرا بالمقام مقامك
وزرت رسول الله أفضل من مشى ... على الأرض واحتلت هناك خيامك
فكان ببيت الله رؤياك أولا ... وزورة خير الخلق كان اختتامك[1]

ويقول في قصيدة أخرى واصفاً غزارة علمها وتنوعه وسعة بصيرتها وحسن منطقها وبعدها عن اللحن فيقول:

فقهٍ ونحوٍ وتأريطٍ ومعرفة ... ولحظ فكرٍ إلى نيل العلوم رنا
قد نور الله بالتقوى بصيرتها ... فلم يضيع لها في غيرها الزمنا
حجت وزارت رسول الله ثم أتت ... لمصر قد أحرزت أجرا وحسن ثنا
فصيحة ثقفت بالنحو منطقها ... فلن ترى فيه لا لحنا ولا لكنا[2]

ولقد احتلت البنت مكانة مرموقة عند أبيها في الأندلس، وبفقدها أحسن الأب لوعة وحرقة على رحيلها، ولهذا بكاها بكاءً حاراً. وهذا ابن زمرك يقول في إحدى مراثيه وهو يُخمس أبياتاً أنشده إيّاها السلطان أبو العباس[3] رحمه الله تعالى من نظمه يرثي ابنة له اسمها عشق:

ألا ليت شعري ما عدا بعدما بدا ... فراقٌ علينا جار في الحكم واعتدى
ولو كان وعدُ اليوم ينجزه غدا ... (لنظم من شمل الهوى ما تبددا)
(ولكن رهين اللحد ليس له فدا)

فيا سائلي عن حالتي ولك البقا ... فقدت الذي أهوى فعزني اللقا
ودمع جفوني بعد بعدي ما رقا ... (ونفسي مع الأنفاس تفنى تشوقا)
(وروحي في مثل الخِلال ترددا)[4]

ولعلّ أبا حيان الغرناطي من أكثر الشعراء الذين رثوا بناتهم وبكوا عليهن بكاءً مراً، فقد رثى ابنته نُضار وكان يعزها كثيراً ويفضّلها على أخيها حيّان لأنها كانت عالمة معربة مؤدبة، حضرت على الدمياطي وسمعت من شيوخ مصر، وكانت تقرأ الكتاب، وخَرَجت لنفسها جزءاً

[1]- ديوان أبي حيان الغرناطي، ص ٧٢.

[2]- ديوان أبي حيان الغرناطي، ص ٤٠١.

[3]- هو أحمد بن سالم المريني المغرب، بُويع له بمداخلة الغني بالله سنة (٧٧٦)

[4]- ديوان ابن زمرك، ص ٣٣١-٣٣٢.

من الأحاديث ونظمت شعراً وكانت تعرب جيداً، وكان أبوها يقول: " ليت أخاها حيّان مثلها ". ماتت في جمادى الآخرة سنة ٧٣٠ هـ فحزن عليها حزناً عظيماً وجمع في ذلك جزءاً سماه: " النضار في المسلاة عن النُضار "[١] .

وكتب عنها البدر النابلسي، فقال: " الفاضلة الكاتبة الفصيحة الخاشعة الناسكة وكانت تفوق كثيراً من الرجال في العبادة والفقه مع الجمال التام والظرف ".[٢] ولما توفيّت طلع أبوها إلى السلطان الملك الناصر محمد وطلب منه أن يدفنها في بيته داخل القاهرة في البرقية فأذن له في ذلك، وحزن عليها وحزنا عظيماً وانقطع عند قبرها ولازمة سنة.

وفي الديوان اثنتا عشرة قصيدة في رثائها، وأبو حيّان في كلّ هذه القصائد يتحدّث عن لوعته وحزنه وعن علمها وفطنتها وذكائها. فالغائب عن أهله يعود ولكن الميّت لا ترجى رجعته وإنّ دمعه لا يجري فليبكِ دماً عليها، ويخاطب تربتها فيقول:

يا تربةً قد حوت نضارا طِبتِ شذا بالذي حويتِ[٣]

لماذا ؟ لأنّها فتاة بعقل ناضج وعلم غزير، وسعت إلى المكارم والعلا، ولكنّها لم تتمتع بشيء، فسرعان ما انتقلت إلى الرفيق الأعلى بعد أنْ آمنت بالقضاء لتعيش روحها في جنّة الخلد. ويختم قصيدته بقوله:

وإنَ بيتا أضحى محلا لخيرِ بنتٍ لخيرِ بيتِ[٤]

ومضتِ الأعيادُ وأبو حيّان مكبّ على قبر ابنته نُضار لا يبرحه ولا يستطيع سلوانا فيقول:

إنَ جسمي مقيد بالضريحِ وفؤادي وقفٌ على التبريح
راح عيدٌ وبعدُ عيدٌ كبيرٌ ونضارٌ تحت الثرى والصفيح

---

١ - انظر حمزة محمد عبد الهادي ، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بني الأحمر، ص٩٠ . بتصرف .

٢- ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين ابو الفضل بن احمد بن علي، تح محمد سيد جاد الحق، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ، القاهرة ، دار الكتب الحديثة، ١٩٦٦م ، ج٤، ص ٣٩٥، نفح الطيب، ج٣، ص ٣١٥.

٣- ديوان أبي حيّان الغرناطي، ص ١٢٣.

٤- ديوان أبي حيّان الغرناطي، ص ١٢٥.

لا أرى فيهما وجيه نضارٍ يا لشوقي لذا الوجيهِ المليـــــح
ونضارٌ كانت أنيسي وحبّي ونضـارٌ كانـت حياتي وروحي[1]

ويتحدث بعد ذلك عن ذكائها وعقلها الراجح وحيائها ونظرها في علوم الفقــه والحــديث والنحو والتأريخ، ويشير إلى أنّه سيلحق بها عن قريب:

إنْ تكن قد تقدمت وبقينا برهةً في زماننا المسفـوح
فعلى إثرها نروح ونرجــو عفو ربٍّ عن الذنوب صفوحِ[2]

ولا ينفك أبو حيّان في قصائده الأخرى عن ترديد هذه المعاني، ونحسّ فــي جميعهــا بالألم الذي كان يعتصر قلبه والحزن الذي جعل عينيه تبيَضّان، ونشعر بكرهه للحياة وأمله في أن يلحق بابنته فيقول:

أرقب الموت واستبطِئــــه ليلةَ اليوم أتى أوْ في غــدِ[3]

ونحسّ بعزوفه عن الناس، فلا يشعر بطعم الحياة بعد وفاتها فيقول:

عزفت نفسي عن هذا الــورى بعدما حلت نضارُ في الثرى
فبسمعـي صَمَمٌ إن حدثــوا وبعيني نبوة أنْ تنظــرا
كيـف لي عقلٌ بأنْ أصحبهم لا أرى وجـه نضـارِ النيــرا
لا ولا أسمـع مـن ألفاظهـــا كلمـا قـدْ أبـرزتها دررا[4]

وفي بعض قصائده حديثٌ عن مرضها وما كانت تعانيه في الأشهر الســتة مــن حمّــى وسعال وسل أنهك قواها فمضت إلى بارئها قبل أنْ تتمتّع بجمالها وعلمها الجم الغزير. وقــد تحمّلت الآلام لأنها مؤمنة بالله – عز وجل – إلى أنْ قضت نحبها يوم الاثنين فيقول:

[1]– ديوان أبي حيّان الغرناطي، ص ١٤٣.
[2]– ديوان أبي حيّان الغرناطي،ص ١٤٤.
[3]– نفس المرجع، ص ١٥٣.
[4]– نفس المرجع، ص ٢٠١.

فما ضجرت يوما ولا اشتكت الضّنى | ولا ذكرت عما تقاسي من اليأسِ
قضت نحبها في يوم الاثنين بعدما | تبدى لنا قرن الغزالة كالورْسِ [1]

ويقول:

قضت عندما لاحت ذكاءُ وأشرقت | لنا عوضا، وأقبح بها من معوّضِ [2]

وضاقت الحياة بوجه أبي حيّان وترنّق صفو حياته وظل يردّد:

أبعد نضارٍ أبتغي صفو عيشةٍ | وقد كُدّرت يا بعد عيشي من الصّفو
لقد أشربت قلبي وطرفي ومسمعي | ومالي من فِكرٍ ومالي من عضو
وإني معمور الزمان بشخصها | يمثل لي في الأمس واليوم والغدو
وعاهدت أني لا أزال إزاءها | مقيما كئيبا دائم الشوقِ والشّجوِ
إلى أن توافيني من شعوب فنرتقي | من الوهدةِ السفلى إلى العالم العلْوي
لئن كان غير قد سها عن حبيبه | فما أنا يوما عن نضارٍ بذي سهوِ [3]

فهو يبين ارتباطه الوثيق بها، وصلته المتينة التي لن تنفك يوماً أبداً، فهو سيظل بالقرب منها حزيناً مفجوعاً على رحيلها حتى توافيه المنيّة فيلحق بها، ولن ينساها أبداً ما دام حيَّا يُرزق. وقال أبو حيان شعراً عندما ماتت ابنة قاضي القضاة شرف الدين الحراني[4] وبشر بمولد ذكر من بنت الصاحب تاج الدين بن سليم[5] فيقول:

هنيئا لك النجل السعيد الذي به | سعدنا لقد وافاك بالبشر والبشرى
لئن كنت قد جفت بروضك زهرة | فقد أطلع الرحمن في أفقكم بدرا[6]

[1] – ديوان أبي حيّان الغرناطي، ، ص ٢٩٩، الورس: نبت اصفر يكون باليمن.

[2] – نفس المرجع: ص ٢٥٤.

[3] – ديوان أبي حيّان الغرناطي، ، ص ٤٠٩ .

[4] – هو قاضي القضاة شرف الدين أبو محمد عبد الغني بن يحيى الحنبلي، ولي التدريس بالصالحية واختير لقضاء الحنابلة، توفي سنة (٧٠٩هـ) النجوم الزاهرة، ج٨، ص ٢٧٨.

[5] – هو الصاحب تاج الدين بن الصاحب واسمه محمد بن محمد بن علي بن سليم توفي الزاهرة، ج٨، ص ٢٢٨. انظر حمزة محمد عبد الهادي ، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بني الأحمر، ص٩٢ . بتصرف .

[6] – ديوان أبو حيان الغرناطي، ، ص ١٨٥.

المطلب الثالث

صـــــورة الحبـــيـــــبة

اهتم الشاعر الأندلسي بذكر حبيبته في شعره ، لدرجة أن ما قيل فيها يتجاوز كثيرا ما قيل في الأم أو الزوجة أو البنت، فقد وجد الشعراء بفراقهم للحبيبة أنهم حرموا الحياة الهانئـــة بقربها، لأنها عندما ترحل تحمل معها زينة الحياة وبهجتها وبقربها منه تمنحه ذلك. "ولذا نراه يحاول جاهداً أنْ يبقى قريباً منها ملازماً لها حتى ليدفعه ذلك إلى الإحساس بأنّ قلبـــه يطيـــر مسرعاً لاحقاً بالحبيبة التي فارقته. فكانت الحبيبة بذلك موضع حرمانه وشكواه فيقـــول ابـــن الخطيب من قصيدة له، واصفاً ما يقاسيه من حرارة الشوق ومرارة الحرمان[1]:

ما لقلبي إذا هفا البرقُ حنا — وصبا للنسيم من أرض لبنى
وإذا مـا الظلام حلَ عـــراه — عايـد الشوق والغرام فجُنَا[2]

يصف ابن الخطيب في إحدى مقدّماته غداة البين على عادة الشعراء القدماء، ويتوسع في هذا الموضوع، فيصوّر لحظات الوداع، ويرسم مشاهد الرحيل والظعائن التـــي تتـــوارى عنه، ويتحدث عن نساء الظعن الجميلات وأحاديثهن وحوارهنّ، ويصوّر محبوبته ذات الجمال الساحر، فعيناها كعين الظبي، ووجهها كالهلال، وقدّها كالغض، ويتحدث عن إحساسها بالألم والحرقة لمفارقة الشاعر:

أشارت غداة البينِ مـن خلل السجف — بناظـرتـي ريـم وسالفتـي خشـــــف
وأبصـرت التوديـع حـقا فلم تطق — غـداتئذ كتما لبعـض الـذي تخـــفي
أمـاطت عـن الخـدَ اللثام فأطلـعت — هلالا على غصنٍ وغصنا على حقـــف
وقالـت لأتـراب لهـا قمـن دونهـــا — فقائلـة: سحـــي، وقائلـة: كفـــــي
أخـلاي هـل طعـمَ أمرَ من النـــوى — وأفظـع خطـبا مـن مفارقـة الإلـــــف
ولم تـكُ إلا ساعـة وتسنمـــــت — ظهور المطايا كـل فاتنـة الطــــرف
أمالوا السَرى قصد العراق وأزمعـوا — على مهمة تسفي بـه الريـح ما تسفـي

---

[1] - انظر حمزة محمد عبد الهادي ، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بني الأحمر، ص٩٢ . بتصرف .

[2] - الصيّب والجهام ، ص ٥٩٥ .

ودلَّ عليهم من تخلف منهم   بما أودعوا طيب النسيم من العَرْفِ[1]

فالشاعر هنا يرسم صورة مؤثرة لبكائه خلف ظعائن الأحباب، ألا أن هذا البكاء لن ينفعه، ولن يعيد الماضي الجميل، والحنين الذي يبثّه لن يشفيه من مواجع الحب. وفي موضوع آخر يصوّر ابن الخطيب رحيل الأحباب – كما فعل القدماء – وما أثار ذلك في نفسه من الحزن والأسى فقال يصف يوم الفراق وارتحال المحبوبة عنه، وما خلفه فراقها في نفسه من مرارة وأسىً:

ما ضرَّ لو سلَّم أو دعا   من أودع القلب الذي أودعا
ضنَّ برجع الطرف يوم النوى   هلا رعى عهدي كما أرعى
زمَّ المطايا وتخلفني   أسأل عنها الطل البلقعا
وارتحل القلب على إثره   فصرت أبكيه وقلبي معا
يا سائلي كيف طعم الهوى   للَّه ما أحلى وما أفظعا
كأنما في أضلعي بارق   يهفو إذا ما صادح رجعا
كأنما دمعي إذا استنصرت   لواعج الشوق به أسرعا[2]

ثم يذكر لنا أنَّ الحبيبة لا تزال ساكنة في عقله ووجدانه وان طال البعاد فيقول:

أحبابنا إن نأت يوما دياركم   عنا فما زلتم بالقلب سكانا
إذا دعتنا إلى السلوان بعدكم   نفوسنا، قامت الأشواق تنهانا
وما رأى يا مني نفسي وبغيتها   إنسان عيني لما غبت أعيانا[3]

فالشاعر في هذه المقطوعة يفصح عن مدى حبه لها وصبره على البعاد فأصبح حبها أمرا من الصعب تغييره وتلك سمة المحبين الأوفياء . ولقد كان يوسف الثالث محبا صادقاً في حبه ويظهر ذلك جليا واضحا من خلال غزله ،فقد حالت الأيام بينه وبين محبتوته، حيث عاش فترة طويلةً من حياته أسيراً في المُنَكّب يتجرّع الآم البعاد والحرمان يحلم بالعودة إلى

1- لسان الدين بن الخطيب، ديوان الصيّب والجهام والماضي والكهام، تح محمد الشريف قاهر، الجزائر، الشركة الوطنية، ١٩٧٣م، ص ٦٢٤ – ٦٢٥ – الخشف: ولد الظبي – السوالف: جمع سالفة و السجف: الستران بينهما فرجة – حقف النقا: كثيب مستدير من الرمل. لسان العرب مادة، (خشف)، (سلف)، (سجف)، (حقف).

2- نفس المرجع، ص ٦١٣ – ٦١٤.

3- ديوان الصيّب والجهام والماضي والكهام، ص ٥٩٦ – ٥٩٧.

موطنه، ولقاء أهله وأحبته وظلّ وفياً لمحبوبتـــه، فيجد في الشكوى مُتنفَّساً لهمومه وآلامه التي ازدادت عليه في غربته وسجنه فيقول:

وهـل لغريـب الـدار والنـفس حاجـة … إلـى نيلـه لقـيا الحبيب سبيـــل
يحـمل الأنـفاس الجنوب رسائلا … تضـرمـها بالشوق وهي بليــــل
ويشـكـو لـها مـا قـد أكـنّ من الهوى … فتفهـم مـا يشـكـو لها ويقول
وإن هبـت الريـح الشمال رأيتــه … يميـد بها شوقا لكـم ويميـــل
فباللّه يـا ريـح الجنـوب تأمـلــي … أيلقى سلامـي مـن حبيب قبول
وإنْ جلـتِ بالحمـراء فـاقـري سلاما … ديـارا خلـت مني فهنّ طلــــــول(١)

وقال ابن فركون يصف لوعة قلبه وأساه على بعاد محبوبته عنه وأنّها بفعلها هذا قــد أتلفت قلبه ولم تصله لتخفّف عنه:

فياليـت مـنها الطيف قد زار في الكرى … ومـن لي به والسُهد قد ألف الجفنـــا
أطار فؤادي الشوقُ بعـد بعادها … فلم يتخذ في الصدر وكرا ولا وكنا
عجـبت لـها إذ أتلفـته ببُعدها … ومـا اتخـذت لما نأت غيره سكـــنى
لقـد عـذرتني ثمّ ضنّت بوصلها … وأعجب شيءٍ عاذرٌ بالمنى ضــــــنّا(٢)

وقال في موضع آخر يشكو بعاد محبوبته عنه، وأنّها لم ترحم قلبه حين أسكنت الشوق واللوعة بداخلة بسبب هجرها وبعادها، ورغم ذلك يؤكد أنّه سيبقى محباً لها لا يريد سواها:

إنّ التي شغف الفـــؤاد هواها … قضتِ الليالي أن تطيل نواهــا
عجـبا لها إذ أتلفت ببعادهــا … قلـبا مشـوقا لم يزل مثواهــا
يا ليتها رحمت مُعنًى مُغرمــا … لم يدر ما معنى الهوى لولاهــا
زعم العواذلُ أنّ قلبي عاشـقٌ … صدقوا ولكن لا يريد سواها(٣)

[١]- ديوان ملك غرناطة – يوسف الثالث، ص ١٩٢.
[٢]- ديوان ابن فركون،ص ١٢٦.
[٣]- ديوان ابن فركون، ص ١٦٨.

ويشكو أيضاً بعد محبوبته عنه وأنَّ وصالها لا يتمُّ إلاّ بالخيال والفكر:

وظبيةِ إنسٍ ليس يُرجى وصالها   مدى الدَّهر إلا بالتوهُّم والفكر
كَلِفتُ بها كالزُّهر من الربى   لما راق من بشر وما رقَّ من نشـرِ[1]

ورغم أنَّ ليلى محبوبة ابن فركون قد عذَّبته بهجرها وصدّها وعدم عطفها عليه بالوصال إلاّ أنّ ابن فركون يدافع عنها عندما لامه الناس في حبّه لها فيقول:

قال دعها وسلِّ قلبك عنها   قلت هلا للعاشقين قلوب
قال قد عذّبتك هجرا وصدا   قلت فيها يُستعذب التعذيب
قال لي قد تمنّع العطف منها   قلت مهلا فالعطف منها رطيب
قال هل طاب بعدها لك عيشٌ؟   قلت دون الوصال كيف يطيب[2]

ويصوّر ابن خاتمة هلع قلبه وقلّة حيلته وضعف وسيلته، عند فراق من أحبّ، فتمنى الموت حلاً لما هو فيه فيقول:

تعشّقت في قوم غراب فودعوا   فياليتني ميت ولم أتعشق
ويا ليت عيني إذ رأتهم تعلقت   سواهم ولو بالبارق المتألق[3]

ويخبرنا ابن خاتمة المعذّب المحروم أنّ سعادته لا تكون إلاّ بلقاء المحبوبة:

عسى الله أن يحيي سروري بقربهم   فقد نال مني فوق ما شاءه البعد
فيصبح قلبي وهو بين جوانحي   وقد دانت الدنيا وقد ساعد السّعد[4]

وكان الشاعر الملك يوسف الثالث وفيًّا لمحبوبته، متمسكاً بها حريصاً على بقائها وحيدة في قلبه، على الرغم ممّا قاساه من غربة وبعاد وحرمان، فالوفاء من طبعه، وهو يفتخر بهذا الوفاء كثيراً في شعره فيقول:

---

[1]- نفس المرجع، ص ٢٤٨.
[2]- نفس المرجع: ص ٢٥٧.
[3]- ديوان ابن خاتمة الأنصاري، ص ٨٤.
[4]- نفس المرجع: ص ٥٥.

خليليّ هل للقلب في العيش راحة إذا بان من أهواه عني أو صدا
فرؤيته تهدي المنى بجوانحي وتطرد عن قلبي الصبابة والوجدا
فلا تحسبني قد سلوت عن الهوى ولا أن يغيب الخلّ أنقضه العهدا
وفائي وودّي ما علمت طبيعة فلا تخشين صدا ولا ترهبن بعدا[1]

ويؤكد لمحبوبته أنّ ودّه صحيح ثابت، لا تبدّله الأيّام، وهو بعدها لا ينظر إلى امرأة أخرى، فهي وحدها تشغل قلبه وفكره فيقول:

أأحبابنا والودّ باقٍ كعهدكم جديد وحالي بعدكم لا يغيّر
ووالله ما حالت بي الحال بعدكم ولا راقني من سائر الناس منظر[2]

إنّ المرأة الحبيبة عندما كانت تفارق حبيبها تحمل معها زينة الحياة وبهجتها وتحرم حبيبها من أنْ ينعم بحياة جميلة هانئة بقربها، إذْ هي التي تمنح حياته الزينة والبهجة، فابن الخطيب يصوّر همومه وأحزانه وآهاته في ليله ونهاره جرّاء بعد محبوبته فيقول:

بعت فيك النوم بالسّهد فلا فرق عندي بين صبح وعشا
كم ليالٍ بتّ في ظلمائها أمتطي من نار شوقي فرشا
كلما صحت بها واكبدي مادت الأرض لما بي دهشا[3]

ويصوّر ابن فركون ما يعتريه من أهوال الحب جرّاء الفراق، وما يعتمل في داخله من شوق وصبابة، ويشبّه تلك الأهوال وغشيانها له بالجيوش الزاحفة فيقول:

ويا لغرام قد ثوى بجوانحي فأنجد ما بين الضلوع وأتهما
غزت قلبي المضنى المشوق كتائب فأصبح في أيدي الصبابة مغنما[4]

---

[1]- ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث، ص ٣٢.
[2]- نفس المرجع: ص ١٨١.
[3]- الصيّب والجهام، ص ٦٥٣.
[4]- ديوان ابن فركون، ، ص ٢٦١.

" ولقد لجأ الشعراء المحبّون إلى إرسال الرسائل إلى حبيباتهم لعلم يظفرون منهنّ بردّ يخفف عنهم مرارة الفراق، فقد انتشرت هذه الظاهرة بين شعراء العصر الغرناطي، وكان أكثر وضوحاً وشيوعاً في غزل الشاعر الملك يوسف الثالث، ورسائله التي وجهها الى محبوبته وهي تعكس صدق عواطفه وترصد انفعالاته[1]، وتكشف عمّا يختلج في نفسه من مرارة وحسرة، فهو في إحدى رسائله يصوّر معاناته، يحكي حكاية قلبه الموله فيقول:

كتبت وأحشائي من الوجد تلتظي　　غراما وأجفاني من الشوق تدمع
ولي فيك قلب قد أضر به الجفا　　يكاد إذا سكنته يتقطع
تمثلك الأشواق حتى كأنني　　أناجيك بالأشجان من حيث تسمع
فعهدك محفوظ لدي رعيته　　وعندي منبوذ لديك مُضيع(2)

ومثل هذا ما كتبه في رسالة أخرى، يبوح فيها لمحبوبته بعشقه وهيامه:

كتاب محب ناحل الجسم مدنف　　يروح ويغدو هائم القلب متعبا
تذكر وصلا قد تصرم عهده　　وحبل هوى بعد الفراق تقضّبا
ألم يأن المشتاق أن يبلغ المنى　　فيسهل من أمر الهوى ما تصعّبا
عليك سلام الله من ذي علاقة　　يحبك ما غنّى الحمام فأطربا(3)

ويبدو أنّ المحبوبة قد انشغلت عنه، ومالت إلى الصدّ والجفاء، وكثيراً ما تبخل برسائلها عليه فيعاتبها لفرط صدودها، ولتأخرها في الردّ على رسائله فيقول:

كفى حزنا أن لا أرى وجه حيلة　　لطارق طيف أو لبعث كتاب
ولا أمل إلا وظل يروعه　　صدود ملام لا صدود عتاب
ومحجوبة بالقصر لم تدر ما الهوى　　ولا سهرت يوما لذكر تصاب
أخادع فيها النفس بالوعد والمنى　　وقد بخلت حتى برد جواب(4)

---

[1] - انظر حمزة محمد عبد الهادي ، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بني الأحمر، ص٩٩. بتصرف .

[2]- ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث، ، ص ١٧٤.

[3]- نفس المرجع،ص ١٨٠.

[4]- ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث،ص ٦.

وأما رسائل المحبوبة إليه فكانت قليلة جداً، وهي تدور حول موضوع واحد، حيث تتّهمه بالغدر وتعمد الهجر، غير أنّه ينفي مزاعمها، ويؤكد صفاء ودّه فيقول:

وخطت بيمناها كتائب أرهفت — لتقطيع أسبابي من الخفقان
تبالغ في التأنيب من غير ريبة — سوى حبّها مالي بذاك يدان
فيا سامع الشكوى لعلك عاذر — وهل من هوى يلقى بغير هوان[1]

ويسير هؤلاء الشعراء في ركاب القدامى حين يستخدمون الرياح وسيلة للإرسال والاستقبال، وإيصال الرسائل واستلامها. فابن الخطيب يحمّل الريح المتّجهة صوب ديار الحبيبة أخباره وتحياته المفعمة بالشوق والحنين فيقول:

يا نسيم الريح بلّغ خبري — إن أتيت الرّبع أو جئت حماه
واقرِ أحبابي سلامي بعد أن — تبدأ الربع بتقبيل ثراه[2]

وينتظر ابن فركون أن تبعث المحبوبة سلاماً مع الريح، لعله يشعر بالطمأنينة، والراحة فيقول متمنّياً:

ويا ليتها تهدي سلاما مع الصبا — لينفع قلبا جمره قد تضرّما[3]

ويطلب ابن خاتمة من النسيم الساري أن يمرّ بديار الحبيبة، ويزف إليها شيئاً من أخبارها فيقول:

يا نسيما سرى لأقرب عهد — بحماهم حدّثتني الأخبارا
كيف غرناطة ومن حلّ فيها — حبّذا الساكنون تلك الديارا
كيف أحباب مهجتي روح روحي — نور عيني، الجآذر الأقمارا
هل لهم من تشوّف لإياب — أم أناخوا بها وقروا قرارا[4]

---

[1]- ديوان ملك غرناطة – يوسف الثالث: ص ١٢٩.
[2]- الصيّب والجهام، ص ٦٥٥.
[3]- ديوان ابن فركون، ص ٢٦١.
[4]- ديوان أبي خاتمة الأنصاري، ص ٦٨-٦٩ الجآذر جمع جؤذر وهو ولد البقرة.

ويذوب الشاعر الملك يوسف الثالث حنيناً وشوقاً، فإذا به يتعلق بالريح، ويرجوهـــا أنْ تبلـــغ أشواقه إلى حبيبته فيقول مناجياً:

فبالله يـا ريـح الجـنـوب تأملـــي	**أيلقى سلامي من حبيب قبـول**
وإن جلت بالحمـراء فاقـري تحيَـتي	**ديـارا خلت مني فهنّ طلــــــول**
وهبّي علـى القصـر الكبير عليلـة	**فـإنّ بـه أهل الحبيب حلــــول**
وقـولـي غـريـب أتلف الحب قلبـــه	**لـه أنـة لا تنقضي وعويـــــل**
خلا من سوى الأشجان والوجد قلبه	**وشوقٍ بأحناء الضلوع يجـــول**[1]

فهذه حسرة شاعر مصاب في هواه، حاول أن يشرك الطبيعة معه في أســـاه فناجاهـــا، واتخذ من النسيم وسيلة للتعبير عن وجده وشغفه بحبيبته.

[1]- ديوان ملك غرناطة – يوسف الثالث، ص ١٩٢ – ١٩٣.

المطلب الرابع

صورة التــذلــل للــمحــبوبة

جاء في كتاب الزهرة للأصفهاني : " إنّ التذلل للحبيب من شيم الأديب... والحازم من صبر على مضاعفة التذلل والتمس العز في استشعار التذلل فحينئذ يتمكن من وداد محبوبــه، ويظفر من هواه بمطلوبه "[١].

والمعشوقة كما ينعتها هؤلاء الشعراء، " هي القاسية الممنّعة فــي الصــدّ والهجــر وتعذيب الحبيب، فقد تطمعه ثم تتمنّع، وتعده ثم تماطل وهو لا يستطيع هجرها والبعد عنهــا، ولا يتصوّر كيف تكون الحياة بدونها" [٢]. ويقول ابن الخطيب في إحدى قصائده شاكياً همومه، ومتحدثاً عمّا آلت إليه الحال، ومستعطفاً كي تجود عليه بالوصال والحب:

يــا ملبســي ثوب السّقام وتاركــي	بيــن الإوام وبين حرّ ضلـــوعي
عامل بما عودت من لطفٍ ومن	رحمي ولا تنظر لسوء صنيـــع
واعطف عليَّ وجد بأيسر نائلٍ	مـا قلّ يـكثر منك عند قنوعي[٣]

فكأنّما هو في هذه الأبيات مسكين يستعطف، يرضى بالقليل منها الذي سيقنعه بقربهــا منه.ويتهم الملك الشاعر يوسف الثالث حبيبته بالبخل والتمنٌع، ويطلب الرحمة كالعبد المستجير فيقول:

مـددت يـدَ المضطر نحوك ذلة	فلـم تسعفي مـن جاء بالذل مضطرًا
وما ضرَّ ذاك الحسن لو منّ بالذي	يضاعف لي البلوى ويجري لك الأجرا
أردت بطول البخل إشعال لوعتي	فيهنيك أن عـادت ضلوعي جمــــرا[٤]

إنّه ملكٌ مرهوب الجانب، كريم الشمائل، ومع هذا تألّم وتوجّع وبكى وتفانى في سبيل المحبوبة، إذْ نلحظ في شعره كثيراً من الاستعطاف والتذلُّل.

---

[١]– أبو بكر محمد بن داود الأصفهاني، الزهرة ، تح ابراهيم السمرائي ، ط٢، الزرقاء، مكتبة المنار ، ١٩٨٥م، ص ٥٢.

[٢] - انظر حمزة محمد عبد الهادي ، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بني الأحمر، ص١٠٢ . بتصرف .

[٣]– الصيّب والجهام، ص ٦١٦.

[٤]– ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث، ص ١٧٧.

فيوسف الثالث – وهو الملك الجليل – يعلن إذعانه وخضوعه لأوامر المحبوبة، فهي وحدها سيّدة مصيره فيقول:

رضيت بما ترضون في الأمر كله ... فقولوا الذي شئتم فعرضي لكم حلّ
وأحيوا إذا شئتم حياتي أو اقتلوا ... فلا قود يخشى عليكم ولا عقل
وصدّوا فإنّ الصدّ منكم هو الرضا ... وجوروا فإنّ الجور منكم هو العدل[1]

إنّه يخضع للمرأة إلى حدّ الإذلال، ويتهالك في الحديث عنها، ويستصغر ملكه أمام عاطفته وسلطان وجده، وهذه سمات تبرز بوضوح في غزل الملك يوسف الثالث. وأشعار ابن فركون تؤكد هذا الاتجاه، فهو يرضى بما ترضاه المحبوبة له إذْ يقول:

أنا الذي حين تقصيني أقربها ... وإن أساءت بإحسانٍ أجازيها[2]

ويخاطب ابن الجياب محبوبته نجمه معلناً نفسه تابعاً أميناً لها فهي بموجب شريعة الحب سيّدة مصيره والآمرة الناهية التي لا يردّ لها طلب فيقول:

فأنت مملوكتي رقا ومالكتي ... بشرع حبٍ وما للشرع تغيير
فإن تسيئي فإنّ الذنب مغتفر ... لديّ أو تحسني فالفضل مشكور
أطيعها وهي ملكي إن ذا عجب ... ملك القلوب له حكم وتدبير[3]

ويترك البسطي الأمر للمحبوبة، فهو يرجو رضاها، ويؤكد حبّه وإخلاصه لها فيقول:

فقلت يا منتهى سؤلي ويا أملي ... ومن رضاها إليّ القصد والطلب
الحب أرعى لذاك الحسن ما بقيت ... روحي بجسمي مالي عنك منقلب[4]

وابن خاتمة يجعل من صاحبته التي يحبّها أميرة يؤمرها على نفسه بل هي الحاكم الذي لا ينقض له حكم مهما كان حكمه فيقول:

---

[1]- ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث، ص ١٩١ – ١٩٢.
[2]- ديوان ابن فركون، ص ٢٦٠.
[3]- ديوان ابن الجياب، ص ٢٧٤.
[4]- ديوان عبد الكريم القيسي، ص ٢٦١.

أنت الأمير وأنت خصمي فاحكمي لي أو عليّ فلن أسائل ذا لمة[1]

وهؤلاء الشعراء يستعذبون الشقاء في الحب، ويجدون المتعة في التذلل للمحبوبة، وهذه سمة نجدها عند العذريين في كل عصر. وفي طوق الحمامة روايات تدل على ما يستشعره المحبّون من لذّة التضحية، واستعذاب تباريح الهوى فيقول ابن حزم: " ولقد علمت أنَّ فتى من بعض معارفي قد حلَّ في الحبّ، وتورط في حبائلهن وأضرّ به الوجد، وأنضحه الدّنف، وما كانت نفسه تطيب بالدعاء إلى الله عز وجل في كشف ما به، ولا ينطق به لسانه، وما كان دعاؤه إلاّ بالوصال والتمكن ممّن يحب على عظيم بلائه وطويل همّه، فما الظن بسقيم لا يريد فقد سقمه! ولقد جالسته يوماً، فرأيت من إكبابه وسوء حاله وإطراقه ما ساءني، فقلت له في بعض قولي: فرّج الله عنك، فلقد رأيت أثر الكراهية في وجهه. [2]

---

[1] – ديوان ابن خاتمة الأنصاري، ص ٨٧.

[2] – ابن حزم: طوق الحمامة، ضبط نصه د/ الطاهر احمد مكي، ط٣، القاهرة،دار المعارف،١٩٨٠م، ص ٦٨ – ٦٩.و انظر حمزة محمد عبد الهادي ، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بني الأحمر، ص١٠٤ . بتصرف .

المطلب الخامس
صــورة العــلاقة
بين العشاق والمجتمع

غالبا ما يعيش المحبون وسط عالم ملئ بالحساد والرقباء الذين يسعون لتعكيــر صــفو علاقة المحبين ببعضهم البعض، فلقد سعى الوشاة للتفريق بين الشاعر الملك يوســف الثالــث ومحبوبته، فإذا بها تسمع لأقوالهم وتتقلب وتميل إلى الصدّ والجفاء، ومن هنا نجده يُعــرض بالرقباء والوشاة كثيراً في شعره يقول من قصيدة له معاتباً محبوبته لتغيرها عليه، ومعرّضــاً بالوشاة الذين كانوا سبباً في صدودها وجفائها:

حسبت مقال القوم صدقا وإنمــا … أتــوكِ بـزور بيّنٍ وكــــذاب
صـددت وأشمت العداة بهجرنــا … وأنعمت عذالي بطول عــتاب
وهـلا بقدر الذنب كنت جزيتني … وكان بغير الهجر منك عقابي
فـلا تقبلن قـول الوشـاة فإنمــا … مراد وشاتي أن تطيل عــذابي[1]

وهو يُعرِّض بالعُذّال الذين سرّهم ما كان يعانيه من بكاء وسهر وألم:

وعهدي بالعذال لا درّ درُهم … ثغورهم من عبرتي تتبسّمُ[2]

ويرجو الحبيبة أن تتعطّف عليه بالرضا ليكيد هؤلاء الوشاة:

وأني لأرجو من رضاه تعطفا … ليرغم واشٍ بالرضا ورقيب[3]

ويطلب منها أن تتريَّث في أحابيل هؤلاء الوشاة، وأن تنبذ أقوالهم ومــا لفقــوه مــن أكاذيب، كما يفعل هو، ويؤكد بقاءه على العهد محباً لها رغم سعيهم في التفريق بينهما فيقول:

---

[1]- ديوان ملك غرناطة – يوسف الثالث، ص ١٧٥.
[2]- ديوان ملك غرناطة – يوسف الثالث، ص ١٢١.
[3]- نفس المرجع ، ص ١٢

مـراد قلبـي أن أحظى بودكـــم وأن يـكـون رهينا طوع وعدكم
لما عدمت اصطباري يوم بعدكم قال الوشاة بأني خنت عهدكـــم
فلا وحقك ما كان الذي زعموا

راموا التقاطع عنك إذ قطعتهم ونمقوا زورهـم لـما منعتهـم
صرفت سمعي عنهم لأسمعتهم وأنت يا سؤل قلبي إن أطعتهم
أثمت فيّ كما في قولهم أثموا[1]

وابن خاتمة يعصي في حبّه لمحبوبته العذّال واللوام، ولا يلتفت لشخص غير شخصها فيقول:

نهاني عنها عذلي فعصيتهم فيا غيهم فيما أتوه، ويا رشدي
حرام على قلبي غرام بغيرها وإن جلّ ما ألقاه فيها من الوجد[2]

ويطلب منها أن تعرض عن الرُّقباء، كما يفعل هو، ويعصي عواذله فيقول:

الله يكفي عاذلي ورقيبها حتى تثيب على الهوى وأثيبها
ما كان ضرّ وقد عصيت عواذلي إن لم تكن تعصي كذاك رقيبها[3]

وابن الخطيب يُحذِّر محبوبته من العذال، ويطلب منها أن لا تصغي إلى أقوالهم، لما فيها من كذب وافتراء فيقول:

يا سامعين من العذال إفكهم بالله لا تسمعوا زورا وبهتانا[4]

ويحدثنا ابن فركون عن سعي الوشاة في التفريق بينه وبين المحبوبة، إذ اتهموه بأنّه ملَّها، وانشغل عنها، لكنه، يؤكد إخلاصه لها، ودوام هذا الحب في قلبه فيقول:

وقد زعم الواشون أني تاركٌ هواها ومرآها وأصبر مرغما

---

[1]- ديوان ملك غرناطة – يوسف الثالث، ص ١١١ – ١١٢.
[2]- ديوان ابن خاتمة الأنصاري: ص ٤٧.
[3]- نفس المرجع، ص ٦٤.
[4]- الصيّب والجهام، ص ٥٩٧.

فطنْت بأنـي قـد سلوت عن الهـوى ... وأنـي إذا لا أسـهر الليل مغــــرما

وهيهات يمحو الدهر أو ينسط العدى ... لها في حصاة القلب ما قد ترسَما[1]

وهو لا يبالي عذل العاذلين، ولا يعير أذانا صاغية لمن ينهاه عن حبّها، فهذا اللوم لا يزيده إلاّ تعلقاً بحبيبته فيقول:

وعـذولٍ جـفا وللقلب وجـــدٌ ... جمـره فـي جوانحي مشبوب

قـال لـي: أيّ مطلب تبـتغيـــه ... قلت: مالـي من بعدها مطلوب

قـال: دعها وسلّ قلبك عنهـــا ... قلـت: هـلا للعاشقـين قلـوب

أصبح القلب عاشقا في حلاها ... فلـه طــيّ أضلعـي تقلـيب[2]

فقد لجأ ابن فركون إلى أسلوب الحوار بينه وبين الواشي حين طلب منـــه أنْ يتـــرك التفكير بمحبوبته وأنْ يصرف تفكيره إلى غيرها، لكنه ردّ عليه أنّه ليس له إلاّ قلــبٌ واحــد متعلق بها.

[1]- ديوان ابن فركون، ص ٢٦١ ٢٦٢.

[2]- نفس المرجع، ص ٢٥٧-٢٥٨ .

المبحث الثالث
صـــــورة المــــــرأة
في الأغراض الشعرية الأخرى
المطلب الأول
صورة المرأة في المديح والتهنئة

يشكل شعر المديح مساحة كبيرة من الشعر العربي منذ أقدم العصور، حتى أننا لا نكاد نجد شاعراً عبر العصور العربية لم يمدح بشكل أو بآخر، وقد توجه الشعراء إلى مدح المرأة فيما تفوّقت فيه من مجالات، فنجد عبد الكريم القيسي يمدح امرأة بحسن جمالها وروعة نظمها من شعر ونثر وبلاغة لسانها وقدرتها على التنقيح والسّبك فيقول:

جلت بعد حجبٍ حسنها للنواظر ... فأصبح مشغوفا بها كل ناظـر
عقيلةُ آدابٍ بلاغتها اغتـــدت ... تفوق على مرقى النجوم الزواهـر
ودون مداها في براعةِ نظمـــها ... وصحةِ مبناه عقود الجواهـــر
وفي السبك والتنقيح قلّ مثالها ... لدى كلّ نقاد لذي النقد ماهـر
وأما معانيها لِلطفِ اختراعـــها ... فقد أعجزت في عصرنا كلّ شاعر[١]

فالشاعر هنا يبدي إعجابه واحترامه لهذه المرأة الأدبية، أما صـــفاتها التـــي مـــدحها الشاعر فهي أنها من أهل الأدب في بلاغة نظمها، وجملها قوية في السبك والبناء حيث شبّهها بعقد الجوهر ذي الترتيب الجيد، ومعانيها التي أعجزت الكثير من الشعراء عن الإتيان بمثلها.

ويقول ابن الخطيب مادحاً ابنة السلطان صاحب تونس وموجهاً الكلام على زوجهـــا عامر بن محمد بن علي بأنه تزوج أفضل النساء وإنها كريمة الأصل والنســـب مـــن بيـــت معروف بالشهرة والحسب فيقول:

---

١ – ديوان عبد الكريم القيسي، ص ٣٥٩. انظر حمزة محمد عبد الهادي ، وانظر صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بني الأحمر، ص١٠٩ . بتصرف .

وجددت نصرَ الجدِّ في ابن ابنة الذي رعيت لـه حق الذمام المؤكـــــدِ
عقيلـة مـلكٍ فـزت منـها بطائـــل عزيزٍ على النفس الكريم الممجّد
فلـو أنصفت فوق العيون ابتغوا لهـا طريقا فتمشي فوق صرح مـــمرّد
وفـي نسبـة الأشياء يظـهر حسنهـا مـوحدة زُفت لخيـر مـوحـــــّد
فـهنـاك الله الإيـاب ولا انقضـــت سعودك تترى بين مثنى وموحدِ[1]

كما نجد عند شعراء المدح ما يسمى بظاهر لف الغزل بالمدح، إذ يميل المادح بصورة ممدوحه إلى واحدٍ من معالم الجمال المعتادة في أحاديث الغزل، فهذا الشاعر ابن فركون يمدح محبوبته مبيناً طيب رائحتها وحسن شمائلها فيقول:

عهدي بها والطيب يذكى عرفـه منها فأحيا النفس إذ حيّاهـا
تحكي الكواكب رفعة وتهللا فـأبيت من كلف بها أرعاهـا
لله ما أحلـى شمائلها الـــــتي تركت فؤادي هائما بحلاهـا[2]

ومن الشعراء من راح يمدح أمهات المؤمنين زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، فهذا ابن الجياب يمدح عائشة بنت أبي بكر وخديجة بنت خويلد وابنتها فاطمة الزهراء رضـــي الله عنهن فيقول:

عائشة التي لها الــــــــ فخرُ العظيم الرُتـب
بـراها الرحمن مـــــن فـرية أهـل الكذب
وقـبلـها فـاطمـــــة ذات العلى والنسـب
وأبـدا بأزكى منهمـــا ربة بيت النصــــب[2]

أما ابن زمرك فعاد إلى قدم التاريخ بمدح ملكة سبأ بأنها عابدة ساجدة لله ذاكراً بعض الصفات الحَسَنَة لها فيقول:

ساجـدة فـي ليلـها كلـه ويومها مـن جملة السابحين
مبصرة من غير عينٍ وكم ضلت بها من أمم مبصريـــن
تعطي لمن يسألها قرصـة عنها يتم القوت للآكــــلين[3]

[1]- الصيّب والجهام ، ص ٤٤٢-٤٤٣.
[2]- ديوان ابن فركون، ص ١٦٨.
[3]- ديوان ابن زمرك، ص ٢٣٠.

وقد مدح أبو حيان الأندلسي زوجته بحسن آدابها، فقد شبّهها بالغراس الطيب الذي لا يخرج إلا طيّباً، وآدابها طيب يتزود به، كمثل تلميذ يأخذ من أستاذه أفضل الآداب والعلوم فيقول:

وأقطف من آدابه الزّهر يانعا وأشتم ريحانا نجدّ مُوَرّد
وها أنا ذا قد رُحت منه مودعا فيا ليت شعري هل له بعدُ اغتدي[1]

ويعاود الحديث عنها في مقطوعة أخرى واصفاً حسن أخلاقها ولين كلامها وحلمها، وبعدها عن كلِّ كلام بذيء ومساعدتها لكل محتاج، ومعرفتها بأمور البيع والشراء فيقول:

وزينة حلم عقلها ثابت فلا تأثر من إيهام كلُ مُشعوذِ
وحازت لسحن الخلق خلقا مُدَمّثا ولين كلام ظاهرِ ليس بالبذي
فما دنست فاها بغيبة غائبِ ولا منعت رمزا لمن جاء يحتذي
وتعرف أجناس المبيع جميعهِ وأثمانه من فحمة للزّمُرّدِ[2]

وهذه الأبيات تدل دلالة واضحة على مشاركة المرأة في الحياة الاقتصادية جنباً إلى جنب مع الرجل. إن نصيب المرأة من شعر المديح قليل جداً في عصر بني الأحمر، وذلك عائد لعدّة أمور:

أولّها: أولى الشعراء جُلَّ مدائحهم لسلاطين بني الأحمر، ولعلّ ذلك يعود إلى طبيعة الحياة السياسية والاجتماعية التي عاشها شعراء غرناطة، حيث كثُرت الفتن الداخلية واشتد سعيرها، واضطر كثيرٌ من الشعراء إلى الوقوف في صف سلاطينهم لتقوية مراكزهم في الحكم وتدعيمها، إمّا بدافع الحب والإخلاص، أو نيل الحظوة والجاه لديهم، فمدحوهم بقصائد متعدّدة تؤكد شرعية خلافتهم ورضاء الناس عنهم.

ثانيها: عدم رغبة الشعراء بذكر النساء خاصة الحرائر حرصاً عليهن، ونساء الطبقة الخاصة لأنهم لا يملكون الجرأة على ذكرهن خشية على أنفسهم. ومع أنّ المرأة لم تنل من شعر المديح إلاّ القليل، فإنّها كذلك لم تنل من شعر التهنئة إلاّ اليسير أيضاً. وقد شاركت المرأة الرجل في التهنئة فجعلها الشعراء جزءاً من التهنئة بالزواج عروساً جميلةً ناسبت زوجها مقاماً

[1] - ديوان أبي حيان الأندلسي، ص ١٦٢.
[2] - ديوان أبي حيان الأندلسي، ص ١٦٨.

وكرماً وحسباً"[1] فهذا ابن الخطيب يُهنِّئ عامر بن محمد بن علي بزواجه من ابنــه الســلطان صاحب تونس مبيّناً له أنها من خيرة النساء فيقول:

وفي نسبة الأشياء يظهر حسنها   موحـدة زفت لخيـر مُوحـــد
فهـنأك الله الأيـاب ولا انقضت   سعودك تترى بين مثنى ومُوحد[2]

وقال أبو حيان مهنئاً علي ابن قاضي القضاء شمس الدين السروجي[3] بعقد قرانه على بنت قاضي القضاء بدر الدين بن جماعة، حين ذكرها أحسن ذكرٍ وأروع وصفٍ وأنّها من بين ذي سيادة فيقول:

هنيئا بتأليف غـريب نظامة   لقد حـار في أوصافه نظمُ عارف
غدت شمس حسنٍ بدر تم سيادة   تـزفُ لبـدرٍ نجل شمس معــارف
سميان للطهر البتول وللرضا   عليَ ونجلا الأكرمين الغطارف[4]

وقال ابن فركون مُهنِّئاً السلطان يوسف الثالث بمولودة وُهبت له:

هنيئا هنيئا إمام الهُدى   وغوث الوجود وغيث الندى
وبشرى بوافدةٍ قد أتت   لها شرف حاز أقصى المدى
لقد طلعت هذه عندما   رأت سيفه في الثرى أغمدا
فأيمنٍ وأسعد بها طلعة   أعظـم وأكـرم بها مولدا[5]

---

[1] - انظر حمزة محمد عبد الهادي ، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بني الأحمر، ص١١٢ . بتصرف .

[2] - الصيّب والجهام، ص ٤٤٣.

[3] - هو أحمد بن إبراهيم بن عبد الغني قاضي القضاة شمس الدين السروجي. توفي بالمدرسة اليوسيفية القاهرة سنة ٧١٠هـ، تاج التراجم: ص ١١.

[4] - ديوان أبي حيان الأندلسي، ص ٢٩٩..

المطلب الثاني
صورة المرأة في الهـــجــاء

يشكل الهجاء غرضاً من أغراض الشعر العربي كلّه، ويمثل نوعاً من أنـــواع الفــن الغنائي فيه وقد يلجأ الشعراء إلى هذا الفن الشعري لأغراض مختلفة: منها الاحتراف أي يتخذ الشاعر فن الهجاء وسيلة أو حرفة يرتزق بها، ومنها المنافسة، بمعنى مساجلة شاعر لشـــاعر آخر، فيحاول كل منهما أن يتفوّق على الآخر، ومنها الوضع الاجتماعي الذي يجعله يشعر أنّ الناس لا يأبهون بشخصه وقدره، ومنها ما يكون ناتجاً عن التكوين الجسمي للشاعر، يعني ما في خلقه وأوصافه من عاهة أو عيب أو تشويه أو نقص.(١)

ويعرّفه الدكتور محمد محمد حسين الهجاء بقوله: " الهجاء أدب غنائي يصوّر عاطفة الغضب والاحتقار والاستهزاء وسواء في ذلك أن يكون موضوع العاطفة هو الفرد أو الجماعة أو الأخلاق أو المذاهب. (٢) ويأتي الهجاء في عدّة صور: إمّـــا شـــتمية مؤذيـــة، أو فكاهـــة مضحكة، أو نادرة طريفة، أو سخرية." (٣)

ومن خلال النظر في شعر النساء في هذا الاتجاه لم أجد شيئا يذكر لهـــن إلا بعـــض المقطوعات التي عثرت عليها في ديوان عبد الكريم القيسي فقد هجا عبد الكريم القيسي زوجة أحد أصحابه ذاكراً صفات ذميمةً لها، حيث إنها أصبحت عجوزاً كبيرة السن لم تعـــد قـــادرة على خدمته، كذلك إن عامل الزمن وتقدّمها في السن غيَّر من أوصاف وجهها فلم تعد جميلة، وأنه لا بدّ من أن يبحث عن غيرها، لهذا دعاه إلى تطليقها فيقول:

شكوت به عجوزا أنت منها　　　بحالٍ ترتجي لها الاستحالـة
وجئت لها بأوصافٍ قباحٍ　　　تناسب خلقها منها الرذالـة
فلم تترك بما أبديت منها　　　مداعبة لدي قولٍ مقالـة

١- نافع عبدالله ، الهجاء في الشعر العربي الأندلسي، ط١ ، ١٩٨٤م، ص ١٧. انظر حمزة محمد عبد الهادي ، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بني الأحمر، ص١١٤ . بتصرف .

٢- الهجاء والهجاؤون في الجاهلية ، ص ١٢.

٣- الهجاء في الشعر العربي الأندلسي ، ص ١٠٧.

فطلقها طلاق فتى كريم فها هي أكثرت زعموا سؤاله

فإن طلاقها رأي رشيد تحقق رشده تلك الجلالة[(١)]

ويدعوه بعد ذلك إلى الإسراع في الزواج من غيرها، ولتكن فتاة صغيرة السن لما يلاقيه معها من نعيم ودلال فيقول:

ولا تطل التأيم بعد وانكح فتاة تسلب الغصن اعتداله

ممنعة يبيت الصب منها بما يلقاه شاكيا اعتلاله

تحبك مالها أحببت يوما وتبدي للجفا منك احتماله

وتبكي إن تمت عنها بدمع يفوق دموع باكيك المساله[(٢)]

فنراه في هذه الأبيات يشوّقه بصفات الفتاة الصغيرة وحرصها عليه وبكائها عند وفاته لتكون عاملاً مساعداً للإسراع في التخلص من زوجته العجوز. وللشاعر عبد الكريم القيسي موقف ظريف من امرأة تدعى قسطلة ، إذ نراه يدعو بالسُّقيا للمنازل التي تسكن بها بسهولها وجبالها ووديانها، ويرجو أنْ ينهمر المطر ويعم الخصب والخير، ومن الظريف أنه يدعو ألا يجود الغيث على قسطلة ولو بقطرة ماء واحدة فيقول:

يا غيث عاهد دائما من برجة تلك الربوع حزنها وسهلها

ولا تخص عندما تهمي بها بقطرة قسطلة وأهلها[٣]

وأبو حيان الغرناطي، يُصور كيد النساء في عصره، ويطلب الاحتراز منهنّ وعدم الثقة بهنّ فيقول:

جبل النساء على التكتم فاحترز من كيدهن وإنه لعظيم

فمتى تعف فربما عفت فإن تهمل فكشح يستباح هضيم[(٤)]

[١]- ديوان عبد الكريم القيسي، ص ٣٠٤.

[٢]- نفس المرجع: ص ٣٠٤ – ٣٠٥.

[٣]- نفس المرجع: ص ٣٧٧.

[٤]- ديوان أبي حيان الأندلسي، ص ٣٧٧.

المطلب الثالث
صورة المرأة
في الفخـــــر والشكــــوى
والعتـــاب والـــرثاء

لم تذكر المرأة في الفخر كما ذكرت في الفنون الأخرى، باستثناء مقطوعات قصـــيرة قيلت في المحبوبة والابنة فقط، فهذا أبو حيان الغرناطي الذي كان يحب ابنته نُضار ويعزّهـــا كثيراً لأنها كانت عالمة معربة مؤدبة، قال أبياتاً يفتخر بابنته وتحدثّت عن ذكائهـــا وعقلهـــا الرجيح وحيائها ونظرها في علوم الفقه والحديث والنحو والتأريخ فيقول:

لم يكن للنظار يوما نظيرٌ　　　في ذكـاء لـها وعقلٍ رجيــــح
وحياء وحسن ملقى وخطٍ　　　بـارعٍ نـادرٍ ولـفـظٍ فصيـــــــح
نظرت في العلوم فقهٍ ونحوٍ　　　وحـديـثٍ عن الرسولِ صحيـــح
ولكم طالعت تواريط ناسٍ　　　فاستفادت عقلَ الحكيم النصيح[1]

وعبد الكريم القيسي يفتخر بمحبوبته التي أحبها وهي بنت أربع عشرة من عمرها، حيث راودها عن نفسها في خلوةٍ فتمنعت وظهر عليها الخجل فيقول:

راودتها عن نفسها في خلوةٍ　　　وقد اكتست وجناتها وردَ الخجل
فرنت إليَّ من الحياء بمقلةٍ　　　فتانـةٍ مـا كحلـها إلا الكحل[2]

وافتخر بعضهم بأخلاق محبوبته، وهذا الفخر يعود على الشاعر نفسه بالمدح، فهذا ابـــن خاتمة يفتخر بمحبوبته حيث شبَّه أخلاقها العالية بأخلاق أهل الجنة فيقول:

---

[1]- ديوان أبي حيان الغرناطي، ص ١٤٣ – ١٤٤. انظر حمزة محمد عبد الهادي ، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بني الأحمر، ص١١٦ . بتصرف .

[2]- ديوان عبد الكريم القيسي، ص ٣٠٨.

لولا تجنيهِ قلت: الخلدُ منشؤه   وأنّ رضوان في الفردوس ربّاه[١]

ومن خلال النظر في شعر الفخر الذي قيل في النساء نجد أن هذا اللون من الشعر كاد أن ينعدم لدى بعض الشعراء، فقلّما نعثر على قصيدة مستقلة في هذا الفن، عدا بعض المقطوعات والأبيات المتناثرة في غرض المديح خاصة، وهذا عائد إلى انشغال هؤلاء الشعراء بمديح ملوكهم وإسرافهم في هذا اللون الشعري[٢]. وسادت صورة الزوجة شعر اللوم والعتاب، فقد لامت زوجة ابن زمرك زوجها على إسرافه وتبذيره وابن زمرك يرد عليها بأنه قد جُبل على الجود منذ طفولته:

ألائمتي في الجود والجودُ شيمتي   جلبت على آثارها يوم مولدي
ذريني فلو أني أخلد بالغنى   لكنت ضنينا بالذي ملكت يدي[٣]

ولقد كان لشعر الشكوى من المحبوبة النصيب الأوفر من هذا الشعر، عن آلام الحب وأوجاع الشوق وتباريح الجوى، ووصفوا آهاتهم وسهرهم ودموعهم وكآبتهم، بسبب الحرمان والرغبة في لقاء من يحبّون. فيشكو الشاعر ابن زمرك من محبوبته التي تضنّ عليه حتى بنظرة منها مع أنه مشتاق لتلك النظرات يقول:

يضنّ على عيني الحبيب بنظرةٍ   وعيني بدرّ الدمع في حبه تسخو
ومن فسط السلوانَ صفقة حبّه   فصفقة حبّي ليس يدركها فسط
ومن نسخت أيدي النوى عقد ودّه   فعقد ودادي ليس يدركه نسط[٤]

ويبيّن لها:

---

[١]– ديوان أبي خاتمة الأنصاري، ص ٥٩.

[٢] - انظر حمزة محمد عبد الهادي ، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بني الأحمر، ص١١٨ . بتصرف .

[٣]– ديوان ابن زمرك، ص ٣٨٤.

[٤]– نفس المرجع، ص ٢٥٧.

ما ضرَّ إذ أرسلتِ بنظرة فاتكٍ أن لـو عطفـتِ بنظرةِ المترحـــمِ
فرأيت جسما قد أصيب فؤاده مـن مقلتيـك وأنـت لـم تتأثمـــي
ولقـد خشيت بأن يُقاد بجرح فوهبت لحظكِ ما أحلك من دمي[1]

وبعد أن نظرت إليه نظرة ترحّم يشكو عيونها التي جنت على قلبه، ويشكو عذابه في حُبِّهـا فيقول:

تجني العيون على قلوب ذوي الهوى ليت العيـون بما جنت لم تؤخذ
الهـــــوى إن لم يكـــن لي في الهوى مـن منفـــــذ
قـولا لفاتكـة اللواحـظ: أجهزي والسُحُب تتبعـني بنفـث معـوذ:
قالـت وقـد وافيتها طـيَّ الصبـا عنـه لنـا فأجبتـها: هـذا الـذي
هـذا الذي تروي أحاديـث الهـوى بعـذابـه فـي حبّـه متلذذ[2]

ويشكو أبو حيان بعد محبوبته وهجرها له، ويقول بأنها أسكنت الشوق واللوعة داخـل قلبه ولا يريد أن يصرّح باسمها حتى لا تتبعها عيون الحساد والرقباء فيكيدوا لهـا وسـيظل يقترب منها على الرغم من جفائها منه فيقول:

كتم اللسان، ومدمعـي قـد باحا وثوي الأسى عندي وانسي راحا
وبمهجـتي مـن لا أصرح باسمـه ومـن الإشارة ما يكون صراحا
ريـم أروم حنـوه وجنـوحــه ويـروم عنـي جفـوة وجـماحـا
عجـبا لـه يـأسو الجسوم بطبه ولكـم بـأرواح آثـار جـراحـا
يـا حسنتها مـن ليلة لو أنهـا دامـت ومـدت للوصال جناحـا[3]

فالشاعر هنا يبين لها أنه لم يعرف طريق العشق إلا من خلالها، فكان لزامـاً عليهـا أن ترحم قلبه وتضع حداً لآلامه ثم يشكو لوم محبوبته له بأنه دائم الهجر لها، ويردّ عليها بأنـه مطيع لأمرها فيقول:

---

[1]- ديوان ابن زمرك، ص ٤٨٤.

[2]- نفس المرجع، ص ٢٦٠.

[3]- من شعر أبي حيان الأندلسي، ص ٦٤. انظر حمزة محمد عبد الهادي ، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بني الأحمر، ١٢٠ بتصرف .

إذا الأفق لم يسمح برائق بدرها   أعلل قلبي المستهام بذكرها
ومـن عجب أني مطيع لأمرها   وتزعم أني لا أبالي بهجرها
وأن الهوى مني خداع لها يجري[1]

وأخيراً يشكو بعد الحبيبة عنه، وأنّ وصالها: لا يتمّ إلا بالخيال والفكر فيقول:

وظبية إنس ليس يرجى وصالهـــا   مدى الدهر إلا بالتوهم والفكر
كلفت بها كالزهر والزهر في الربى   لما راق من بشر وما رق من نشر[2]

ويشكو عبد الكريم القيسي بعد محبوبته عنه، فقد حالت الأيام بينه وبين محبوبته حيث عاش فترة طويلة من حياته أسيراً، يتجرع غصص البعاد والحرمان، وراح يبثُّ محبوبته فاطمة أشعاره التي وجد فيها متنفّساً لآلامه الحبيسة[3]. وأشعاره في فاطمة تكشف عن شعور عميق وصدق إحساس فيقول وهو قيد الأغلال:

يا راحة الروح في أسري وإطلاقـي   وسلوة النفس في وجدي وإملاقي
فما هـواك بغيـر القلـب مسكنه   ومـا سـواك لـه قلب بمشتـــاق
والأسـر إن كـان يسلي ذا الهوى فأنا   أسـري يهيـج أشجاني وأشواقـــي
إذا ذكـرت زمـانا كـان يجمـعنا   بطيـب عيـش وإرفـاد وإرفـــاق
أطير مـن فرط أشواقي إليك هـوى   لكـن قلبـي بنار الشوق خفـــاق[4]

فالشاعر في هذه الأبيات يبين مدى حبه وإخلاصه لفاطمة، لا يسليه عنها البعاد، ولا ينال من جذوة وجده بها ما يعتلج من مرارة وحرمان. ويعود البسطي ليشرح معاناته من جرّاء حبه لفاطمة فيقول:

وما أعانيه من وجدي بفاطمة   أجل خود إليها الحسن ينتسب

[1] – ديوان ابن فركون، ،ص ٢٤٧.
[2] – نفس المرجع، ص٢٤٨.
[3] - انظر حمزة محمد عبد الهادي ، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بني الأحمر، ص٧٠ . بتصرف .
[4] – ديوان عبد الكريم القيسي، ، ص ١١٤ – ١١٥.

وهي التي فتنتني من محاسنها   بغرةٍ من سناها يُعجب العجب[1]

ويقول ابن الخطيب من قصيدة له، واصفاً ما يقاسيه من حرارة الشوق وألم البعاد:

ما لقلبي إذا هفا القلب حنّا   وصبا للنسيم من أرض لبنا
وإذا ما الظلام حلَّ عــراه   عايد الشوق والغرام فجنّا[2]

وهو يشكو من الهجر الذي كاد يقتله، ويصف تباريح الهوى وما تفعل به على الرغم ممّا عُرف عنه من تجلّد فيقول:

يا حبيبا من لعيني أن تراه   قد رمى حبك قلبي وبراه
لم يدع هجرك لي من رمقٍ   آه ممّا فعل البيـــن وآه
قد جفاني النوم من بعدهم   من رسول بين جفني وكراه
ولقد كنت صبورا إنــما   صدع البين فؤادي وكــواه[3]

ويصف لنا جفاءه الفراش، وليله الذي يمضيه بين الحسرة والعبرة، فيتحدث عن سـهره ودموعه وسقمه وما اعتراه من شوق وحنين:

أيقظت لما نمت ساكن زفرتـي   وحرمت أجفاني لذيذ هجوع
ووكلت عيني بالفراقد والسُّهى   أبكيت عند غروبها وطلوع
فالنجم في كبد السماء مسامري   والسُّقم في قلق الفراش ضجيعي[4]

والشاعر الملك يوسف الثالث كغيره من الشعراء الذين نظموا شعراً في الشكوى، فقد عاش أسيراً فترة من الزمن المنكّب، يتجرع غصص البعاد والحرمان، يحلم بالعودة إلى موطنه، ولقاء أهله وأحبته، فقد ظلَّ وفيًّا لمحبوبته، يحنُّ إليها ويشكو من بعادها، فيجد في الشكوى متنفساً لهمومه وآلامه التي ازدادت عليه في غربته وسجنه فيقول:

وهل لغريب الدار والنفس والهوى   إلى نيله لقيا الحبيب سبيل

---

[1] – ديوان عبد الكريم القيسي، ص ١١٢.
[2] – الصيّب والجهام، ص ٥٩٥.
[3] – الصيّب والجهام، ص٦٥٥.
[4] – الصيب والجهام ، ص ٦١٦.

يحـمل أنـفاس الجنوب رسائـــــــلا	**تضـرمها بالشوق وهي بليــل**
ويشكو لها ما قد أكـن من الهوى	**فتفـهم مـا يشـكو لهــــــا**

ويقول:

فبالله يـا ريـح الجنـوب تأملـــــــي	**أيلقى سلامي من حبيب قبول**
وهبـي على القصر الكبير عليلـة	**فـإن به أهل الحبيب حلـــول[1]**

ويؤكد الشاعر للحبيبة أنَّ أساه مهما طال، فإنَّ ذلك لن يثنيه عن حُبِّها، ولن يتطلع على سلو أو بديل:

فرحماك بنت العم في نفس هائم	**تقطـع مـن شـوق إليك ولا تسلو**
أعـوذ بك اللهم أن يفسد الهـــوى	**بعاد وأن يـزري بودي لهم بخل[2]**

وأما من حيث الرثاء: فانه يعد من الأغراض البارزة في شعرنا العربي، عرفه العـــرب منذ العصر الجاهلي، وتناوله الشعراء في العصر الإسلامي بصورة جديدة اقتضـــتها طبيعـــة الدين الجديد وقد ارتقي هذا الفن وعمقت معانيه في العصر الأموي والعباسي تبعـــاً للرقـــي الفكري والاجتماعي آنذاك.

ولقد شغل الرثاء، حيزاً كبيراً من ديوان العرب في الأندلس، حيث بكى الشعراء موتاهم بدموع غزيرة، وتفجّعوا عليهم، وكثيراً ما كان يشتد وهج بكائهم أيـــام الحـــروب والنكبـــات والفتن. وأوّل مرثية تصادفنا في ديوان ابن الخطيب، هي التي رثى بها فاطمة جدّة الســـلطان أبي الحجّاج المتوفاة سحر يوم الأحد السابع لذي الحجة من عام ٧٤٩هـــ وهي تناهز التسعين من عمرها فيقول:

نعـدُّ الـرِماح المشرفيـة والقنـــــــــا	**ويطرق أمر الله من حيث لا تـــدري**
هو الدّهر يجـري في البرّيـة حكمه	**فعـزُّ الغنـى سيـانِ، أو ذلة الفقـــرِ**
رمى تبَعا بالحـتف قصدا فلم يـكن	**لأتباعه فـي ذلك الخطب من نصـــر**

[1]- ديوان ملك غرناطة – يوسف الثالث، ص ١٩٢.

[2]- نفس المرجع: ص ١٩٢.

لقد فجع الإسلام منك وأهله بذخر يعيد الصيت مشتهر الذكر
وواحدة فاقت نساء زمانها كما فضلت أمثالها ليلة القدرِ
وهل خفضَ التأنيث للشمس رتبة وهل رفع التذكير من رتبة البدرِ[1]

وفي هذه المرثية يظهر تأثّر ابن الخطيب جلياً بأبي الطيب المتنبي في القصيدة التي رثى بها " أم سيف الدولة الحمداني " أخذ عنه الأفكار والمعاني، وحتى بعض الجمل والألفاظ فيقول المتنبي:

نعدُّ المشرفية والعوالي وتقتلنا المنون بلا قتال
وما التأنيث لاسم الشمس عيبٌ ولا التذكير فخرٌ للهلال[2]

وقد بدأ ابن الخطيب مرثيته بالتزهيد في الدنيا، والتحذير من الاغترار بها، ثم يتوجه بالخطاب إلى المرثية، فيذكر أن رحيلها عنهم، ومفارقتهم إياها، قد ترك في النفوس حزناً شديدا، وجرحاً عميقاً، ففقدها شبيه بفقد العيون لرؤيتها، والمسافرين ليلاً لنور البدر وضيائه، كيف لا وهي واحدةُ زمانها علو مكانة، ورفعة قدرٍ، ففضلها في النساء كفضل ليلة القدر في الليالي، فهي وإن كانت أنثى، فان ذلك لا ينقص من قيمتها ورتبتها، كما لا ينقص التأنيث من منزلة الشمس، ولا يزيد التذكير من رتبة البدر.

ويُغالي ابن الخطيب في رثائه لجدّة أبي الحجاج، فينعتها بالشمس يحيا بها العالم على علوّها ورفعة منزلتها، بل أنّ الشمس اقل منها مكانة ومنفعة، فهي كاملة لا يدركها النقص، ونافعة لا تضر أحداً فيقول:

وما كنت إلا الشمس يحيا بك الورى على بعد العليا أو رفعة القدر
وهيهات من للشمس منك بمشبه كمال بلا نقص ونفع بلا ضر[3]

ويصفها وهي محمولة على الأعناق في نعشها، بالسحابة المباركة السقيا المقدّسة القطر، وعند الوصول إلى لحدها في غلس الدجى، رآى المشيعون عجباً، إنهم شاهدوا أفول الشمس في مطلع الفجر!

---

[1]- انظر الصيّب والجهام، ، ، ص ٥٢٨-٥٢٩.
[2]- انظر ديوان المتنبي ، ، ، ج٢، ص ١٩-٢٤.
[3]- الصيّب والجهام، ، ، ص ٥٣٠.

حملنا على الأعناقِ منك سحابة   مباركة السقيا مقدسة القطر
ولما أتينا اللحد في غلس الدجى   رأينا أفول الشمس في مطلع الفجر(١)

وقد نالت الزوجة المتوفاة حظاً كبيراً في شعر الرثاء في هذا العصر، وما ذلك إلا أنها احتلت مكانة مرموقة عظيمة في نفس زوجها، تمثلت برابطة متينة سامية، وعلاقة محكمة الأواصر، أمّا لماذا هذا الحظ الوافر من الشعر في باب الرثاء وتحديداً؟ فلأنني أرى ذلك امتداداً لمعاني الفقد والضياع والخراب التي عمّت شعر هذا العصر، إذ أنّ هذه المعاني هي التي أوقدت أحاسيس الألم والحزن والحرمان في نفوس هؤلاء الشعراء فصبغتها بألوان القتام والظلمة، ويبقى فقد الزوجة صورة للألم الكبير الذي يخيّم على حياة الزوج عامة.

كذلك رثى ابن الخطيب زوجته التي توفيت سنة ٧٦٢هـ في مدينة سلا التي كان مغترباً فيها، فتركته وحيداً في منفاه، ولهذا فقد حزن عليها حزناً عميقاً، وساق إلينا الخبر عبر رثاء محزن نحسّ فيه لوعة الزوج المفجوع المُغرّب الذي يكاد يموت حسرة وأسى على زوجته التي كانت ذخيرته في الدنيا وعدّته يوم اشتداد الأهوال، وكانت ماله وآماله حتّى غيَبها القدر غريبة في تراب سلا، ولهذا فإن الشاعر لن يسلو حزنه عليها حتّى يلحق بها فيقول:

رُوِّع بالي وهاج بلبالي   وسامني الثكل بعد إقبال
ذخيرتي حين خانني زمني   وعدتي في اشتداد أهوال
قد كنتِ مالي لما اقتضى زمني   ذهاب مالي وكنت آمالي
أما وقد غاب في تراب سلا   وجهك عني فلست بالسالي(٢)

ويطلب من زوجته أن تنتظره لأنه سيلحق بها، وأن تفسح له مجالاً في قبرها حتى يُواريا معاً فيقول:

فانتظريني بالشوق يقلقني   ويقتضي سرعتي وإعجالي
ومهدي لي لديكِ مضطجعا   فعن قريبٍ يكون ترحالي(٣)

١- نفس المرجع، ص ٥٣٠.

٢- لسان الدين بن الخطيب، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تح احمد مختار العبادي، القاهرة، دار الكتاب العربي للنشر، ص ٢٠٥.

٣- نفس المرجع: ص ٢٠٥. انظر حمزة محمد عبد الهادي، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بني الأحمر، ١٢٦ . بتصرف .

والأبيات في مجملها تعبّر عن موقف شعوري حزين ألمَّ بابن الخطيب بعد رحيل زوجته، غير أنّ لجوء الشاعر إلى أسلوب التكلف في رسم صور هذا الموقف جعل القصيدة تفقد جزءاً من حراراتها ووهجها، ولا سيما بعد أن غصّت بالمحسِّنات البديعية من جناس وطباق.

ولقد لجأ الشاعر الملك يوسف الثالث إلى افتتاح بعض مراثيه بالغزل، وهذا قليل في الشعر العربي، لأن الغزل لا يليق بمقام الرثاء الذي يمتاز بالحزن والتفجّع على الميّت، وأول قصيدة تصادفنا حينما رثى زوجته، ومقدّماته في هذه القصائد متشابهة، يكثر فيها من الحديث عن الرحيل والوداع، ويذكر الظعائن والحداة، ويصف أشواقه ووجده وأرقه، وما خلفه البعاد في نفسه من حزن وأسى وقد نجد ذكراً للنساء في مقدمات رثائه، كسلمى وسعاد وغيرهما. فهو يستهل إحدى مراثيه في زوجته بذكر سلمى وما فعله ارتحالها في نفسه فيقول:

أعيذ الحمى من أن يخيب راجيا ... تذكر من سلمى حبيبا مناجيا
لقد جد سيرا ركبها حين ودعت ... وخلفت القلب المقلب عاتبا
سما النظر المغرى بها ملتمحا ... معالم من أطلالها ومعانيا
فأيأسني أن ضلت العين قصدها ... على ثقة أن لا ترى النجم هاديا
وجدد لي الذكرى رضيع مكانه ... بإنسان عيني لا أقول فؤاديا(1)

إنّه يصف الظعائن التي سارت إلى غير رجعة، وما يعانيه من آلام الفراق وحرقته وتشعر هنا بسلاسة التراكيب، وحنو العاطفة، وتوق الأحاسيس، كما أسهمت الألوان البديعية التي استخدمها الشاعر في إثراء المعنى وإغناء العاطفة، إذ انقادت من غير تكلّف، فجاءت في موقعها المناسب. ومن مراثي ابن زمرك الأندلسي ما قاله وهو يخمّس أبياتاً أنشده إياها السلطان أبو العباس(2) رحمه الله تعالى من نظمه يرثي ابنة له اسمها عشق فيقول:

ألا ليت شعري ما عدا بعدما بدا ... فراق علينا جار في الحكم واعتدى
ولو كان وعد اليوم ينجزه غدا ... (لنظم من شمل الهوى ما تبددا)
(ولكن رهين اللحد ليس له فدا)
فيا سائلي عن حالتي ولك البقا ... فقدت الذي أهوى فعزني اللقا

1- ديوان ملك غرناطة – يوسف الثالث –، ص ١٦٥.و انظر حمزة محمد عبد الهادي ، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بني الأحمر، ص١٢٧ . بتصرف .

2- هو أحمد بن سالم المريني المغرب، بُويع له بمداخلة الغني بالله سنة (٧٧٦)

ودمع حفوني بعد بعدي ما رقـــا   (ونفسي مع الأنفاس تفنى تشوقـــا)

(وروحي في مثل الخلال ترددا)[1]

وقال ابن فركون في رثاء زوجة السلطان – يوسف الثالث – حين توفيت أثناء الولادة مع مولودها:

يمينا لقد جاز الأسى منتهى الحدفيا   ليت حسن الصبر في مثلها يجـدي

مصاب به بانت من الدهر عشـــرة   وضلـت بـه الأيام من سنن الرشـــد

تعـز أمير المسلميـن فإننـــــــا   نـرى كل شيء في الوجود إلى حد

تـأس أميـر المسلمـين فإنمـــــا   هـو القـدر المحتوم جاء إلى وعـــد[2]

فابن فركون يبيّن للسلطان أن أساه وحزنه على وفاة زوجته قد تجاوز الحدّ عنده من شدّة الخطب ولم يعد عنده قدرة على الصبر، ويطلب من السلطان أن يحتمل هذا المصـــاب فكـــل إنسان لا بد من أن يلقى هذا المصير فلا راد لقضاء الله. وأما أبو حيّان الغرناطي فقد رثـــى زوجه زمردة بنت أبرق التي توفيت عام ٧٣٦هـــ فبكاها ورثاها أحر الرثاء فيقول:

ثم راحـت لـما قضـى الله فيهـــــا   بـثـنـاء وطـيـب التذكـــــار

ودهانـي مـن بعـد ذلـك فـقـــــدي   أم حيان خـيـرة الأخـيـــــار

كنت أنسي فـي وحدتي واغترابي   ومنامـي ويقظتي وسفـــاري

ونـديمـي فـي رحـلـتي ومقامـــــــي   وزميلي في حجتي واعتماري

لـم تـكـن زوجـة ولكـن كـــأم   وأنا كابنها صغير الصغار[3]

ويلاحظ من خلال قراءة هذه الأبيات حجم الفجيعة التي حلت بأبي حيان جـــرّاء وفـــاة زوجته ورحيلها عنه، فكانت نعم الأنيس والصديق له في حلّه وترحاله في منامه ويقظته، فهي الصديق والزميل والأم حتى أنه من حبه لها وتعلقه بها جعل نفسه كولد صغير يحنّ ويشـــتاق للقاء أمّه. وأبو حيان لا يرجو الحياة بعد وفاة زوجته وابتعادها عنه فيقول:

أأرجو حياة بعــد فقد زُمُرّد   وكانت بها روحي تلذُّ وتغتذي

---

[1]– ديوان ابن زمرك ، ص ٣٣١-٣٣٢.

[2]– ديوان أبي حيان الأندلسي، ص ١٣٢-١٣٣.

[3]– نفس المرجع، ص ١٩٣.

زمردٌ قد خلفت للصبّ لوعةٌ وحزنا بقلبي آخذا كلّ مأخذِ[1]

وبعد وفاة زوجته (زمردة) عاد أبو حيان ليذكر مآثر الفقيدة التي فجعت قلبه بوفاتها، فقد ذكر حجها لبيت الله الحرام، وروايتها لأحاديث المصطفى ﷺ، وذكرها الجميل المخلّد كأنه المسك والعنبر فيقول:

وحجت وزارت مرتين وقدست وما يك من بر تعجل وتنفذ
روت من أحاديث الرسول مساندا وكان لها روح بسماعي غذي
مضت ولها ذكر جميل مخلدٌ ثناء كعرف المسك والعنبر الشذي
إلى العالم العلويّ راحوا بروحها لروح وريحان وجنه مغتذِ[2]

ولابن الأزرق بيتان من الشعر قالها في توديع والدته عند وفاتها، يبيّن فيهما مرارة الوداع والدموع منهمرة حزناً وألماً فيقول:

تقول لي ودموع العين ساقطةٌ ما أفظع البين والترحال يا ولدي
فقلت أين السُرى قالت لرحمةٍ من قد عزّ في الملك لم يولد ولم يلدِ[3]

فهذه فيها اقتباس من القرآن الكريم لقوله تعالى: (لم يلد ولم يولد) فلقد تذكر ابن الأزرق الموت وأنه لا أحد مصيره البقاء والخلود إلا رب الوجود. وبعد هذا الاستقصاء لصورة المرأة الزوجة في هذه القصائد، وجدتُ أنه قد غاب الجسد ووري التراب وغُيِّب الوجه وكلّ ما في هذا الجسم من معالم جماليّة، ولم يبق إلاّ المعنى والذكرى الأليمة والوجد المقيم، وكانت مصيبة الزوج بفقدها عظيمة عصرت قلبه وأذابت نفسه.

[1]- ديوان أبي حيان الأندلسي، ص ١٦٧.

[2]- نفس المرجع، ص ٤٢٣

[3]- احمد بن محمد المقري التلمساني(المقري)، أزهار الرياض في أخبار عيّاض، أبو ظبي، صندوق إحياء التراث الإسلامي، ج٣، ص ٣١٩.

الفصل الرابع
صورة المرأة في شعر النساء الأندلسيات
وخصائص شعرهن الفنية
المبحث الأول
صورة المرأة في الأغراض الشعرية

تمهيد :

أبدعت المرأة الأندلسية في مجال الشعر والأدب فقد مثلن شواعر الأندلس مدرسة شعرية متميزة وشكلن حركة أدبية واضحة، فمنهن من مثلت **الاتجاه المحافظ** في الشعر :كـ (الغسانية البجانية، ومنهن من مثلت **الاتجاه الجديد** كـ(نزهون الغرناطية) وقسمونة بنت إسماعيل. ومنهن من وقفت **موقف الحياد**... ومنهن من خفق فؤادها واكتوت بنار تجاربها، وكانت مناراً في سمو ثقافتها الأدبية الواسعة، وخفة روحها مما جعلها تصمد وتواجه الشعراء الأفذاذ فتجيزهم وتساجلهم وتجادلهم وتحاورهم[١] .

ولتوضيح صورة المرأة في شعر المرأة الأندلسية كان لا بد من الوقوف على الأغراض الشعرية التي تناولتها المرأة حيث نظمت الشاعرة الأندلسية في أنواع مختلفة وسجلت أشعاراً رقيقة في الشكوى وبث الآلام، وفي المداعبة والظرف. والتهكم والمجون. والمراسلات والشعر القصصي ونظمت في الفخر والمديح كما تغنت بالأشعار الغزلية في مجالس الأنس والطرب. ووصفت الميول والأهواء وما يحدث فيها من (لذة وألم العشق وأثره)[٢]. ونظمت في ميداني الفصيح والعامي. وفيما يلي عرض للأغراض الشعرية التي تناولتها المرأة :

---

[١]- انظر الإحاطة ، ج ١، ص ٤٣٢ – ٤٣٣. ونفح الطيب، ج ٥، ص ٧٣.

[٢]- أحمد ضيف ، بلاغة العرب في الأندلس ، ط١ ، القاهرة، ١٩٢٤م، ص٤٠.

المطلب الأول

الغـــزل

أبدعت شواعر الأندلس الجارية والحرة على السواء في نظم الشعر الغزلي، وساعدها على ذلك البيئة والظروف المحيطة بها. فشعر الغزل من الفنون الأدبية الرفيعة التي طرقها الشعراء . وقد قال ابن بسام عن المدينة التي أنجبت ولادة (والشاعر منهم إن تغزل، أربى على الساحرات فنوناً، وأزرى بالغانيات مجونا)[١].

ولا شك في أن غزلهن كان كذلك. فقد تحدثت المرأة للرجل وتوددت إليه. " وقد يكون لكتاب طوق الحمامة في الألفة والإيلاف الذي ألفه ابن حزم عام (٤١٧هـ) أثر على النسوة اللائي بدأن المجاهرة في عشقهن، لذا أظهرت إحداهن الجانب المحسوس للرجل وتغزلت في حرقة "[٢]، وصورت ما وقع بينها وبين الحبيب، كما صورت هواها وبلواها. فظهرت متميزة، فهي عاشقة لا معشوقة، ومنهن من خرج غزلها (عن محمود التقاليد لدرجة القرب من الخلاعة)[٣] .

وقد أثرت معاناتها وتجربتها الشعرية في شعرها الغزلي فتميز بالصدق في نقل وتصوير انفعالاتها العاطفية، ودل على معرفتها بصور ومعاني الحب وأحواله). وكانت في غزلها قد ملأ الحب قلبها فشغفت وأطلقت لنفسها العنان (والعشق يطلق لسان العي)[٤]. وأكثر ما وصل إلينا في مجال الغزل من صراحة في إعلان العشق مطرحة كل معاني الكبرياء التي هي من مستلزمات طبيعة المرأة قول أم الكرم[٥] بنت المعتصم بن صمادح : -

---

[١]- انظرالذخيرة، ، ج١ ، ص ٣٣-٣٤.

[٢]- جبور عبد النور، المعجم الأدبي ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ص ١٨٦.

[٣]- د. اسماعيل شلبي ، البيئة وأثرها في الشعر عصر ملوك الطوائف ، ص ٤٤٩. بتصرف .

[٤]- أبو حيان التوحيدي ، البصائر والذخائر ، تح إبراهيم الكيلاني، ج ١، ص ٤٣٢ .

[٥]- انظرالمغرب ، ج ٢، ص٢٠٢ – ٢٠٣. وانظر المرأة في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف للدكتورة سلمى علي، ص٣٢٠ . بتصرف.

يا معشرَ الناسِ ألا فاعجبوا	ممّا جنته لوعة الحبّ
لولاه لم ينزل ببدرِ الدجى	مِن أفقه العلويّ للتربِ
حسبي بمن أهواه لو أنّـــه	فارقني تابعـــــه قلبي

وتقول متمنية خلوة عن أعين الرقباء متعجبة من شدة الاشتياق ومسكن الحبيب فــي الأحشــاء والأعماق[1] :-

ألا ليت شِعري هل سبيل لخلوةٍ	ينزّه عنها سمع كلّ مراقبِ
ويا عجبا أشتاق خلوة من غدا	ومثواه ما بين الحشا والترائبِ

وقد كتبت ولادة إلى ابن زيدون شاكية الفراق بعد الغياب ، تقول[2] :

ألا هل لنا من بعد هذا التفــــــرّق	سبيلٌ فيشكو كلّ صبّ بما لقي
وقد كنت أوقات التزاورِ في الشتـــا	أبيت على جمرٍ من الشوق محــرقِ
فكيف وقد أمسيت في حال قطعة	لقد عجل المقدور[3] ما كنت أتقي
تمرُّ الليالي لا أرى البين ينقضـــــي	ولا الصبر من رقّ التشوق معتـــقي
سقى الله أرضا قد غدت لك منـــزلا	بكلّ سكوب هاطل الوبل مغدقِ

وفي الوقت الذي فيه تتمنى أم الكرم لقاء الحبيب نجد ولادة دون خوف أو وجل تحـــدد زمـــان الزيارة وتضرب موعداً لابن زيدون قائلة[4] :

[1]- انظرالمغرب ، ج ٢ ، ص٢٠٢ – ٢٠٣ .

[2] - انظرديوان ابن زيدون ،ص ١٣٣، وص ٧٨٢. ص ١٥٤.

[3]- المقدار ، القدر.

[4]- انظرديوان ابن زيدون ، تحقيق علي عبد العظيم ،ص ٣٣.

ترقب إذا جنّ الظلام زيارتـــــــــــي | فإني رأيت الليل أكتم للســـــرّ
وبي منك ما لو كان بالشمس لم تلح | وبالبدر لم يطلع وبالنجم لم يسرِ

ومن الغزل الذي نسب[1] إليها :

ودّع الصبرَ محب ودّعــــــــك | ذائع من سرّه ما استودعـــــــك
يقرع السنّ على أن لم يكن | زادَ في تلك الخطـا إذ شيّعــك
يا أخا البدرِ سناء وســــــنا | حفظ الله زمانا أطلعــــــــك
إن يطل بعدك ليلي فلكـم | بت أشكو قصرَ الليل معــك!

ومن الشواعر اللآئي تحدثن حديثا مكشوفا عن العشق. لم يألف الأدباء والشعراء مثلــه بإظهار العواطف وإطلاق العنان[2] :-

لله درّ الليالي ما أحيسنهـــــــــا | وما أحيسن منها ليلة الأحـــدِ
لو كنت حاضرنا فيها وقد غفلــــت | عين الرقيب فلم تنظر إلى أحدِ
أبصرت شمس الضحى في ساعدي قمرٍ | بل ريم خازمة في ساعدي أسدِ

ومن الشاعرات اللائي ارتفع صوتهن في الصــبابة والغــزل أم العــلاء بنــت يوســف الحجاريــــة، فالحياة في نظرها تفقد طعمها بدون الحبيب تقول [3]:

كلّ ما يصدرُ منكم حسن | وبعلياكم تحلى الزمنُ
تعطف العين على منظركم | وبذكراكم تلذّ الأذنُ

[1]- انظر نفح الطيب ، ج ٥ ، ص٣٣٧. الأبيات لولادة كتبت بهما إلى الأصبحي نسبها محقق ديوان ابن زيدون د. علي عبدالعظيم لابن زيدون، انظر الديوان ص ١٦٧ وص ٧٧٩. انظرد، سعد إسماعيل شلبي، البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٧٨م، ص ٤٤٩. والحقيقة أن ولادة كتبت الأبيات إلى الاصبحي كما أشار صاحب نفح الطيب. ج٥، ص ٣٣٧.

[2]- ابن الآبار، تحفة القادم، ص٥٨٤ عن مجلة المشرق ـــ نشر البستاني ـــ ١٩٤٧. نفخ الطيب، ج ٦، ص٣٤.

[3] - المغرب، ، ج٦، ص ٣٨. وانظر نزهة الجلساء في أشعار النساء لجلال الدين السيوطي،تح د/ صلاح المنجد، بيروت، ط١، ١٩٥٥م ، ص ٢٢ – ٢٣.وانظر نفح الطيب، ، ج٥، ص٣٠١.

مَن يـعِش دونكـم في عمــرهِ   فهوَ في نيل الأماني يـغبَنْ

وبالرغم من أن غزل بعض شواعر الأندلس قد كان تقليديا إلا أنه في مجمله قد اشتمل على صور جميلة، وألفاظ عذبة، كالذي جاء في مطلع قصيدة الغسانية حيث اتسم بالأصالة والعمــق، وهي تعارض ابن دراج القسطلي في مدح الأمير خيران العامري المتوفى ســنة (٤١٩ هـــ) تقول[١] :-

أتجزع أن قالوا ستظعن أظعــان   وكيف تطيقُ الصبرَ ويحك إن بانوا
وَما هوَ إلا الموت عندَ رحيلهـــم   وإلا فعيشٌ تجتنى منهُ أحـــــزانُ
عَهدتهمُ والعيشُ في ظلِّ وصلهم   أنيق وروضُ الدهر أزهر ريّـــــانُ
ليالِيَ سعدٍ لا يخاف على الهوى   عتاب ولا يخشى على الوصلِ هجرانُ
ويَسطو بنا لهو فنعتنق المنــــى   كما اعتنقت في سطوةِ الريح أفنانُ

وقدعبرت أنس القلوب عن شدة ما تلقى من الوجد وغنت متغزلة متمنية الوصل إلى من تحب[٢] فقالت:-

قدم الليلُ عند سيرِ النهــار   وبدا البدرُ مثل نصف ســـــوارِ
فكأنّ النهار صفحة خـــدّ   وكأنّ الظلام خطّ عــــــذارِ
وكأنّ الكؤوسَ جامد ماء   وكأنّ المدام ذائب نـــــــــارِ
نظري قد جنى عليّ ذنوبـا   كيف ممّا جنته عيني اعتـذاري
يا لقومي تعجّبوا من غزالٍ   جائر في محبّتي وهو جـــــاري
ليت لو كان لي إليهِ سبيل   فأقضّي من حبّه أوطـــــــاري

وقد غنت عتبة جارية ولادة وتغزلت وضمت إلى نشوة الغناء حلاوة اللقاء فقالت[٣] :

[١]- انظر جذوة المقتبس ، ص ٣٨٩ . بغية الملتمس ، ص٥٢٩ .

[٢] نفح الطيب ، ج٢ ، ص ١٤٦ – ١٤٧.

[٣] - انظرديوان ابن زيدون ، ص ١٢٠. الذخيرة ، ،، ج١ ، ص ٤٣١. تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون، خليل بن ايبك الصفدي، تح محمد أبو الفضل، بيروت، مطبعة المدني، ١٩٦٩م ، ص١١.

أحبتنا إني بلغت مؤملـي **وساعدني دهري وواصلني حبي**[1]

وجاء يهنيني البشير بقربه **فأعطيته نفسـي وزدت له قلبـي**

ومن الملاحظ أن أكثر غزل الجواري قد جاء كاجازات للأبيات ، أو مطارحات تلقى في المجالس، أو اختبارات لذكائهن، أو مراسلات بين الأحباب وقد أظهرن فيه براعة وتفوقاً وسرعة بديهة ومعرفة بأحوال المحب والمحبين. كقول العبادية، وهي تجيب مولاها وسيدها المعتضد حين يقول[2] :

تنام ومدنفها يسهر **وتصبر عنه لا يصبر**

فتجيبه على البديهة :-

لئن دام هذا وهذا له **سيهلك وجدا ولا يشعر**

"أما غاية المنى ، فقد قيل لها أجيزي[3] ؟ **اسالوا غاية المنى**" . **فأجابـــــــت**......

"من كسا جسمي الضنـا"

"وأرانـي متيـــــما" **"سيقـــول الهـــوى أنـــا"**

وفي رواية أخرى، قيل لها أجيزي ؟ [4]:-

سل هوى غاية المنى **من كسا جسمي الضنا**

فقالت تجيزه :-

وأراني متيما **سيقول الهوى أنا**

---

[1]- الحب بكسر الحاء : الحبيب.

[2] - انظرنفح الطيب، ،، ج٦، ص١٩-٢٠.

[3] - نفس المصدر، ج ٦. ص ٢٣.

[4] - انظر نفح الطيب، ،، ج٦، ص١٩-٢٣.

المطلب الثانـــــي
الفـــخـــــــر

من الأغراض الشعرية التي أبدعت فيها المرأة الأندلسية باب الفخر إذ اتخــذت منـــه متنفسا للافتخار بقيمها وبعليائها وأنفتها، فبحكم وضعها الاجتماعي كانت كثيرة الاعتزاز بالنسب والأجداد والذات والأمجاد، ولا غرابة في ذلك فأغلبهن كن أميرات لذلك كن يشعرن بالكثير من الزهو والكبرياء والرفعة فجاء فخرهن صادقاً، مصبوغاً بصبغة واقعية متسماً بالفخامة والقــوة. وقد بلغ افتخار ولادة بنفسها أن تكتب بالذهب على عاتقي ثوبها[1] :-

أنا والله أصلح للمعـــــــــــالي ... وأمشي مشيتي وأتيه تيها
وأمكنُ عاشقي من صحن خدي ... وأعطي قبلتي من يشتهيها

وقد اتخذ الفخر صوراً متعددة، منها الفخر بالقيم والمبادئ والعفاف، والتمسك بالإســـلام ويظهر ذلك قي قول ولادة :-

إني وإن نظر الأنام لبهجتــــــــي ... كظباء مكة صيدهن حـرام[2]
يحسبن من لين الكلام فواحشا ... ويصدهن عن الخنا الإســــلام

ومن صور الفخر الطريفة ما قالته الشاعرة صفية بنت عبدا الله الربى في وصف خطهـــا، بعدما عابت امرأة خطها فقالت[3] :-

وعائبة خطي فقلت لها إقصـــري ... فسوف أريك الدر في نظم أسطري
وناديت كفي كي تجود بخطها ... وقربت أقلامي ورقـي ومحبـــري

---

[1]- انظرديوان ابن زيدون، ص ٣١، الذخيرة، ،، ج١، ص ٤٢٩. فوات الوفيات، محمد بن شاكر الكتبي، تح د/ احسان عباس، بيروت، دار الثقافة، ١٩٧٣م، ج٤، ص ٥١ م. وانظر المرأة في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف للدكتورة سلمى علي، ص٣٢٥ . بتصرف.

[2]- انظرديوان ابن زيدون ، ص ٣٠

[3]- انظرجذوة المقتبس ، ص ٣٨٨. الصلة لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بشكوال الأنصاري، القاهرة ، ١٩٦٦م ، جـــ٢ ص ٦٦٥ . ١٩٥٥.

ولقد كان الجمال من مفاخر الشواعر في ذلك العصر وغيره من العصور، ومن ذلك ما قالتــه نزهون مفتخرة بجمالها في إجازتها للشاعر الكندي أبي بكر الغرناطي حين قال [١]:-

لو كنت تبصر من تكلمه ؟ فأجابت :	**لغدوت أخرس من خلاخلـه**
البـدر يـطـلـع مـن أزرتـــــــــــــه	**والغصن يمرح في غلائلـــه**

وليس غريباً أن تفخر الشواعر الأميرات ذوات الحسب والنسب بأمجادهن وعلو نســبهن ومــا نسب لبثينة بنت المعتمد بن عباد في الفخر بالأمجاد والماضي التليد ممزوجاً بالشكوى من مرارة الزمان قولها[٢] : -

مَن عزا المجدَ إلينا قد صَـــــدَقْ	**لم يلِم من قال مهما قال حـــقْ**
مجدُنا الشمسُ سَناءً وسَنـــــــا	**مَن يَرِم ستر سَناها لم يُطـــقْ**
أيُها الناعي إلينا مجدَنـــــــا	**هل يضرُ المجدَ أن خطب طرقْ**
لا تُرَع لِلدَمع في آماقِنـــــــا	**مزَجته بدَمِ أيدي الحُــــرَقْ**
حنق الدهــــر علينا فسطـــا	**وكذا الدهر عـلى الحـر حنـق**
وقديماكـلف الـمـلك بنـــا	**وأرى منهـا شموسـا فعشـــــق**
قـد مضى منا ملوك شهـــروا	**شهرة الشمـس تجلت في الأفـق**
وإذا ما اجتمـع الدين لنـــــا	**فحقير مـا مـن الدنيا افتـــرق**
حججـا عشـرا بعدمـــــا	**وثلاثيــن وعشـرين نســــق**
أشرقت عشرون من أنفســـها	**و ثـلاث نيـرات تأتلـــــــــق**

[١] - انظر المغرب، جـــ٢، ص١٢١. نزهة الجلساء في أشعار النساء لجلال الدين السيوطي ، ص ٩٩ -١٠٠.

[٢] انفرد الدكتور أ.ر نيكل في رواية ونسبه هذه الأبيات لبثينة بنت المعتمد في كتابه مختارات من الشعر الأندلسي، ص١٠٦، وقد أ شار الدكتور عمر فروخ إلى أن هذه الأشعار كانت نصوصاً من كتاب الشعر الأندلسي .

المطلب الثالث

المديح

يحتل شعر المديح مساحة كبيرة من الشعر العربي منذ عصور، فما من شاعر الا وقد طرق هذا الباب. فمن هنا تأثرت شواعر الأندلس بهذا الاتجاه فشعرن في أنفسهن أنهن أمام أناس يستحقون التمجيد والإشادة فطرقن هذا الباب، فأجدن فيه (فأطرت وأسمعت)[١] وعارضت ومزجت مدحها بالسخرية .

ويتضح ذلك كله من النمادج الشعرية التي سجلتها في مدحها للرجال الذين جادت أياديهم بالعطاء ، وتذوقوا الشعر وعرفوا برعايتهم للشواعر ، وربما كانت تهدف من وراء شعرها هذا الحصول على مغانم مادية أو معنوية كالعتق من الأسر ، فقد عرف عن مريم[٢] الشلبية الفصولي تكسبها بالمديح ، كما (مدحت الغسانية الملوك)[٣].

ولا يعرف ما إذا كانت ظروف الشاعرة المادية عنصراً في إقبالها وطرقها لهذا الباب. ومن هذا اللون من الشعر ما قالته مريم بنت أبي يعقوب الفصولي ، فقد بعث إليها (ابن المهند) بدنانير وقصيدة فأنشأت قصيدة من نفس البحر والقافية في مدحه جاء فيها[٤] :

---

[١] – ابن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تح محي الدين عبد الحميد، القاهرة، ج، ص ١٩٩.

[٢]– انظرجذوة المقتبس، ص ٣٨٨. وانظر المرأة في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف للدكتورة سلمى علي، ص٣٢٧ .

[٣]– المصدر نفسه، ص٣٨٩.

[٤] - انظر جدوة المقتبس، ص ٣٨٨. بغية الملتمس، ص ٥٢٨ – ٥٢٩. وانظر المرأة في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف للدكتورة سلمى علي، ص٣٢٩ . بتصرف .

من ذا يجاريك في قول وفي عمـــــل   وقد بدرت إلى فصل ولم تســـــل
مالي بشكر الذي نظمت في عنقي   مـن اللآلي وما أوليت في قبـــــل[1]
حليتنـي بحـلى أصبحت زاهيـــة   بها عل كل أنثى من حلي عطل[2]
لله أخلاقـك الغـر التـي سقيـــت   مـاء الفرات فرقت رقـة الغـــــزل
أشبهت مروان من غارت بـدائعه[3]   وأنجدت وغدت من أحسن المثـل
من كان والده السيف المهند لـم   يلد من النسل غير البيض والأسل

وقد مدحت مهجه القرطبية ولادة ببيتين كانت بسببهما من المتقـدمات علـى الشـعراء الذكور في عصرها وقد اعترف لها النقاد بالتقدم لأنها من أجود الشعر وأحسنه[4] :

لئن قد حمى عن ثغرها كل حائم   فما زال يحمي عن مطالبه الثغر
فذلك تحميـه القواضب والقنـــا   وهذا حماه من لواحظها السحـر[5]

أما ولادة فقد مدحت أبا عامر بن عبدوس بطريقة ساخرة وكان جالسا أمام بركة لتجمع القاذورات، فتركته لا يحير حرفا ولا يرد طرفا حين قالت:-

انت الخصيب وهذه مصر   فتدفقا فكلاكما بحر[6]

[1]- (قبلي) من قبل (بضم فضم) يبدو أن ابن المهند كان قد أحسن إليها مراراً قبل دلك.

[2]- العطل " بضم فضم" العاطل: المرأة الجميلة.

[3]- بدائعه، أبيات شعره البديعيه. غارت نزلت إلى الغور، الأرض المنخفضة أنجدت، صعدت إلى نجد (المكان المرتفع)، بمعنى أن أشعاره اشتهرت في كل مكان. العضب: السيف القاطع.البيض :السيوف.الأسل: الرماح. يلد البيض والأسل: يلد الشجعان.

[4]- انظر المغرب ، ، ،ج١، ص٤٣ . وانظر نزهة الجلساء ، ، ، ص٩٣. و نفح الطيب، ،، ج٣، ص٢٩. حلأت: منعت وطردت.

[5] - القضب: السيف القاطع.البيض :السيوف.الأسل: الرماح. يلد البيض والأسل: يلد الشجعان.

[6] - ديوان ابن زيدون، ،، ص ٣٢. الذخيرة، ،، ج١، ص ٤٣٢. نزهة الجلساء، ص ١٠٣.

المطلب الرابع

السخرية و الهجاء

من الأبواب التي خاضت غمارها الشاعرة الأندلسية باب السخرية ولاستهزاء فلم تأنف المرأة في ذلك العصر من الهجاء الفاحش بسبب (الانتقاص والانتقام من الذين أساءوا لهـا)[١] . فكانت ترد بمثله وأقبح منه أحيانا، وقد يكون سبب خوضها هذا المضمار الغيرة والبغضـاء أو المضايقات في بعض الأعمال. أو لأجل الطرفة والسخرية وربما لجـأت إليـه فـي مجالسـها لاستمالة قلوب الرجال ولفت الأنظار عن طريق اضحاكهم. لتحتل منزلة النديم عندهم.

وقالت الشاعرة الأندلسية في هذا الغرض ما نقص عنه فحول الذكور فهي كما قـال ابـن بسام: إن هجت أجرت (لسان جرير)[٢] ، ولقد عبرت عن معظم انفعالاتها بالهجاء لذا لم ترتفـع به إلى مستوى شعري عال[٣]. وأثبتت (تحللا أكثر مما هو تحررا) [٤] في إقدامها علـى مضـغ الأعراض والسفه والتطاول والتهجم في مقارعة الرجال والنساء بأسلوب ينافي الحياء.كل ذلـك كان عند الحرائر.

وأما بالنسبة إلى هجاء الجواري فلم يصل إلينا منه شيئا. وبالرغم من أن الهجاء عادة مـا يكون للأعداء إلا انه كان للأحبة أحيانا فهذه ولادة قد أنشدت تهجو ابن زيدون وكانـت تلقبـه بالمسدس في قصيدة مطلعها:

ولقبت المسدس ٥ ، وهو نعت تفارقك الحياة ولا يفارق

.. ..وسارق

" وقد وصل الهجاء عند ولادة إلى حد من الفحش والمجون يندى له الجبين ويتعفف عنه لسان الرجال فما بالك بالنساء "[٦]، " " ونعثر في أهاجي مهجة على مثل هذه الظاهرة أيضا ، وإن

---

[١]- الذخيرة، ج١، ص ٦١-٦٢. العمدة، ج ١، ص ٢٦.
[٢] – الذخيرة، ج١، ص ٣٣-٣٤. وانظر المرأة في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف للدكتورة سلمى علي، ص٣٢٩.
[٣]– احمد أمين، النقد الأدبي، ط٤ ، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م، ص ١٠٥.
[٤]– الأدب الأندلسي– موضوعاته وفنونه–، مرجع سابق، ص ١٠٦.
[٥]– ديوان ابن زيدون، ص ٣٣-٣٤ . تمام المتون، ص ١١.
[٦]– انظر مثلا هجاءها ابن زيدون في ديوانه، ص ٣٣ و ٣٤ والاصبحي ص ٣٤.

كانت أقل مما في أشعار ولادة "[1] ، وحينما هجا الشاعر المخزومي نزهون ردت عليه بأبيـــات أكثر بذاءة و أشد أقذاعا من هجائه فقالت :-

قـل للوضيـع مـقالا	يتلى إلى حين يحشـر[2]
مـن المـدور أنشــئت	.... منه أعطـر
حيث البـداوة أمسـت	فـي اهلـها تتبختـــر
لـذاك أمسيت صبـــا	بكــل شـيء مــدور
خلقت أعمـى ولكـن	تهيم فـي كل أعـــور
جازيت شعرا بشعـــر	فقل لعمرى من أشعـر
إن كنت في الخلق أنثى	فإن شعـري مذكــر

كما وصلت إلينا بعض صور الهجاء الساخرة التي تثير الضحك أو السخرية من المهجـو. من ذلك أن بعض الثقلاء قال لنزهون معجبا بفتنتها راغبا في تحمل العذاب مادام في صحبتها(ما على من أكل معك خمسمائة سوط ؟) فأجابته[3] :-

وذي شقوة لما رآنـــي رأى له	تمنيه أن يصلي معي جاحم الضرب
فقلت لـه كلها هنيئا فإنما	خلقت الى لبس المطارف و الشـــرب

ومنه ما ردت به نزهون على المخزومي بعد هجائه لها قائلة : [4]

إن كان ما قلت حقا	مـن بعض عهد كريـم
فصار ذكري ذميمـا	يعـزى إلى كل لـــوم
وصرت أقبح شــــيء	فـي صورة المخزومـــى

وعندما خطب نزهون بنت الوزير القلاعي رجل قبيح وذلك أن حبه فيها قاده إلى خطبتهــا أجابته ساخرة [5]:

[1] انظر نزهة الجلساء، ص٩٣.حيث عقب على هجائها ولادة بقوله(لو سمع ابن الرومي هذا لأقر لها بالتقديم).

[2]- انظر المغرب ، ج١ ، ص ٢٢٣ وص٢٢٨ . وانظر الاحاطة، ج، ١ ص ٤٣٤.

[3] نزهة الجلساء، ص ٩٩ . نفح الطيب، ج ٦ ، ص ٣٢

[4] ابن الآبار، تحفه القادم، ص ٥٨٤عن مجلة المشرق نشر الفريد البستاني سنة ١٩٤٧. نزهة الجلساء، ص ٩٩ -١٠٠

[5]- بغية الملتمس ، ص ٥٣٠ .وابن الآبار محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ، تحفة القادم ، ص ٥٨٤ .

عذيرى من عاشق أنـوك[1] سفيه الإشارة والمنـــــزع
يــروم الوصال بما لو أتى يروم به الصفع لم يصفع
برأس فقـير إلى كيــة ووجه فقير إلى بـــــــرقع

وباستقراء نتاج شعر نساء الأندلس في هذا الاتجاه نجد أن بعضهن قد تطرفن في الهجاء لدرجة كانت قريبة من المجون وروح الفحش وقد كان هذا اللون منتشرا لدى نساء ذلك العصر. و قد كان لهن مواقف مع الرجال تنم عن قلة الاحتشام وعدم المبالاة فأطلقن الكلام بألفاظ قاسية وقمن بالوقوف أمام الرجال بلا خجل أو مراعاة لقواعد الآداب والأخلاق، وقد يكون سبب ذلـــك كثرة الاختلاط بالرجال وانتشار مجالس الأنس واللهو ورقة الحضارة، وقلة الضوابط الخلقية في ذلك المجتمع[2].

---

[1] - الأنوك : الاحمق . يروم : يريد.

[2] - وانظر المرأة في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف للدكتورة سلمى علي، ص٣٣١ .

المطلب الخامس

الشكوى

أجادت الشاعرة الأندلسية فنا آخر من فنون الشعر السائدة آنذاك وهو الشكوى والاستعطاف وأكثر ما بثت شكواها في غزلها، فمن صور الشكوى في الغزل قول قسمونة[1]:-

ياظبية ترعى بروض دائمـــا   اني حكيتك في التوحش والحور
أمسى كلانا مفردا عن صاحب   فلنصطبر أبدا علـى حكم القـدر

وأشارت الشاعرة الأندلسية في بعض أشعارها إلى ما تلاقيه من نكد وأزمات كتقلبات الزمان وغدر الليالي، والشباب الذي بدأ في الأفول والعمر الضائع. وقد أثرت الشيخوخة في بعض الشواعر الأندلسيات فشكون طول العمر وعلو السن وانهداد القوة وتراكم الهموم فلما أسنت مريم بنت يعقوب وبلغت السابعة والسبعين رسمت لنا صورة رائعة عن حالتها فقالت:-[2]

وما يرتجي من بنت سبعين حجة   وسبع كنسج العنكبوت المهلهل [3]
تدب دبيب الطفل تسعى إلى العصا   وتمشي بها مشي الأسير المكبل

وبلغت الشكوى ذروتها عند قسمونة فشكت مضي الشباب وراعها ألا يتقدم إليها أحد، وهي الجميلة الوسيمة فقالت معبرة عن تجربتها :[4]

---

[1]- انظرنفح الطيب ، ج، ٥ ، ص ٧٤.

[2]- انظرجذوة المقتبس،ص ٣٨٨.وبغية الملتمس ، ص ٥٢٨،والصلة ،ج٢.ص ٦٩٤. ونزهة الجلساء، ص ٩٢ .

[3]- المهلهل: الرقيق، الضعيف، المكبل: المقيد.

[4]- انظرنفح الطيب، ج ٥، ص ٧٣. واعلام النساء، ج٤، ص ٢٠٧. وانظر المرأة في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف للدكتورة سلمى علي، ص٣٣٢ .

أرى روضة قد حان، منها قطافها ولست أرى جان يمد لهـــا يدا

فوا أسفا يمضي الشباب مضيعـا ويبقى الذي ما إن أسميه مفردا

وفي شكوى الزمان وتقلب صروفه وغدر الأيام قالت بثينة بنت المعتمد هذه الأبيات مودعة إياها حكمة السنين وموعظة الأحداث [1] :

ما يعلم المرء و الدنيا تمر بـــه بان صرف ليالي الدهر محـذور

بينا الفتى متزد في مسرتـــه وافي عليه مـن الايام تغييــر

وحر خسرا فلا الايام دمن لـــه ولا بما وعد الابــرار محبـــور

من بعد سبع كأحلام تمر وما يرقى الـى الله تهليل وتكبيـر

يحل ســوء ، بقوم ، لامرد لـــه ومـا ترد مـن الله المقاديـــر

[1] - انظر مختارات من الشعر الاندلسي، ص ١٠٥، وانظر الحلة السيراء لابن الآبار.

المطلب السادس
الاعتـــــذار والعتـــــاب

شاركت المرأة الأندلسية في غرض آخر وهو الاعتذار، فقد قيل " نعم البديل مـــن الزلـــة الاعتذار"[1] ، فلم تتوانى في بيان أسفها لما صدر عنها من قول أو فعل قد أساء لغيرها ، ومـــن هذا القبيل تقول ، أم العلاء بنت يوسف الحجارية معتذرة عما بدر منها تجاة الآخرين[2]:

افهم مطارح أحوالي وما حكمت — بـه الشواهد واعذرني ولا تلـــم
ولا تكلنـي إلى عـذر أبينــــه — شر المعاذير مـا يحتاج للكلـم
وكل ما جئتـه مـن ذلة فبمـــا — أصبحت في ثقة مـن ذلك الكرم

وقالت أيضا : – [3]

لـولا منافرة المـــــــدا — مـة للصبابة والغنـا
لعكفت بين كوؤسها — وجمعت أسباب المنى

وفي الاعتذار المشوب بالدعابة والحكمة تقول أم العلاء لرجل أشيب خطبها فبعثت إليه[4] :–

يا صبح لا تبـد إلى جنحـــي — فالليل لا يبقى مـع الصبـــــح
الشيب لا يخـدع فيه الصبـــا — بحيلـة فاسمع إلى نصحـــــي
فلا تكـن أجهل من في الورى — يبيت في الجهل كما يـضحي

ومن شعر أنس القلوب قالت معتذرة لما بدا منها من تقصير نحو الآخرين أبياتا فيهـــا رقة واعتذار، وخشوع تقرب من روح التبتل والابتهال[5] :

---

[1]– انظرا بن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٤، ص ٢٩٤ تحقيق محمد سعيد العريان، طـــــ ٢٠ مطبعة الاستقامة ١٩٥٣
[2] - انظر نزهة الجلساء، ص ٢٣. ونفح الطيب، ج ٥، ص ٣٠١–٣٠٢.و الدر المنثور، ص ٥٤.
[3]- انظر المغرب ، ج ٢، ص ٣٨. بغية الوعاة، ص ٢٢. تاريخ الأدب العربي في المغرب، ج ٤، ص ٥٠٦– ٥٠٧.
[4]– انظر نزهة الجلساء، ص ٢٣.و نفح الطيب، حـــ ٥ ، ص ٣٠١ . والدر المنثور، ص ٥٤.
[5]– انظر نفح الطيب، ج٢، ص ١٤٧. وقيل إن أبا المغيرة وضعها على لسانها. نفس المصدر، ونفس الصفحة.

أذنبت ذنبا عظيما	فكيف منه اعـتذاري ؟
والله قدر هـــــذا	ولـم يـكـن باختيـاري
والعفو أحسن شيء	يـكـون عنـد اقتــــدار

وحين مال ابن زيدون لجارية ولادة واسمها عتبة، أرسلت له هذا العتاب المؤدب[1] :-

لو كنت تنصف في الهوى ما بيننا	لـم تهو جارتي ولم تتخيـــــــر
وتـركت غصـنا مثمرا بجمالـــه	وجنحت للغصن الذي لم يـثمر

هذه أهم الأغراض الشعرية التي أكثرت في نظمها الشواعر، ومن الملفت للنظر أنهن في شعرهن لم يتعرضن إلى وصف الطبيعة وصـــفا مســـتقلاوالذي عـــرف بــــه معظـــم شـــعراء الأندلس.غير أننا وجدنا بيتين لأم العلاء في هذا الغرض ينمان عن موهبة رائعـــة فـــي رســـم لوحات الطبيعة الفنية قالت [2] :

لله بســتــــــاني اذا	يـهفو بـه القصب المنـدى
فكأنما كف الريـا	ح قد اسندت بندا فبنـدأ

[1]- انظرديوان ابن زيدون، ص ٣٣. الذخيرة، ج ١، ص ٤٣١- ٤٣٢. فوات الوفيات والذيل عليها، ج١، ص ٢٥١. وانظر تمام المتون في شرح رسالة ابن خلدون، لخليل الصفدي، ص ١١.

[2]- المغرب ، ج ٢، ص ٣٨..

المطلب السابع
الموشحـــــــــــــات

الموشح من الفنون التي عرف بها الاندلسيون ومنهم انتقل الى المشرق[1] . وقد حاولــت المرأة الاندلسية أن تشارك أخاها الرجل في هذا الابتكار فبادرت إلى صناعة الموشحات أيضا. فعرفت الشاعرة أم الكرام بصناعة الموشحات في محبوبها الفتى السمار.

ولما صنع والد الشاعرة قسمونة بنت إسماعيل قسما من الموشحة أتمتها ابنته قسمونة.
ومع ورود هذين الخبرين في المصادر القديمة، فلم يصل إلينا من موشـــحاتهما شـــيء إلا أن المصادر حفظت موشحة غزلية لشاعرة أخرى هي نزهون عارضت فيهـــا موشـــحة لشـــاعر مجهول، عارضها الشاعر المجهول نفسه، وهذه الموشحة تدل على قدرة التعبير لدى الشـــاعرة في صنع الموشحات، وربما صنعت غيرها ولم تصل إلينا قالت:

بأبي مـن هدم جسمي و القـوى	**طرفـــه الاحـــور**
وسقاني مـا سقى يـوم النـــوى	**ويـح مـــن غـــرر**
كـلما رمت خضوعا فـي الهوى	**تـــاه واستكبـــر**
يالـه مـن شـادن صيرنـــــــي	**رهـــن أشجـــــان**
لم يدع في الحور منـه عوضـا	**عنـــد رضـــــوان**
مربى فـي ريرب مـن سربـــــه	**يقطـــف الزهـــرا**
وهـو يتلـو آية مـن حزبـــــه	**يبتغـــي الاجـــرا**
بعـدما ذكـرني مـن حبـــــه	**آيـــة أخـــــرا[2]**
قلـب القلب على جمر الغضا	**فهـو فـي شـــــان**
حفـــظ الله حبيـبا نزحـــا	**خشيـــة الهجـــر[3]**

---

[1]- صلاح الدين الصفدي ، توشيح التوشيح ، تحقيق حبيب مطلق ، بيروت ، دار الثقافة، ط١ ،١٩٦٦م ص٢٠. وانظر د. مصطفى عوض الكريم، فن التوشيح، ط١، بيروت ١٩٥٩، ص ١٨.

[2]- أخرا : نجد في الكلمة زحاف : أخرى .

[3] - انظر مجلة علوم اسلامية، المجلد الأول ، عدد١ ، ص٥، ١٩٦٠. وانظر المرأة في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف للدكتورة سلمى علي، ص٣٣٦ .

المبحث الثاني

الخصائص الفنية

في شعر النساء

تمهيد:

من الصعوبة بمكان الحكم على شعر شواعر الأندلس وما حواه من خصائص وسمات فنيه ،وذلك لقلة شعرهن المتوفر في المكتبة العربية،" فقلة شعرهن جعل الناقد يحجم عن إعطاء حكم دقيق يطمئن به، لأنها قد لا تحتوى بالضرورة كل السمات الفنية الحقيقية في عموم شعر المرأه الذي قالته في وقتها وقبل ضياعه، ثم أن تلك القلة في الموجود منه ورد فيها أبيات غلب عليها طابع السرد عموما، وبعض شعرهن غلب عليه ركاكة الألفاظ وضآلة العاطفة والخيال، مما جعلها غير مدهشة أو باعثه على الإعجاب من معجبي الشعر" [١]، ومثال ذلك رد نزهون على أبي بكر المخزومي حين تقول[٢] :

إن كان ما قلت حقا — من نقضي عهد كريم
فصار ذكري ذميما — يعزى الى كل لوم
وصرت أقبح شيء — في صورة المخزومي

أو قول صفية بنت عبدالله في ردها على من عابت خطها[٣] :

وعائبة خطي فقلت لها إقصري — فسوف أريك الدر في نظم أسطري
وناديت كفي كي تجود بخطها — و قربت أقلامي ورقي ومحبري
فخطت بأبيات ثلاث نظمتها — ليبدو لها خطي وقلت لها انظري

والى غير ذلك من الأبيات التي اتسمت بالتقريرية وانحسر فيها الخيال. وليس معنى هذا أن شعرهن قد خلا من الصور الفنية، بل ان في بعضه صورا جمالية رائعة كشعر أم العلاء في

---

[١] - انظر المرأة في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف للدكتورة سلمى علي، ص٣٤٠ . بتصرف .

[٢]- انظر الموسوعة الشعرية ،نزهة الجلسا للسيوطي، ص ٦١/٧٤ .

[٣]- انظر الموسوعة الشعرية ، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس لابن بشكوال، ١٢٩٣/١٢٩٩.

الاعتذار، جعل النقاد القدامى يشهدون لهن بالتقدم والإبداع.[1] " فأول ما يطالعنا أننا نحسن بالقرب منه، ولكننا نلمح عمقاً وراء البعد "[2] قد يكون القرب من النفس بسبب صدق التجربة وحرارة الإحساس ونجاحها في التعبير عنها تعبيراً موفقاً (وكأنها أصابها الحدث)[3] ، وكانت تجاربها كما قيل (لقاحا للخواطر)[4] . وقد عكست واقع حياتها ممتزجا برغباتها وآمالها ومعتقداتها[5]. وقد جاء شعرهن متضمنا ما هو إنساني بحت أكثر من فرديتهن.... وتمثل بالضميرين (أنت وهو) اللذين وردا فيه أكثر من الضمير (أنا) ، الذي يدل على الآنية والفردية والذاتية[6] .

[1]- انظر شعر أم العلاء في الاعتذار في الصفحات السابقة.

[2]- انظر د. علي جواد الطاهر ، مقدمة في النقد الأدبي ، ص ٤٥٩. طـ ٢ لسنة ١٩٨٣.

[3]- انظر ارشيا مكليش ، الشعر والتجربة ، ص ٢٣ ترجمة سلمى الخضراء مراجعة توفيق صايغ.

[4]- انظر ابن سعيد ، اختصار القدح المعلي في التاريخ المحلى ، ط٢، ص ٥٧ تح إبراهيم الابياري ، بيروت ، ١٩٨٠ ٥٧ .

[5]- كتاب أرسطو طاليس في الشعر ، ص ٣ . نقل أبو بشر متى بن ونس من السرياني إلى العربي. تحقيق د. شكري محمد عباد. دار الكتاب ١٩٦٧.

[6] - انظر المرأة في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف للدكتورة سلمى علي، ص٣٤١. بتصرف.

المطلب الأول
ميزات شعر المرأة

أهم ما يميز شعر المرأة أنها لم تتقيد باتجاه فني خاص، حيث أنها احترمت كل الاتجاهات فكونت لشخصيتها ولشاعريتها صورة متكاملة... وإن سارت في الاتجاه المحافظ القديم في التعبير الذي تمثل في الغزل والهجاء والفخر والشكوى والاعتذار[1] ، وهذا ما كان واضحا في أغراضها الشعرية .

ويتمثل الاتجاه المحدث في انتشار المجون، والمجاهرة بالمعاصي، والاستخفاف بالأخلاق، والإسفاف في ذكر السوآت والعورات، خصوصا في الهجاء معتقدة بأن الشعر يصنع من الكلمات وليس من الأفكار، فوصفت الأعضاء البدنية ولم تكشف عن الروح الشخصية بالملاحظة والتسجيل، وإن صورت المهجو أحيانا تصويرا " هزليا يدعو إلى الزراية للضحك منه "[2]، وهي في هجائها وجدت تشجيعا من مجتمعها فاستساغه لها وتمادت فيه ...... فقد قيل (لكل زمان ما يليق به من البيان) [3]. وكثيرا ما سايرت وحاكت فيه الرجال، ووصفت ساعات اللقاء والخلوات وتغزلت بالحبيب غزلا مكشوفا[4] ، فاتسم شعرها بالجرأة والصراحة . ومثل شعر الرسائل الاتجاه المحدث عند بثينة بنت المعتمد، ذلك الشعر الذي بعثت به إلى ذويها من الأسر.

وأما فيما يتعلق بالاتجاه الشعبي الذي تمثل في صنع الموشحات، " فقد اتجهت إليه كبار الشواعر أمثال أم الكرم وقسمونة ونزهون، وبه تميزت الشاعرة الأندلسية عن المشرقية.. وأثبتت قدرة في رسم الصور الغنائية البارعة في التعبير عن تجارب القلق ، والإحساس بقسوة الأيام ، والسخرية من الناس وهجوهم ، واستشعار لوعة الفراق وألم البعد. وتحدثت عن قلقها وسوء حالها وضياعها في وحدتها "[5]، ورددت في شعرها أسماء لكثير من الأشخاص والملوك

[1]- انظر أحمد هيكل ، الشعر الاندلسي ، ص ٢١٦.

[2]- انظر نجيب العقيقي ، من الأدب المقارن ،القاهرة، دار المعارف ، ١٩٤٨م ، ص ١٣٧ .

[3]- نور الدين بن سعيد، عنوان المرقصات والمطربات ، ط٢ ، القاهرة، ١٩٧٣م ، ص ٣ .

[4]- انظر سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي، ص٣٤٢.

[5]- نفس المرجع ، ص٣٤٢.

والوزراء كـــ (أبي بكر وصبح والمهند وابن زيدون وولادة والمخزومي والاصبحي) .كــل هذا يدل على سعة إطلاعها على أحوال الناس ومعرفتها بهـم واختلاطهــا معهــم. وســماعها لأحاديثهم وأخبارهم... مزجت كل ذلك بتجربتها فكانت أشبه(بمن تتعظ بالتجربة، وتقبس موارد أمورها) [1] لتذييبها في بوتقة أفكارها التقدمية معبرة عن الخيانة والغدر، والحب والمقت والقضاء والقدر والوحدة والحرمان و الألم.

ومثلت في شعرها الاتجاه العربي ووجهة النظر العربية وان كانت الإشارات قليلة تمثلت في قصيدة الغسانية البجانية في مدح خيران العامري[2]، وكانت المرأة قصيرة النفس، ميزة القبس (ملأت العين بهجة والأنف نفحة)[3] ، وأبدعت وأحسنت وبدت فأعجبت وشدت وأطربت ، ونرى غلبة المقطعات التي تهبط أحيانا إلى نصف بيت كـــــ (عجز البيت الــذي أجازتــه اعتمــاد الرميكية للمعتمد بن عباد) حين قال :

صنع الريح من الماء زرد.

فأجازته :

أي درع لقتال لو جمد.

وتلك صفة ملازمة لجميع أغراضهن الشعرية، حتى في شعر الرسائل الذي كـان مـن المفروض أن يتسم بالطول، لكننا وجدنا بثينة تقدم (تقريرا ملخصا لمشاعرها وأحاسيسها دون أن تلتفت لما قد يكون متوقعا من رغبات ذويها)، وهي زعيمتهن في طول قصــائدها. وتطرقــت شواعر الأندلس إلى الشعر القصصي فظهرت بوادره في القرنين الثالث والرابع الهجريين [4].

واتخذت صيغةالقصص في عصر الطوائف. فاستخدمت المرأة الشعر في الرسائل بدلا من النثر. ويعد هذا نوعا من التجديد والابتكار في الشعر النسوي قلما نجده عند النسوة من أمثالهن

---

[1]- ابن الآبار ،أعتاب الكتب ، تح د. صالح الأشتر ،ط١، ١٩٦١م ، ص١٠٦.
[2]- انظر سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي، ص٣٤٤.
[3]- انظر ابن سعيد،اختصار القدح المعلي ،ص٣ .
[4]- آنخل جنثالث بالنثينا،تاريخ الفكر الاندلسي، ص ٦٠٣. وانظر سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي، ص٣٤٣.

في العصور الأدبية السابقة. فظهور (النزعة القصصية)[1]، في شعرهن الذي مثلتـه الشـاعرة بثينة بنت المعتمدة بن عباد جاء مصداقا لما نقله لنا غرسيه من أراء القدماء (لعل بضعة أبيات من الشعر أدل على روح قوم من صفحات طوال من التاريخ)[2] .

ويذكر الدكتور عز الدين إسماعيل (أن التعبير القصصي أقدم أنواع التعبير الفني التي لجأ إليها الإنسان منذ البداية وليس الشعر)[3]. فالرسالة الشعرية التي بعثتها بثينة إلى ذويهـا تمثـل الشعر القصصي أصدق تمثيل، وتعبر عن أصالة هذا الفن عند شواعر الطوائف فقد روت لنا ما تريد الشاعرة بأسلوب فني قصصي شعري حيث قالت[4]: –

اسمع كلامـي واستمع لمقـــالتي	فهي السلوك بدت مـن الاجيــــاد[5]
لا تنكروا أني سبيت وأننـــــي	بـنت لملك من بنـي عبــــــاد
مـلك عظيم قد تولى عـصــــره	وكـذا الزمان يـؤول للإفســــاد[6]
لما أراد الله فرقـــــة شـملنـــا	وأذاقنا طعــم الأسى مـــن زاد[7]
قام النفاق على أبي في ملكـــه	فـدنا الفراق ولم يـكن بمـــراد
فخرجت هاربة فحازني أمــــرؤ	لم يـأت فـي إعـجاله بـســـداد[8]
إذ باعني بيع العبيد فضمـــــني	من صـانني إلا مـن الأنـكــــاد[9]
وأرادني لزواج نجل طاهـــــــر	حسن الخلائق من بـني الأنـجاد[10]
ومضى إليك يسوم رأيك في الرضا	ولأنت تنظـــر في طـريق رشـــاد[11]
فـعساك يـا أبـتي تعرفني بــــــه	إن كـان مـمن يـرتجى لــــوداد

---

[1]- حنا آنخل جنثالث بالنثينا فاخوري ، تاريخ الادب العربي ، ص ٨٠٠.

[2]- انظر الشعر الاندلسي لغرسيه غومس ، ص ١٢٢.

[3]- انظر الدكتور عز الدين أسماعيل ، التفسير النفسي الادب ، ص ٢٠٧ دار المعارف لسنة ١٩٦٣م.

[4]- انظر نفح الطيب ، جـ٦ ، ص ٢٠ .و الدر المنثور، ص ٨٩-٩٠ .و مختارات من الشعر الاندلسي ، ص ١٠٤-١٠٥ .و أعلام النساء ، ص ١١٨-١١٩ . وانظر سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي، ص٣٤٤.

[5]- السلك ، الخيط (تنظم فيه حبات الؤلؤ وغيرها) . الجيد : أعلى الصدر . العنق .

[6]- آل يؤول : يرجع . يعود .

[7]- جعل الله الاسى (الحزن) زادا (طعاما) لنا (أذلنا) .

[8]- السداد : الصواب .

[9]- الأنكاد: قلة الخير (الحاجة إلى أسباب الحياة) الفقر .

[10]- النجل : الولد (ولد الرجل) . النجد ، (لابفتح فكسر أو بفتح فضم) الرجل ذو العزيمة .

[11]- سام . طلب تنظر في الطريق رشادي (تريد لي الخير) .

وعسى رميكية الملوك بفضلها   تــدعو لنا باليمن والإســـــــعاد

وقدعلل بعضهم قصر النفس عند النسوة عموما بأنهن (ملولات لا يصبرن على قرض الشعر مدة طويلة، والقصيدة الطويلة تحتاج إلى جهد وجد وعزيمة)[1]... ، ونرى تأثير التقــدم الحضاري والتطور والازدهار يتطلب مسابقة الزمن لذا كانت لا تجد وقتــا للتعمــق والتفكيــر الطويل. فغلب الارتجال على شعرها وكثرت المقطعات فيه.

إضافة إلى انه ليس من السهل تقدير التزامن بالفكرة الواحدة أثناء تعبيرهن ولكن يلمس القارىء في أبياتهن استقلالية أو طغيان الوحدة المعنوية، وقد يعود ذلك لظروف ألمــت بهــن، ولمتطلبات مجالسهن وطبيعة مجتمعهن حيث امتازت مطولاتهن بوحدة الموضوع. فلــم تجمــع الشاعرة بين أغراض مختلفة من مدح وفخر وغزل.

أما الغسانية فقد جمعت بين الغزل والمدح ولكن لم يصل إلينا مدحها فعليه من الصــعوبة بمكان الحكم عليها. بينما أكدت نزهون في موشحتها الوحدة الموضوعية فقد جــاءت مســتقلة الغرض. ولم تبلغ المرأة الأندلسية المكانة الفنية التي تبوأها الشعراء فــي نظمهــم للمطــولات وتعديدهم للأغراض باستثناء الغسانية. كما أتسم شعرهن بالوضوح والإبانة لأنهن ابتعدن عــن التعقيد لكونهن متمكنات مطبوعات فالتعقيد كما قيل (أول العي)[2] ، ولأنهن ابتعدن عن الفلسفة والجدل والمنطق ، وأن شعرهن صدر عن مران ودراسة ، خاصة بعد معرفة أحوالهن وبيئتهن وعصرهن ، فقد جبلن على محبة الشعر وفطرن على قوله . وإن خلت بعض أشعارهن من القيم والضوابط [3].

فالشاعر يعظم في نفسه لا محالة، ويسخف ويظهر العجب وتلك "عادة قد جبلوا عليهــا"[4]. ولكننا لمسنا في شعرهن (التلقائية و الأصــالة)[5]، والتمســك بــالروح العربيــة.لقــد أدخــل

---

[1]- انظر الحوفي ، المرأة في الشعر الجاهلي ، القاهرة ،١٩٦٣م، ص ٦٦٨ . وانظر سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي، ص٣٤٦.

[2]- انظر العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق القيرواني، ،، ج ١، ص ٢١٩.

[3]- أريك جي بولتون ، الشعر في المدارس ، ترجمة ياسين طهن بغدادن وزارة الثقافة، ١٩٧٨م، ص ٤ .

[4]- انظر نفح الطيب ، ج ١ ،ص ٢٠٧ . وانظر عبد العزبز عتيق ، الأدب العربي في الاندلس ، ص ١٤٨ .

[5]- انظر الشعر في المدارس ، مرجع سابق، ص ٦ .

كراتشكوفسكي (الشعر العربي في الأندلس في نطاق الثقافة والأدب العالمي)[1] ، ولما كان الشعر النسوي يشكل مساحة واسعة من الشعر الأندلسي . يمكن والحالة هذه جعل شعر المرأة في تلك الحقبة ضمن الشعر العالمي في تقدمه ورقيه وابتكاره وتجديده.

المطلب الثاني
التراكيب والمفردات

اتسم شعر نساء الأندلس بالعفوية والبعد عن التصنع والتكلف فلم تحمل الشاعرة الأندلسية الألفاظ ما لا تطيق من معان. فتميز عصرهن بسرعة البديهة في قول الشعر والرد على الآخرين فقد اعتبرت المرأة الشعر وسيلة من وسائل التعبير عما ملأ نفسها من عاطفة وما جاش به صدرها من نوازع[2] ، ونجدها كذلك قد عبرت عن(الأمور المستقبحة بالعبارات الصريحة)[3] .

واستعملت المرأة في هجائها (الركاكة والسفسفة بألفاظ العامة ومعانيهم) [4]، وأفحشت في هجائها وجاءت بما نفر عنه الطبع السليم (واستنقصه العقل المستقيم)[5] ... وجدناها كلما ابتعدت عن زمان الفتح، غرقت في الإسفاف وابتعدت عن الحشمة والعروبة[6] ... ولكن من الموضوعية أن يقيم شعر المرأة من حيث (هي) لا من حيث مدى أخلاق ناظمته، فقد يصدر الشعر في لحظات وأوقات انفعال غير هذه التي تسير فيها حياة الشاعرة في أغلب الأوقات[7] .

---

[1]- اغناطيس كراتشكوفسكي، ترجمة د/ منير مرسي، الشعر العربي في الاندلس ، القاهرة، عالم الكتب،١٩٧١م، ص ٩ . وانظر سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي، ص٣٤٧.

[2]- شكري فيصل ، مناهج الدراسة الأدبية عند العرب ، ص ١٠٩ .

[3]- الغزالي ، إحياء علوم الدين ، دمشق ، مكتبة عبد الوكيل الدروبي ، ج ٣ ، ص ١٠٥ .

[4]- انظر يتمة الدهر ، ،، ج١ ، ص ١٧٦ . وانظر سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي، ص٣٤٨.

[5]- علي بن محمد الشريف الجرجاني ، التعريفات ، لبنان، ١٩٦٩م ، ص ١٧١ .

[6]- انظر الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، مرجع سابق، ص ١٦.

[7]- أحمد بدوي ، أسس النقد الأدبي عند العرب ، ط١ ، القاهرة ، مكتبة نهضة مصرن ١٩٨٥م ،ص ٣٠٠.

وهذا ينطبق على الشاعرة التي ارتجلت الشعر في المجالس فجاء متأثرا بانفعالها متسقا مع ظروفها. ولم يستطع الرواة حصر زمن هجاء ولادة لابن زيدون، ولا أحد يعرف ما إذا كان قد قيل في منتدياتها. أو بعد اتهامها لابن زيدون. وعلى أية حال (فبالقدر الذي تأتي فيه ألفاظ الشاعرة متناسقة متآلفة متعاطفة بعضها ببعض، بدون تفكك أو تكلف نحكم على شاعريتها بالأصالة والموهبة والصدق)[1] ، ولنقف على طريقة استخدامهن للمحسنات البلاغية ، في إضفاء رونق لفظي على أسلوبهن . منه ما نلاحظه عند ولادة ويبدو مجيئة عفويا محض خاطرها :

يا أخا البدر سناء وسنـــا   حفظ الله زمانا أطلعك
إن يطل بعدك ليلي فلكم   بت أشكو قصر الليل معك[2]

فهنا جانست الشاعرة بين **السناء** و **السنا** جناسا ناقصا،ثم طابقت بين **طال** و **قصر** في الشطر الثاني، وبين **بعدك** و **معك** في الشطر نفسه. فهذا الفن البلاغي الذي استخدمته ولادة في معانيها هو **التضاد** حيث (جمعت بين معنيين متضادين متقابلين في البيت الواحد)[3] ، والذي يسميه البلاغيون الطباق نجده قد كان في أسلوب الجواري أيضا ، تقول العبادية :-

لئن دام هذا وهذا له   سيهلك وجدا ولايشعر

فقد جمعت بين **دام** و **هلك**........ومن الشواعر اللواتي جمعن بين الأضداد وزين أساليبهن بالمحسنات أم العلاء ومنه قولها:- مطابقة بين **الليل** و**الصباح**، و**يبيت** و**يضحى**:

يا صبح لاتبد إلى جنـــحي   فالليل لايبقي مع الصبـــح[4]
فلا تكن أجهل من في الورى   يبيت في الجهل كما يضحي

ومن مقابلات بثينة البارعة قولها :-

---

[1]- محمد مجيد السعيد ، الشعر في عهد المرابطين والموحدين ، بغداد، وزارة الثقافة، دار الرشيد،١٩٨٠م ، ص ٣٣٧ .

[2] - انظر سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي، ص٣٤٢.

[3]- جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني،التلخيص في علوم البلاغة ، ١٩٣٢م، ص ٣٤٨.

[4]- انظر سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي، ص٣٤٨.

وإذا ما اجتمع الدين لنا   فحقير ما من الدنيا افترق[1]

وقد يكون هناك غرابة في جمعهن الأضداد في البيت الواحد، ولكن يمكن جعل هذه السمة ظاهرة ملازمة لأشعارهن. وهذا ليس بغريب فحياتهن جمعت بين كثير من المتناقضات من حب جامع، ووله، ومواعيد، ولقاء، ثم صدود وهجران. مدح وإطراء مع هجاء وسخرية، مرح وفخر وكبرياء مع شكوى ومرارة وحزن وحرمان، قد يكون ذلك لطبيعة الحياة التي عاصرتها، والمجتمع الذي جبلت عليه خلق من طموحها معان خفيفة متناقضة الظواهر.

إن تقلب الظروف السياسية والاجتماعية خلق منهن نسوة اتصفن بالغموض والحذر (تجاه الموجودات وعدم الأمان بها أو الاطمئنان لها) [2]، وربما كان سببا من أسباب لجوء المرأة إلى هذا النوع من الفن البلاغي وتمسكها به للتعبير عن مكنونات نفسها ..ومثله كثير في شعرهن. ومن الأساليب البلاغية التي اتبعتها الشاعرة في نظمها (مراعاة النظير) [3]. فاكتسبت لغتها الوضوح وتراكيبها الإبانة والبعد عن الغموض والتوعر. كقول بثينة في الكلف والعشق :-

وقديما كلف الملك بنا   ورأى منا شموسا فعشق[4]

ومثله مراعاة ولادة للنظير بين معنى **ذي العرش** التي تعطى معنى **رب المنن** في قولها:-

يا أصبحي أهنا فكم نعمة   جاءتك من ذي العرش رب المنن[5]

ومن الأساليب البلاغية الأخرى **الافتنان** فلقد جمعت ولادة بين فنين مختلفين من فنون الكلام في بيت واحد، هذا ما سماه البلاغيون **الافتنان** [1]. فقد جمعت ولادة بين المدح والسخرية في هجائها لابن زيدون حين قالت بعد أن أشارت إلى بركة كانت قد تجمعت فيها مياه الأمطار:

---

[1]- نفس المرجع ، ص٢٤٩

[2]- انظر أطروحة حميدة صالح للماجستير، أدب الزهد في الأندلس عصر الطوائف والمرابطين، ص ١١٠.

[3]- ويسمى التناسب والائتلاف والتوفيق والمؤاخاة وهو أن يجمع الناظم امرا وما يناسبه لابتضاد ، لتخرج المطابقة سواء كانت المناسبة لفظا لمعنى أو لفظا للفظ أو معنى لمعنى .انظر الدكتور احمد مطلوب، فنون بلاغية، ص ٢٧٩ . ط ـ .دار البحوث العلمية –١٩٧٥م.

[4] - انظر الموسوعة الشعرية ، المعتمد بن عباد . والحلة السيراء لابن الآبار ، ص٥٦١ .

[5]- انظر ديوان ابن زيدون ، ص ٣٤ . ونفح الطيب ، ج ٥ ، ص ٣٣٧. وانظر سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي، ص٣٥١.

أنت الخصيب وهذه مصر فتدفقا فكلاكما بحر[2]

ومثله ما جاء في بيتي مهجة عندما أهدى إليها خوخ.فقد جمعت بين المـــدح والوصـــف والهجاء.[3] ويرى المستشرق الألماني فيلهم هوينرباخ أن ولادة فنانة في الكلمة تميل إلى نوع من الحرية في العادات لثقافتها وجرأتها [4].

المطلب الثالث

الدلالات اللفظية

اللفظة لا تكون كلمة منعزلة في مدلولها، فالألفاظ التي نختزنها في أذهاننا لها مشـــاركة فعالة في حياتنا الفكرية والعاطفية[5] . ومن خلال أشعارهن نجد أن هناك كثيـــرا مـــن الألفـــاظ والمفردات قد عبرت تعبيرا صادقا عن واقع حياتهن إضافة إلى وضوحها وسهولتها وراحتها فقد جاءت سهلة صريحة ممزوجة مع الصرامة والقوة أحيانا معبرة عن تطور المرأة وبيان مكانتها. وبدت الألفاظ في مظاهرها المختلفة معبرة عن (تأثير العادات والتقاليد العربية والدين الإسلامي موسومة بسمات المجتمع الأندلسي)[6]. و(دلت على ذاتها ومعاناتها وأحاسيسها)[7] . فالأدب (كفن جميل يتميز بمادة التعبير التي هي ألفاظ اللغة)[8] .

ولقد نقلت لنا ذلك التعبير بدقة وقوة وتاثير[1]، فكان لها أسلوب جميل . وكنا نتوقع ألوانا من التعقيد في صنع نماذجها الفنية لما أصاب الناس من التطور والترف العقلي والحضـــاري[2] .

---

[1]- على صدر الدين معصوم المدني ، أنوار الربيع في ألوان البديع، تح شاكر هادي،ط١، بغداد ، مطبعة النعمان، ١٩٦٨م، ج ١، ص ٣٢٠.

[2]- انظر ديوان ابن زيدون ، ص ٣٢.

[3]- انظر نزهة الجلساء ، ،، ص ٩٣ . نفح الطيب ،،، ج٦ ، ص ٢٩ .

[4] - فيلهم هوينرباخ ، مجلة الأندلس، ص ٤٧١- مجلد ١٩٧١ ، مقال حول شخصية ولادة .

[5]- مراد كامل ،دلالة الألفاظ العربية وتطورها ، القاهرة،- نهضة مصر، ١٩٦٣ م، ص ٥ .

[6]- انظر الشعر في غرناطة في عهد دولة بني الأحمر ، رسالة ماجستير في اللغة العربية، جامعة بغداد، ص ٢٨ . ١٩٨٣.

[7]- انظر شكري فيصل ، تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، دمشق، مطبعة جامعة دمشق١٩٥٩م ، ص ٧.

[8]- انظر الفن والأدب بحث عن الجماليات والأنواع الأدبية ، ص ٨٧ .

إلا أننا لم نلمس مثل ذلك في أشعارهن، فطباقهن وجناسهن لا عناء فيه ولا تعقيد فهو خال من العقد اللفظية التي إن دلت على شيء فإنما تدل على ثقافة ناضجة بعيدة عن الغرابة قريبة من الألفة والرقة والطرافة. ومن المفردات التي دلت على الثقافة الدينية وإلمام الشواعر بالآيات القرآنية. تضمين أشعارهن لبعض الألفاظ القرآنية كقول نزهون :-

قلب القلب على جمر الغضا فهو في شأن[٣]

فهنا نجد إشارة إلى الآية الكريمة: "يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن "[٤] . وغيرها من المفردات القرآنية كـ(آية أخرى) و(يبتغي الأجرا). ولا يخفى أن تضمين (الطير الأبابيل) التي وردت لولادة في هجائها لابن زيدون مأخوذة من قوله تعالى "وأرسل عليهم طيرا أبابيل "[٥]. ولا نجد داعيا لهذا التضمين لأنها استغلت قدسية الألفاظ في جمعها مع الألفاظ السمجة وغيرها كثير[٦]، مما يؤكد مدى تأثرهن بالقرآن واستعانتهن به شكلا ومضمونا .

لقد خلت أشعارهن من التصوف والزهد ولكن استرفدت ألفاظا من الدين والقرآن، وقد يعود هذا التعصب إلى أسلوب التعليم الذي اتبعوه للمبتدئين[٧]، والعقيدة النابعة من الإسلام التي دلت على ثقافة دينية واسعة .. فقد كررت المرأة الأندلسية في شعرها ألفاظا شرعية كألفاظ: (الحق، أهل الحق السبيل، التلاوة، النعمة، التيه، الموت، الصدق، الدين، مكة، حرام، الإسلام، الدنيا، رب العرش، رب المنن)..الخ . هذا وقد أظهرت المرأة ثباتا وصمودا وإيمانا بالخالق أمام تقلب الأحوال من المسرات إلى الأحزان، فلا يكون إلا الشكر والنعمة والابتهال لله الذي ترجع إليه مقادير الأمور ومنه قول بثينة:-

من بعد سبع كأحلام تمر وما ترقى إلى الله تهليل وتكبير[٨]

---

[١]- محمد عبد المنعم خفاجة ، الحياة الأدبية في عصر بني أمية ، ص ١٦٨ دار الكاتب اللبناني ، ط ١٩٧٣.

[٢]- شوقي ضيف، الفن مذاهبه في الشعر العربي ،ط٦ ، القاهرة، دار المعارف، ص ٧٧.

[٣]- انظر سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي، ص٣٥٣.

[٤]- سورة الرحمن ، الأية :٢٩.

[٥]- سورة الفيل ، الأية: ٣.

[٦]- انظر سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي، ص٣٥٣.

[٧]- انظر البير حبيب مطلق، الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية عصر الطوائف، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٦٧م، ص ٤٣.

[٨]- انظر الموسوعة الشعرية ، الحلة السيراء للسيوطي، ص٥٦٠ .

يحل سوء بقـوم لا مرد لــــــــه   وما ترد من الله الـمقاديـــــــر

ومنه مسترفد من القصة القرآنية فنجد مهجة قد استغلت قصة مريم العذراء عليها السلام في هجاء ولادة قائلة :-

حكت لنا مريم لكنه   نخلة هذي ....[1]

وهذا مقتبس من قوله تعالى في سورة مريم (فاجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا)، واستعانت الشاعرة بمخزونـــات ثقافتهـــا مـــن المعـــاني المتضمنة لأمثال العرب وحكمتهم وأقوالهم... ونكتفي بذكر مثال لذلك جاء في بيت أنس القلوب حين قالت معتذرة:-

والعفو أحسن شيء   يـكون عند اقتدار[2]

فقد ضمنته حكمة (العفو عند المقدرة). وهي مشهورة عند العرب تدل على اطلاعها على ثقافتهم وأحوالهم. ودلت بعض ألفاظ الهجاء على تفشي صفات ونعوت نهـــى الإســـلام عنهـــا (كالغيبة والنميمة، ونقض العهد، والتنابز بالألقاب)، ومنه قول ولادة :-

إن ابن زيـدون على جهله   يـغتابني ظلما ولاذنب لي[3]

ومثله قول نزهون :-

خلقت أعمى ولكن   تهيم في كل أعور[4]

[1]- انظر مهجة بنت التياني القرطبية ، الموسوعة الشعرية ، ص٢٠١ . ونزهة الجلساء في أشعار النساء للسيوطي ، ص ٥٧.

[2]- انظر الموسوعة الشعرية ، نفح الطيب للتلمساني ، ص٩٥٢.

[3]- انظر الموسوعة الشعرية . ولادة بنت المستكفي وفي الموسوعة " ان ابن زيدون على فضله " وليس على جهله . ص١٩٨٨٠.

[4]- انظر الموسوعة الشعرية ، لسان الدين بن الخطيب ، الاحاطة في أخبار غرناطة، ص ٥٥٨. واستعارت الشاعرة هنا كلمة أعور للتافه من الرجال والمنحط منهم . ونفح الطيب ، ص١٢٠.

كما دلت بعضها على تفشي أمراض خطرة في المجتمـع الأندلسـي. كالشـذوذ[1]. والسـرقة، والشقاوات، والسفه والحمق...الخ. أما الدلالات العسكرية فقد تغلغلت، فـي أشـعارهن وكثـر ترديدها وذلك للمواقف التاريخية التي شهدتها الأندلس واضطراب أحوال البلاد.

وأكثرت بثينة منها في رسالتها الشعرية و في شكواها وفخرهـا.فلفظـة (الجيـوش، الأسير، المكبل، المسدس .[2] القواضب، البيض، الخطب)...الخ من الألفاظ التـي تـدل علـى الوضع السياسي والعسكري وخصوصية المجتمع الأندلسي. منه قول بثينة التي قد تكون منزلتها في تراكيبها اللفظية امتدادا لأبيها الذي سجل له التاريخ مثالا حيا في الشعر الأندلسي كقولها:

وفر من حوله تلك الجيوش كما   تفر إن عاينت صقرا عصافير[3]

وعلى الرغم من تردد الكثير من الألفاظ ذات المدلول السياسي والعسكري في أشعارها إلا أنها تعد من أتباع مدرسة الشعر النسوي التي اعتمدت الجرس الرقيق في بيان الألفاظ ووضوح المفردات، ولو أخذنا شعر مريم، لوجدناه بمستوى متميز في الشعر، متيـن اللغـة، قـوي التركيب، نقيا بعيدا عن التكلف، كما نجدها ملتزمة في ألفاظها لم يصدر عنها إلا كل لفظ جيـد كريم [4].

وأما شعر نزهون فيغلب عليه طابعين، طابع غريب الألفاظ متكلف، والآخر ترسله على سجيتها في غاية الرقة والوضوح. وإذا قارنا طابع شعر أنس القلوب بشعر الغسانية البجانية فهو دون المستوى اللفظي، فإن ما مثلته الغسانية فيه قوة الألفاظ.. نقف أمام ألفاظ أنس القلوب فإنها تتميز بالوضوح والسهولة كـ (**عذار، نار، اعتذار، جار، أوطار**)، فشـعرها واضـح يفهمـه السامع دون جهد.

أما الحالة النفسية التي تملكت ألفاظ ولادة حين تغزلت بابن زيدون كانت غير الحالة النفسية التي تملكتها حين هجته فاتسمت ألفاظها بالقوة والصرامة والفحش والابتعاد عن الرزانة والحياء.

---

[1]- المصدر نفسه.وانظر سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي، ص٥٥٨.

[2]- المسدس: نعت أطلقته ولادة على ابن زيدون، ديوان ابن زيدون، ص ٣٣.

[3]- انظر الموسوعة الشعرية ، الحلة السيراء لابن الآبار ،ص٥٥٩ .

[4] - انظر سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي، ص٣٥٥.

على حين نجدها عند الفرح سـريعة متلهفة، فجاءت ألفاظها متسمة بالرقـة واللطافـة واللـين والعذوبة ، لذا فإنها اختارت لشعرها الألفاظ المناسبة الرقيقة[1] . وهناك ألفاظ تدل على تطـور الحياة الحضارية، جاءت واضحة في تشبيهاتهن وقد مثلت طبعهن الأنثوي في محبتهن للحلـي والزينة. منها لفظة : **خلخال، سوار، عقد، لؤلؤ ..**

وأما من حيث **الرقة والبساطة** :فقد اختارت شاعرة الأندلس من الألفـاظ مـا يناسـب العواطف من الناحية الفنية وبما توحيه من معان، بحيـث صـاغتها فـي بسـاطة، وأحسـنت واستهدفت فكونت لها منهجا مختارا يحسه السامع ويلمس رقته، في كونها ابتعدت في أسـلوبها عن الإيجاز المخل والتطويل الممل ولم نجد عندهن سخيف معنى وإن عثرنا على بعض الألفاظ التي التجأت إليها الشاعرة قد سخفت معناها كألفاظ نزهون في استعمالها للقاذورات وولادة فـي استعمالها للعورات .. إلا أن الأندلسية تميزت باختيارها ما يناسبها من الألفاظ لتكسـب الفـن الشعري لونا يجليه ويوضح معانيه[2] .

فألفاظ الغزل والمدح والشكوى فيها من الخفة ودلالة المعاني ما أكسبها الوضوح التام ومنه على سبيل المثال لفظة **أنـيـق** . أحسنت الغسانية في اختيارها، فهي لفظة بسيطة متداولـة لا تحتاج للرجوع إلى المعاجم لفهمها حين سماعها كقولها:

عهدتهم والعيش في ظل وصلهم   أنيق وروض الدهر أزهر ريان[3]

ومن مظاهر البساطة والرقة (التلاؤم والانسجام) بين المفردات والمعاني.. فقد أحسنت في ملاءمتها بين اللفظة وانسجامها مع التراكيب الأخرى وشاكلت مشاكلة دقيقة ففي قولها:-

وقد كنت أوقات التزاور في الشتا   أبيت على جمر من الشوق محرق[4]

[1] - انظر سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي، ص٣٥٥.

[2]- انظر الأدب الاندلسي موضوعاته وفنونه، ص ٢١٤.

[3]- انظر الموسوعة الشعرية ، الغسانية البجانية ،والمغرب في حلي المغرب لابن سعيد المغربي، ١٠٥٧.وجذوة المقتبس للحميدي ص ٨٣٨.

[4]- انظر الموسوعة الشعرية، نزهة الجلساء في أخبار النساء للسيوطي ،ص٦٧.انظر سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي،ص٥٦ .

كأنها نحتت من ألفاظها نحتا لتعبر عن شدة اشتياقها فنحس بقوة وعنف حبها من خلال الصورة المتناسقة المنسجمة الألفاظ، فاختيارها للفظة **الشتاء** ، وما توحيه من البرودة القارصة والليل الطويل انسجمت بما أوحته من توهج وتوقد الحرارة مع لفظة **محرق**.

والأمثال على هذا كثيرة فهي تدلل على رفعة ذوق الشاعرة فقد تحققت عندها "البلاغة في الألفاظ لا في المعاني ". وأحسنت الشاعرة في اختيارها الألفاظ معبرة عن همـوم حياتها ومجتمعها بحيث خدمت أغراضها، ومنه استخدام قسمونة للفظ **فوا أسفا** التي تدل على التوجع والندبة أعطت معنى ظاهرا لشدة اللوعة والحزن وانسجمت مع الضياع والوحدة، حين قالت:-

فوا أسفا يمضي الشباب مضيعا ويبقى الذي ما إن أسميه مفردا[1]

وفي توظيف مفرداتهن وانسجامها مع المعنى قد يعاب على نزهون استعمالها للفظة **أنوك**. فقد أدت إلى وقفة طويلة في البيت، ولو استخدمت لفظة أحمق لانسجمت مع لفظة **سفينة**. وتكرارها للفظة **يروم**، ولفظة **فقير** أدى إلى ضياع المعنى وقلة الجمل المتراصة في قولها:

عزيزي من عاشق أنوك سفيه الإشارة والمنزع[2]
يروم الوصال بما لو أتى يروم الصفع لم يصفع
برأس فقير إلى كـية ووجه فقير إلى برقع

وقد انتقد ابن زيدون ولادة في قولها (سقى الله أرضا قد غدت لك منزلا)[3] ،فجاء أشبه بالدعاء على المحبوب من الدعاء له .

[1]- انظر الموسوعة الشعرية ، نفح الطيب للمقري ، ص٣٦٠٧.
[2]- انظر تحفة القادم لابن الآبار ، ص٣٤٧ .
[3]- انظر ديوان ابن زيدون ، ص ٧٨٣. ونفح الطيب ، جـ ٥ م٣ ص٣٣٨.

المطلب الرابع

المــعــانـــــي

كانت الشاعرة الأندلسية على قدر كبير من الثقافة مما جعل لديها القدرة علـى اقتباس المعاني والألفاظ والأساليب والتراكيب أكثر من الشواعر اللائي لم يتثقفن هذه الثقافة، وان كان حظ معانيها من الابتكار ضئيلا إلا أن نماذجها الشعرية حفلت بـألوان المعـاني التـي كانـت جذورها عميقة في أدب المرأة العربية قبل عصر الطوائف. وإذا أبيح لها أن تقتبس من آثـار سابقيها فليس يعني أنها تعيش كلا عليهم .[1]ذلك لأن الإفراط في أخذ المعاني يعد عيبا في عرف النقاد العرب.[2]

إلا أن الأندلسية تميزت بشاعريتها المطبوعة وذكائها وسرعة بـديهتها ، وأثبتـت قـدرة ومهارة، أما التقليد والمحاكاة فهو أمر فطري موجود عند الناس منذ الصغر ، حيـث سـارت معهن – أي مع المرأة العربية _ في طريق واحـد متشـابه الأرجـاء والنواحـي[3] ، وسايرتهن في الذوق الأدبي العام لذلك العصر ولكنها برزت في سرد معانيها في وقائع معروفة وألبستها حللا جديدة لذا اكتسبت معانيها جدة وقوة .

ولم تتورع الشاعرة الأندلسية عن وصف مفاتن صاحبها المادية مؤكدة في شعرها الغزلي الانصراف إلى تجربتها الذاتية .. قد يكون لفلسفة ابن حزم الظاهري أثر في ذلك[4].. فقد تضمن شعرهن دروسا قيمة في أحوال المحب والحبيب واللقاء والفراق وغفلة عين الرقيب. كالذي نجده في أبيات نزهون التي جاء فيها :-

لو كنت حاضرنا فيها وقد غفلت   عين الرقيب فلم تنظر إلى أحد[5]

---

[1]- أحمد أحمد بدوي ، أسس النقد الأدبي عند العرب ، القاهرة، مكتبة نهضة مصر،١٩٥٨م ص ٣٥ .

[2]- نفس المصدر ، ص ٣٥١ .وانظر سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي، ص٣٥٨.

[3]- انظر أحمد ضيف ، بلاغة العرب في الأندلس ، جع سابق، ص ١٧٣ .

[4]- ابن حزم ، طوق الحمامة ، تح صلاح الدين القاسمي، تونس، داربو سلامة، ١٩٨٠م، ص ٢٧ .

[5]- انظر الموسوعة الشعرية ، نفح الطيب للمقري ،ص٤٣٧٥ .

وكقول الشاعرة الغسانية:-

وما هو إلا الموت عند رحيلهم   وإلا فعيش تجتني منه أحزان[1]

ومثل هده المعاني كثيرة لا يتسع المجال لذكرها.ومن المعاني التي جسدتها، طلب معالي الأمور. والإيمان بالقضاء والقدر، وتقول أنس القلوب في هذا السياق:-

والله قدر هذا   ولم يكن باقتدار[2]

ولقد أثبتت المرأة صمودها، وإيمانها بالخالق أمام تقلب الأحوال من المسرات إلى الأحزان، وترى بثينة مؤمنة بقضاء الله وقدره في قرارة نفسها حين تقول :

يحل سوء بقوم، لا مرد له   وما ترد من الله المقادير[3]

وفي مدحها أكدت بعض المعاني السامية كالكرم، والفضل، والعطاء والقوة والتخلي عن البخل، والإشادة بالجود، وعراقة الأصل[4]. وأظهرت الإجازات الشعرية في الصفحات السابقة معان جميلة ووشائج معنوية متينة بين الجارية وسيدها، والبنت وأبيها، مجسدة دعم الصلات الأسرية. وصورت بعض أشعارهن صورة المرأة المسلمة المتمسكة بمبادىء الدين الملتزمة بأخلاقياته العربية النابعة من معاني الفكر والعقيدة الإسلامية وقيمها الأصيلة، تقول ولادة:

يحسبن من لين الكلام فواحشا   ويصدهن عن الخنا الإسلام[5]

وقد أعانت طبيعة الأندلس وظروفها على النظم في الشكوى والفخر لذا نجد معانيها وجدانية عميقة تدور حول الحرمان واللوعة والأسف والحيرة فهي شاكية باكية متقطعة ألما

[1]- انظر الموسوعة الشعرية ، الغزل في شعر الغسانية . وانظر جذوة المقتبس للحميدي في الموسوعة الشعرية ، ص٨٣٨

[2] - انظر الموسوعة الشعرية ، شعر انس القلوب . وجاء في الموسوعة الشعرية" والله قدر هذا ولم يكن باختياري

[3] - الموسوعة الشعرية ، الحلة السيراء لابن الآبار، ص٥٦٠. وانظر سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي، ص٣٥٩.

[4]- انظر المديح في الشعر مريم بنت يعقوب في الصفحات السابقة.

[5]- انظر الموسوعة الشعرية ، شعر ولادة ، وهذا البيت مقتبس من قول عروة بن أذينة القرشي: " يحسبن من لين الكلام زوانيا ويصدهن عن الخنا الإسلام . وانظر سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي، ص٣٦٠.

وبؤسا، قادرة على الإثارة والتأثير.كما أكدت معانيها على أن دوام الحال من المحال. وأكثــرت في شعرها التغني بالمآثر والأمجاد وخصت في معانيها العلياء لنفسها وسبغت غيرها بسبغة الذل والهوان، بلغت عنايتها بالمعاني عناية واضحة فزودتنا بمعان عميقة في أبيات قليلة ومزجتهــا بالحقائق المتعلقة بحياتها الخاصة.

وقد استخدمت المرأة المعاني الفاحشة المقذعة التي بدت شائعة الاســتعمال فــي ذلــك العصر، معبرة عن حياة التهتك والابتذال.وقد يكون ذلك بسبب مجالس اللهو وغيرها وما أوجدته من تنافس شديد بينهم في ابتكارها، فالمعاني كلها (معترضة لكل خاطر)[1] وله أن يتكلم منها فيما أحب وآثر[2] ... على الرغم من إطلاقها العنان لكن في تناولها أكــدت اضــطراب المــوازين واختلافها وضياع المقاييس.

فــالنعوت التي أطلقتها ولادة على ابن زيدون أعطت معان جديدة للنقد الاجتماعي. وفــي هجو المرأة للمرأة تأكيد على الحقد والحسد والغيره وطغيــان النفــاق وفقــدان الوفــاء بــين الأصدقاء.... فبدت المرأة أعرف بصوغ تلك المعاني وصقلها. وأكدت في شعرها شيوع بعض العادات التي نهى الإسلام عنها، كالتنابز بالألقاب وهي من العادات الذميمة للمرأة المسلمة .كــ (قول نزهون)[3] :

خلقت أعمى ولـكن　　　　تهيم في كل أعـور

فالشواعر استلهمن المعاني من واقع بيئتهن، فمهجة استغلت معاني اسم (ولادة) في الهجاء لتطعن بها بعد أن لمست ما في اسمها من معاني موحية للطعن بالفتاة العذراء، مستخدمة أسلوبا يدخل الغيظ إلى قلوب العذارى. هذه المعاني قد تكون في ذاتها رديئة ولا قيمة لها[4] أصلا، ولكن تناولتها الشاعرة ، فأضفت عليها التشبيه وألبستها حللا جديدة فأخرجتها بهــذا المعنــى الرائــع كـــــ(قول مهجة القرطبية):-

[1]- انظر الذخيرة، ج ٤ ، ص ٤٦٧ .

[2]- انظر بشرى موسى صالح ، الأسلوب وتطوره من النقد الأدبي عند العرب ، ص ٣٨ رسالة ماجستير غير منشورة ، ١٩٨٣.

[3]- انظر الموسوعة الشعرية ، الاحاطة في أخبار غرناطة ، للسان الدين بن الخطيب ،٥٥٨/٣٩٦٥.

[4]- انظر الأسس الجمالية في النقد الأدبي ، ص ٣٩٩. وانظر سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي، ص٣٦١.

لئن حلات عن ثغرها كل حائم فما زال يحمي عن مطالبه الثغر[1]

فذلك تحميه القواضب والقنـــا وهذا حماه من لواحظها السحـر

فهنا نجد مهجة شبهت ثغر ولادة بحراس الثغور. وربطت بين مبسمها المصبوغ بحمـــرة الشفاه وصورة حراس الثغور الذين يدافعون عن الثغور بما يسطرونه من دم فيصبغ أجســادهم كما صبغت تلك الفتاة المحبوبة شفاهها وجملت أجزاء جسدها..لكنها طردت كل الحائمين حولها. فالثغور يحميها الحراس والجنود بما عندهم من سيوف صقلية ورمـــاح طويلـــة وولادة تحمـــي جسدها بما ترسمه من لواحظ سحرها ونظراتها حيث هي قريبة إلـــى وقـــع الســيوف والقنـــا والرماح[2].

ولعلنا نجد رقة ولطافة في التعبير، يعود على حسن ذوق الشاعرة في إخراجها للمعـــاني القديمة بصياغة وروح جديدة خاصة، تختلف عن معاني الشعر في تناولها للمعاني المحسوســة الدالة على صدق عاطفتها وطبيعة بلادها. قد يكون ذلك سببا في عد النقاد أبياتهـــا مـــن أجـــود الشعر وأطيبه.

وكانت لها قدرة في التعبير عن معانيها باختصار وتركيز[3] . ووفقت قي اختيـــار الألفـــاظ الملائمة للمعاني، ووصلت إلى هدفها بعد أن جعلت علاقة مترابطة بين اللفظ والمعنى[4] . ولقـــد استوحت الشاعرة أكثر معانيها من الطبيعة الغناء التي أوحت إليها بمعاني كأنها لم يسبق إليهـــا أحد.كـــ(عتاب ولادة لابن زيدون)[5] : –

وتركت غصنا مثمرا بجماله وجنحت للغصن الذي لم يثمر

وتعرض براعتها في معاني الصور الطبيعية التي صورتها لتظهر وتبرز قبح الشيب بعد تقدم السن بالإنسان:

---

[1]- انظر الموسوعة الشعرية، المغرب في حلي المغرب، لابن سعيد المغربي،٢٠٢/١٥٣٤ .

[2] - وانظر سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي، ص٣٦١.

[3]- سعد اسماعيل شلبي، دراسات أدبية في الشعر العربي الأندلسي ، ط٣ ،القاهرة، دار النهضة للطباعة والنشر، ص ٨٥.

[4]- انظر ابن طاطبا ، عيار الشعر ، ص ١٤ . وانظر .د.يدوي طبانة ، البيان العربي – دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ، ص ٧٢ .ط٣ ، مكتبة الأنجلو المصرية .

[5]- انظر الموسوعة الشعرية، نفح الطيب للمقري، ٤١٨٠/٨٤٠٢ .

يا صبح لا تبد إلى جنحي فالليل لا يبقي مع الصبح

واتكأت الشاعرة الأندلسية في معانيها على التراث واصطبغت بالصبغة العربية الأصيلة التي لا تعرف المبالغة في معان تتساوق تساوقا فطريا مع طبيعة واقعها الذي أكثر ما يتسم بالصدق والصراحة فانعكس على معانيها التي جاءت جلية واضحة، ولكنها بعيدة عن السطحية والتفاهة، بعيدة عن التعمق والتعميق، قد تكون بسبب طرقها المعاني المعروفة المتداولة مع الإيجاز فجاء جاريا مع الطبع متساوقا مع الفطرة ذلك لأنها لم تحمله المعاني المزدحمة التي مثلت واقع المجتمع الأندلسي في تلك الفترة[1].

وهكذا اشتملت حقائق معانيها التي تميز بها شعرها على رقي درجتها وسمو أفكارها وتلون ثقافتها. فاتسم شعرها بالوحدة المعنوية وأصبحت قائمة بذاتها عند أغلب الشواعر، ولما كانت المعاني العذبة تأتي ارتجالا على لسان الشاعرة فقد كانت عفوية الخاطر متدفقة البديهة. وهكذا جاءت معاني أشعارهن التي اتسمت بطابعها المذكر.ولقد كانت الشاعرة في هجائها معبرة عن حالة جديدة فاقت فيها الرجال في إتباعها أسلوب الإسفاف وترديد بعض الألفاظ التي يتحرج الرجال عن ذكرها[2].

[1] - انظر سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي، ص٣٦٢.

[2] - نفس المرجع .

المطلب الخامس

الخـــيـــال

للخيال الأدبي ارتباط وثيق بالعواطف، فالخيال القوي يحتاج إلى عاطفة قوية تعين عليه، وضعف أحدهما يؤثر في ضعف الآخر، فإذا كانت العواطف مسرفة مبالغة ذهــب الخيــال[1] . (فملكة الخيال غامضة لا يمكن تعريفها إنما يمكن معرفتها بأثرها)[2]..

وكانت المرأة ترتجل الشعر ارتجالا، والذي نظمته دون ارتجال جاءت معانيــة واضـــحة بسيطة، يفهمها السامع دون عناء، لبيانها، هذا طابعهن المميز. لكنهـــا أدركـــت شـــأنها شـــأن الشعراء، بأن (المجاز أبلغ من الحقيقة)[3] ، لذا عمدت بقصد أو بدون قصد ، بفطنتها وإيمانهـــا وتوريتها إلى التحليق في الخيال والإغراق في استعمال المحسنات البديعية كالجناس والطبـــاق والى الصور البيانية كالاستعارة والتشبيه ، مما أحبه الناس وتعارف عليه عصـــرها . ولـــيس الشعر صورا وألفاظا وعبارات فحسب، إنما عواطف وشعور وملكات قادرة يصـــنعها الخيـــال الإبداعي الخلاق، فالشاعرة خلفت (ثروة كبيرة من الأخيلة)[4] ،استمدتها من واقعها الطبيعـــي ، ممثلا بطبيعة الأغراض التي حلقت فيها صور خيالها في الغزل والشكوى ..

ولقد اختلفت مظاهر التشبيهات والخيال عندهن، فقد عقدت مقارنات في خيالها التصويري الإبداعي متمثلا في عشقها الذي فتح لها بابا واسعا في الخيال وفي تجسيد الصـــور. ووصـــفت شواعر الأندلس كذلك المحاسن، والرغبة والميل والقبول وتصوير اللوعة في هجـــر الحبيـــب وتصوير جمال وجهه، وأثبتت جدارة في الوصف وأجادت. ولهـــن كـــذلك خيـــالات مبتكـــرة وعبارات طلية ، وخصوصا في الوصف ، ولكن لم يصل إلينا منه إلا بيتين لأم العلاء واصـــفة بستانها متعجبة بجمالها[5] :-

---

[1]- أحمد أمين ، النقد الأدبي ، ط٤، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م ، ص ٦٣. وانظر سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي، ص٣٦٣.

[2]- نفس المصدر ، ص ٥٤.

[3]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ، تح محمد عبد المنعم خفاجي، القاهرة،١٩٧٧م، ص ٣٢٧.

[4]- أحمد أمين ، ظهر الإسلام ، بيروت ، دار الكتاب العربي ،ج٣، ص ١٥٦-١٥٧.

[5] - انظر سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي، ص٣٦٤.

لله بستاني الـــذي | **يهفو به القصـــب المندا**
فكـأنما كف الريا | **ح قد أسندت بندا فبندا**

فوصفهن جاء مبثوثا بين الأغراض ولم تستقل الشاعرة. إلا أن خيالهن اتسم بسمات منها :

أ- المبالغة :-

بالغت شواعر الأندلس في وصف الجمال الحسي للحبيب لسعة خيالهن، وتفنن بتصويره فهو **بــدر**، وهو **غــزال**، وهو **شمس الضحى**، وهو **أخ البـــــدر**، وهــو **شـــــادن**، وهــو **ريـــــم**، وهو **ربـــرب**[1] ..الخ، هذا ما أوحي الغزل من خيال واسع لهن. وللأندلسيين بـــاع طويل فيه فهم إذا تغزلوا صاغوا من الورد خدودا ومن النرجس عيونا[2] . وقد غلــب الخيــال البديع على شعرهن، وكان من المناسب للمرأة أنها إذا تحدثت عن الهوى يكون حــديثا ســاذجا بعيدا عن المبالغة والخيال وجموحه. لكنهن حلقن في جوه وبدا اثره واضحا فيه، وهذه ظــاهرة غير مألوفة عند الشواعر في المجتمعات الأخرى.

ويظهر تماديهن في إظهار مفاتنهن إلى جانب صفات الحبيب (وهو ما تحــرص عليــه أغلب النساء)..لذا اتسم غزلهن بالجرأة، فنزهون تصور لنا ليلة لقائها بالحبيب مع غفلــة عــين الرقيب أروع تصوير، في تشبيه عجيب وخيال رائع مع الحبيب وخلوتها معه، ومنحهــا مــن الشمس والقمر حركة الإنسان فيه خصوبة خيال وقوة إبداع. ومن الصور التي أبــدعت فيهــا بخيالها الفياض ومبالغتها في الجمال قولها:-

لو كنت تبصر من تكلمه | **لغدوت أخرس من خلاخله** [3]
البدر يطلع من أزرتـــــه | **والغصن يمرح في غلائلـــه**

فوصفت محاسنها بتصوير أبدعت فيه لما أوحى لها خيالها من الإجادة في إغــراق المبالغة في الافتخار بنفسها، ووصفها لجمالها فأثبتت مقدرة في توليد الصــور الخياليــة

[1]- انظر الموسوعة الشعرية ، المغرب في حلي المغرب لابن سعيد المغربي،٨٠٦/١٥٣٤ .
[2]- انظر هدى شوكة بهنام ، النقد الأدبي في كتاب نفح الطيب ، ص ٢٢٨ . أطروحة ماجستير ، جامعة بغداد ، ١٩٧٧م .
[3]- انظر الموسوعة الشعرية ، المغرب في حلي المغرب لابن سعيد المغربي،٩٣٢/١٥٣٤ .

الغريبة. ويقول غرسيه غومس في هذا السياق:(ولم يكن هذا الشعر الإندلسي مترعا بالأخيلة فحسب، بل كان مثقلا بها حمل منها فوق ما يطيق[1]. فالشاعرة جمعت ذلك كله في بيتين فقط.– ينطبق على أبيات نزهون وحدها. مثله قول أنس القلوب. حين نتأمل الصور التي وردت فيها :–

قدم الليل عند سير النهار	**وبدا البدر مثل نصف سوار** [2]
فكأن النهار صفحة خد	**وكأن الظلام خط عذار**
وكأن الكؤوس جامد ماء	**وكأن المدام ذائب نار**

فقد جنحت إلى المبالغة في التشبيه الذي بدا طريفا. فقد شبهت الظلام بخط العذار، والبدر بالسوار في لمعانه، ومثله التشبيه في البيت الثالث حين جعلت المدام ذائب نار وهو تشبيه رائع، وان لم يكن جديدا انتزعته من فعل الشراب في إطفاء اللوعة كالماء في إطفاء النار. وهذه الصور الخيالية الطريقة العذبة منتزعه من وحي محيطهن لذا وفقت إلى حد بعيد فيما ذهبت إليه. وعلى الرغم من أن صورها واضحة إلا أنها خدمت غرضها وأصابت هدفها في الوصول إلى أبي المغيرة، مما يدل على خصب خيالها وجودة إبداعها بعد كنايتها له بالبدر.وهذا الخيال التصويري برز في النسيب والمدح والفخر.

ب– تميز خيالهن في الربط والتناسق بين الدلالة الحسية والمعنوية:

لقد تميز خيالهن في الربط والتناسق بين الدلالة الحسية والمعنوية في نقل الصورة للقارىء، فأدى استخدامها قيمة جديدة أكملت المعنى الذي أرادته بصور مثلث البيئة الاندلسية وطبيعتها. كما لاحظنا أكثر ما لجأن إليه في وصف الجمال هو (الظبي والقمر) حيث الجمال والرشاقة والحور والخفة – واللمعان، والرفعة، والسنا. وان كانت دلالتهما جعلتهما معروفين لكل الناس. فمن هنا يمكن القول بأن جنوح خيالهن نحو الألفة والبساطة اللتين لا غنى عنهما ولا عوض بغيرهما عنهما، جاء ذلك من عقد الصلة بين الدلالات والاستعانة بها من الواقع[3]. بل هناك

[1]- غرسيه غومس، الشعر الأندلسي ، ترجمة ص ٢٦ وانظر مجلة الكاتب ،بغداد، دار الحرية،عدد خاص بمناسبة الذكرى الألفية لميلاد ابن زيدون، ج ٣ ، ص ١٠– ١٨ . ١٩٧٥.

[2]- انظر الموسوعة الشعرية، نفح الطيب للمقري ،٨٤ز٢/٩٥٠ .

[3] - انظر سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي، ص٣٦٧.

صور منتزعه من واقع المجتمع الاندلسي وظروفه فارتبطت الصور بخيالهن ومثال ذلك ما قالته بثينة في الشكوى في تقلب الأحوال:-

وفر من حوله تلك الجيوش كما تفر ان عاينت صقرا عصافير[1]

أو قولها :-

وقديما كلف الملك بنـــا ورأى منا شموسا فعشـــــق[2]
قد مضى منا ملوك شهروا شهرة الشمس تجلت في الأفق

ويلاحظ مثل هذا الخيال في تشبيه **الشيب بالصباح في بياضه** ، وتشبيه **الثغـــر بحـــراس الثغور** ، **والفراق بالموت** ، **والوصال وساعات اللقاء باعتناق الرياح للأغصـــان** ، **و بـــطء السير بسبب تقدم العمر بمشي الأسير المكبـــل** ، فخيالهن منتزع من صور واقعيـــة حقيقيـــة مرتبطة بدلالات حسية متناسقة ، ومنسجمة مع الدلالات المعنوية .

---

[1]- انظر الموسوعة الشعرية، الحلة السيراء لابن الآبار،١٠٢١/٥٥٩ .

[2]- انظر الموسوعة الشعرية، الحلة السيراء لابن الآبار،١٠٢١/٥٦١ .

المطلب السادس

العاطـــــــفــة

عرفت الاندلسية برجاحة عقلها وعمق ثقافتها، لكنها أظهرت تفاعلا مـــع عواطفهـــا، فالمرأة كونها أكثر عاطفة من الرجل. وأرهف إحساسا منه. فالشاعرة الأندلسية لم تقو علـــى كتمان عاطفتها ولم تستطع إضمار بغضها. فمن هنا نجد شعرها متلونا بـــألوان مـــن الحـــب والكره. متسما بطابع الحزن والألم تارة، والفرح والدعابة والظرف تارة أخرى. وذلك لكونها لم تكتب عن الفراغ المطلق[١]..

ولقد أظهرت في أبياتها (لمحات صورت أخلد العواطف الإنســـانية)[٢]، وسلســـلت فكرتها فبثتها عن طريق مشاعرها فجاء فنها جميلا متسما بصرامة مشـــاعرها مـــع ســـهولة عواطفها، متناسبا مع تفكيرها وقدرتها في التعبير ، ونقل الأفكار العاطفية نقـــلا صـــحيحا . ويبدو أنها أدركت أن فقدان العاطفة في الشعر ترتب عليه أن يصير الشعر جافا)[٣]، فقد قيل إن (خير الشعر ما كان مزيجا من عاطفة وعقل معا)[٤].

ويقول البروفسور رينولد نيكلسن (ولعل أكثر مظاهر الشعر الاندلسي إمتاعـــا هـــي المشاعر الرومانسية الرقيقة التي ظهرت في أغاني الحب)[٥] ، وذلك لان المرأة ملكـــت مـــن الحرية والجرأة في التعبير عن عواطفها وخوالج نفسها دون تقيد بالتقاليد المتبعة ، فظهـــرت عاشقة مولعة طغت فيه عاطفتها على قلبها وتفكيرها . فظهرت نغمتها الحزينة علـــى فـــراق الحبيب، كما لمحت عن أفراح الغرام وسعادة اللقاء. وأظهرت القلـــق مـــن إزعـــاج الوشـــاة والرقباء. ضمنت كل ذلك تباريح هواها وبلواها بقوة تجربتها وتأجج عاطفتها، نلمـــس تلـــون نغمة العاطفة بين حزن الفراق وهجر الحبيب، وبين تحلق القلب وطيرانه فرحـــا واستبشـــارا بقربه في قول نزهون :-

---

[١] - انظر سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي، ص٣٦٧.

[٢]- انظرغرسية غومس ،الشعر الاندلسي ،ص٤٧.

[٣]- انظر أسس النقد الأدبي عند العرب ، ص٤٧٢،ص٧١-٧٥.

[٤]- ابراهيم أنيس ، موسيقي الشعر العربي ، ط٣، القاهرة،١٩٦٥م، ص١٦.

[٥]- نكلسن ، تاريخ الادب العباسي ، ترجمة د.صفاء خلوصي ،بغداد ، مطبعة أسعد ١٩٦٧، ص٢٣١-٢٣٤ .

حفظ الله حبيبا نزحــا   خشية الهجر[1]
جاءت البشرى له فانشرحا   عندها صدري
واستطار القلب مني فرحــا   ثــــم لا أدري

فوجدناها تصرح بشعورها تجاه الرجل من حب وجفوة وعتاب، وتتحسس جمال جسـده وتسجله، ولم تأبه من استدعاء الناس لمشاركتها في عواطفها في التحسس، وهذا لون جديد لم نألفه عند غيرها من النساء[2] ، لذا كانت متميزة في عواطفها فريدة في طريقة التعبيـر عـن انفعالاتها . فبعد أن (أحبت الأميرة أم الكرام بنت المعتصم مراهقا جميلا يدعى السمار عبرت عن حبها في أبياتها)[3] التي جسدت فيها صدق عاطفتها ورقة إحساسها.

ومن الشواعر اللائي اكتظ شعرهن بالشعور، وفاض بالعواطف ولادة بنت المستكفي، لذا سماها النقاد (علية الأندلس)[4] ... لقد أحبـت وتغزلـت فخلفـت وراءهـا شـعرا رائعـا جميلا...وتفننت في تصوير مشاعرها فجاء نبض عاطفتها قويا مؤثرا ضاهت فيه الرجال. و من الشاعرات اللواتي أظهرن عنف ولادة نفسه تجاه علاقتها بالرجال الشاعرة مهجة.

وأما من حيث المشاعر فإننا نلمس تفاوتا متباينا بين الشواعر من حيث قـوة العواطـف وحرارة التجارب وصدق المشاعر، وقد يعود ذلك إلى موقف الشاعرة من الأحداث وظروفها النفسية ودوافع القول وشدة الحافز وهذا ما ذهب إليه هنري بيبرس [5].

كما أحدثت الطبيعة حسا شعوريا دل على رقي عاطفتها التي تمثلت بالإرهاف العاطفي الطبيعي والتجاوب الذاتي. لقد أظهرت الشواعر إباحية عاطفيـة سـرت بيـنهن، واكتنفـت مشاعرهن، فكان للمجون نصيب من عاطفتهن ذلك أنهن لم يترفعن عن الهجاء لظروف وقفنا على بواعثها- فهاجت في نفس الشاعرة خواطرها التي دلت على بديهتها وسرعة خاطرها..

---

[1]- انظر سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي، ص٣٦٨.

[2]- روحية القليني ، شاعرات عربيات، ص٢٨. الدار القومية للطباعة.

[3]- هنري بيرس، الشعر الاندلسي في العربية الفصحى في القرن الحادي عشر، ص٤٢٩.

[4]- انظر نفح الطيب، ،، ج ٥، ص٣٣٩ .

[5]- انظر الشعر الأندلسي في العربية الفصحى، ص ٤٢٩. ، والمفيد في الأدب العربي، لجوزيف الهاشم ورفاقه، ج١، ص٢٩. طـ ١- بيروت.

ولم تنطو فنونها التي عالجت الشعر الوجداني من غزل ومديح وشكوى وفخر إلا على عاطفة صادقة. نبعت شكوى الشاعرة من وحي وجدانها المتألم الذي ألجأتها الأحوال إليه بعد أن مس الحزن شغاف قلبها فجاء مفعما بالتأثير في قوة العاطفة.لا بل نكاد نحس ونشاركها الصورة نفسها[1] .. بما نالهن من غدر ومحاولة الدهر لإذلال الإنسان في خيانته وغدره... والفخر الذي مزجته بأنات نفسها المخزونة. وتلون شعرها بالعاطفة الممزوجة بالفخر إلى نكبة أهلها وخروجها من جنتهم[2]... ثم نلمس عاطفة منبعثة من روح العقيدة الإسلامية تكتنف بعض أشعارهن. وهذا ما نلمسه من أشعار بثينة وما مثلته في شكواها. فقلبها معمور بالإيمان – ومنهن من كانت غيورة على مبادىء الإسلام وإن كانت قد أفحشت في اللسان إلا أن قلبها ظل عامرا بنور الإيمان.

والعاطفة التي صدرت من المرأة نحو الرجل لم تنحصر نحو المرأة نفسها في الغزل والمدح والهجاء... ولقد عبرت قسمونة في بيتين عما جاشت به نفسها وضمره قلبها من شكوى ضياع الشباب وتقدم العمر دون أليف، فأظهرت تأسفها على جمالها، وقد يكون صدق التجربة باعثا على حرارة العاطفة. وفي تعبير مريم عن الشيخوخة نجد أنها تابعت الفحول من الشعراء بعاطفتها النظيفة الجياشة، وتجربتها النفسية الواقعية.

ونجد المرأة كتبت عن رقة العاطفة وخاطبت العواطف في أغلب الأحوال واستثارت المشاعر والوجدان[3]. فرقة العاطفة لا تستغرب عند المرأة وفي تعبيرها كما هو معروف لدى أرباب الشواعر. وربما لا تتوافر لكثير من شعراء عصرها ، وعبرت عن قلقها في هجائها بعد أن رأت الرجال يعاسيب لاذعة ... وقد لا نرى تعليلا لعواطف الشاعرة ومواقفها من الهجاء إلا الذي في ذلك الغرض [4].

أما في المدح فربما تكون مزيفة العواطف، لأنها كانت متكسبة في الشعر في الأغلب، راغبة في العطاء والنوال. ووجدناها بدافعها العاطفي وخاطرها المطبوع كثيرة المباهاة بنفسها مفتخرة بأمجاد العرب وماضيهم التليد، متوجعة بسبب المصير المجهول الذي كان ينتظرها، واصفة همومها، مستنكرة ما حل بها من تغير الأحوال وأفول العز والأمجاد،

---

[1]- انظر سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي، ص٣٦٩.

[2]- انظر الفخر في شعر بثينة .

[3]- انظر موسيقى الشعر العربي ، مرجع سابق، ص ٧. وانظر سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي، ص٣٧٠.

[4]- وانظر سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي، ص٣٧٠. بتصرف

وقد مثلت في بعض أغراضها استقرارا عاطفيا منبعثا من صدق تجربتها ورقة عاطفتها وحرارة إحساسها. فالتجارب الشعرية للمرأة تختلف باختلاف (حدة الانفعال وقدرة التعبير عن ذلك الانفعال)[1]. فسلكت في منهجية تجاربها تلون انفعالاتها واختلاف تجاربها بين حب وكره وتأجيج الحسرة والندم جعلت الأبيات تتقد حرارة على مر العصور [2] ، إلا أننا وجدنا أبياتا تمثلت فيها الرتابة التقليدية الخالية من روح العاطفة .

---

[1]- سامي مكي ، الإسلام والشعر ، الكويت، عالم المعرفة ، ١٩٨٣م ص ٢٤٠ .

[2]- انظر محمد رجب البيومي ، الأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير ، ص ٢٢١- ١٩٨٠.

المطلب السابع
الموسيقى الشعرية

لم يخل شعر النساء في الأندلس من تلوين لفظي ومعنوي عفويا جاء أم مقصودا، وقد يكون أبرز ما أبدعت الشواعر الموسيقى الرشيقة التي حملت النقاد علــى تشــبيه شــواعر الأندلس بشواعر المشرق الكبار كـــ(علية والخنساء). (ونجد أن معظم هذه القصائد تتغنى بمطربات أو عازفات موسيقى) [1].

وحين تكون المغنية للشعر هي المرأة الشاعرة تكون العوامل الباعثة علــى تهذيبــه وتقويمه ورعاية قوانينه حسنة قد توافرت له وساعدت على أن تدفعه إلى الأمام بيد قوية [2] . (فإذا أراد الشاعر بناء قصيدة مخض المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثرا وأعد له ما يلبسه إياه من الألفاظ التي تطابقه والقوافي التي توافقه والوزن الذي يسلس له القــول عليه)[3] ولكن يتهيأ لنا أن الأندلسية لم تكن من هذا النوع من الشعراء في إعدادها لأبياتها ، فقد كانت سريعة الخاطر تنشده ببديهة أعجزت كبار الشعراء عنها.

ولما كانت الموسيقى التي هي (لب الشعر وعماده الذي لا تقوم له قائمة بدونها)[4] رأينــا من السمات الفنية في شعرهن أن بعضهن تعمدن استعمال أوزان خفيفــة وبحــور مجــزوءة وسهلة تصور حياتهن وتتناسب وذوقهن ، ورهافة حسهن . ولا سيما في الغزل ســواء فــي الأبيات أو في الموشحات، كقول أم الكرام في استعمالها البحر السريع عندما تغزلت:-

يا معشر الناس ألا فاعجبوا — مما جنته لوعة الحب
لولاه لم ينزل بدر الدجى — من أفقه العلوي للترب
حسبي بمن أهواه لو أنــــه — فارقني تابعـــــه قلبي[5]

---

[1]- انظر الشعر الأندلسي في العربية الفصحى في القرن الحادي عشر ، ص ٤٠٠.

[2]- انظر تاريخ لأدب العربي في الأندلس ، ص ٢٤٣.

[3]- عيار الشعر ، ص ٥.

[4]- انظرد. شوقي ضيف، فصول في الشعر ونقده، مرجع سابق، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧١م، ص ٢٩ .

[5] - انظر الموسوعة الشعرية ، ابن سعيد المغربي ، المغرب في حلي المغرب ، ص١٠٦٧ .ونزهة الجلساءللسيوطي، ص٢ . والمرأة في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ، للدكتورة سلمى علي ، ص٣٧٢ . بتصرف .

وهكذا عندما اعتمدت الشاعرة نزهون في موشحتها الطريفة والتي اشتملت فضلا عن خفة الوزن ورقة العاطفة، وجمال الصورة وحلاوة اللفظة، حيث اتسمت بنغم خفيف وحروف لينة. وتأتي القافية بإيقاعها وحسن تلاؤمها مع القيمة الصوتية للأبيات جميعا ميزة أخرى للجوانب الموسيقية في الشعر، والشاعرة، إلى جانب ذلك قد تتوسل لتحقيق الإبداع النغمي بما يخلق تأثيرا في نفوس السامعين بوسائل عديدة وطرق مختلفة[1] .

ومثال ذلك قافية أبيات ولادة التي تناسقت تناسقا محببا بطريقة محكمة القرار.(لقي، حرق، أنقي، معتقي، مغدق)[2] ، وإن كان القاف من الحروف الثقيلة ذات الطقطقة ، استطاعت الشاعرة أن تخلق منه ترجيعا موسيقيا جميلا، وأن تخفف من ثقله بالكسرة التي تأخذ امتداد الياء أحيانا .

ولقد اتصفت أشعارهن بالموسيقية العالية، ولا سيما في الغزل التي اعتمدت على التناغم الداخلي وتكرار حروف فيها همس أو رنين، أو جرس عال جميل وكسبت الأبيات تموجا صوتيا تحس به الأذن وترتاح إليه النفس. فقد كررت ولادة مثلا حرف القاف ثماني عشرة مرة في خمسة أبيات فقط وأننا نعرف أن حرف القاف ذو نغم حاد واهتزاز وطقطقة يدل على رغبة في رفع الصوت والانتباه، فقد كررت هذا الحرف في هذه القطعة مرتين في البيت الأول وثلاث مرات في الثاني وخمس مرات في الثالث وأربع مرات في الرابع، وأربع مرات في الخامس ومطلع القصيدة:-

ألا هل لنا من بعد هذا التفرق　　　سبيل فيشكو كل صب بما لقي[3]

كما عمدت الشاعرة بثينة بنت المعتمد في قصيدة لها في الفخر إلى تكرار حروف عدة ذات صوت عال كالقاف والراء والسين والدال لتصنع ذلك التناغم الداخلي والتناسق الصوتي الضمني في أبياتها:

---

[1]- انظر د. محمد مجيد السعيد ، الشعر في عهد المرابطين والموحدين في الأندلس ، ،ن ص ٣٤٧. والمرأة في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ، للدكتورة سلمى علي ، ص٣٧٢ . بتصرف .

[2]- انظرالفن ومذاهبه، ،، ص ٨٠ .

[3]- انظر الموسوعة الشعرية، نزهة الجلساء،للسيوطي،٦٧/٧٤ . وانظرالمرأة في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ، للدكتورة سلمى علي ، ص٣٧٤ . بتصرف .

من عزا المجد إلينا قد صدق	لم يلم من قال، مهما قال حق[1]
مجدنا الشمس سناء وسنى	من يرم ستر سناها لم يطق
أيها الناعي إليها مجدنا	هل يضر المجد إن خطب طرق

حيث كررت بها حرف القاف خمس مرات وحرف السين خمس مرات والنون أربع مرات كما كررت حروف الراء والدال مرات عدة في قصيدتها. (ليس تكرار الحروف قبيحا إلا حين يبالغ فيه وحين يقع في مواضع من الكلمات يجعل النطق بها عسيرا، فالمهارة هنا في حسن توزيع الحروف حين يتكرر كما يوزع الموسيقى الماهر النغمات في نوتته)[2] .

ونحس بحلاوة حرف الحاء في بيتي نزهون الذي أحدث بتكراره نوعا من الرقة والانسياب من الموسيقى المنبعثة بين ثنايا الكلمات وكأنها أصبيت بترف فني لما فيها من رنة وجمال أطراها حرف الحاء الذي يشكل أحد حروف (الحياة، الحلاوة، الحبيب) وهي الكلمات النابضة.

حللت أبا بكر محلا منعته	سواك وهل غير الحبيب له صدري[3]
وإن كان لي كم من حبيب فإنما	يقدم أهل الحق فضل أبي بكر

أما التكرار اللفظي فله أمثلة منها البيتان السابقان كترديد لفظة (أبي بكر). قد يراد بالصوت الأول أبو بكر صاحب نزهون، أما الصوت الثاني فقد يراد به الخليفة الراشدي أبو بكر الصديق.. فقد عنيت الشاعرة بهذا الصوت لأهميته ولإيجاد التأثير في تعزيز ذاتية المخاطب ومثله قول بثينة:-

يحل سوء بقوم لا مرد له	وما ترد من الله المقادير[4]

أضاف تكرار صوت (لامرد) و (ماترد) نغمة موسيقية أفادت التهويل والتنغيم مع إعطاء معنى الملازمة والديمومة. ومثله قول ولادة التي جاءت ألفاظها محاججة منطقية فتكرار لفظة (جرح بجرح) أحدث قوة تأثيرية ، وعن طريق المقابلة أضافت الأصوات همسا موسيقيا انبعثت من ثناياه :

---

[1]- انظر الموسوعة الشعرية، الحلة السيراء لابن الآبار، ٥٦٠/١٠٢١ .

[2]- انظر موسيقى الشعر ، ص ٤١.

[3]- انظر ترجمة نزهون بنت القلاعي الغرناطية في الموسوعة الشعرية .

[4]- انظر الموسوعة الشعرية، الحلة السيراء لابن الآبار، ٥٦٠/١٠٢١ .

لحاظكم تجرحنا في الحشا ولحظنا يجرحكم في الخدود[1]
جرح بجرح فاجعلوا ذا بـــــذا فما الذي أوجب جرح الصدود؟

فاعتماد الشواعر على الأنغام الموسيقية وحلاوة الجرس، يدل على شعور مرهف وتمكن. فقد ألفن بين الكلمة والقافية بالموسيقى المناسبة فكن حقا شـــواعر ذوات مواهــب. بعــد أن توسعت أغراضهن واتسعت موضوعاتهن.

[1] انظر الموسوعة الشعرية، نزهة الجلساء للسيوطي، ٥/٧٤.

الفصـل الخامس

شــواعر الأنــدلس

المبحث الأول

الشواعر الجواري

مقدمة:

أسهمت المرأة في الأندلس في رفد العلوم المختلفة، وكان الأدب المجال الواسع الذي بــرزت فيه، ولعل الطبيعة الأندلسية الساحرة هي التي ألهمت المرأة الأندلسية وأجرت علــى لســانها الشــعر الرقيق، فضلاً عن امتلاكها اليد الطولى في البلاغة التي تعد من المقومات الأساسية للنبوغ فــي هــذا المجال.

ولقد كان تأثير النساء في مضمار الأدب كبيراً من خلال مجالين: الأول: هو قيام المرأة فــي الأندلس بدور المؤثر في الأدب لما لها من جمال وفتنة، إذ حرّكت نفسية الأديب ومشاعره في التغزل بها، فكانت حديث المجالس الأدبية التي تعقد، وكان الشعراء يتغنون بهــا ويكثــرون مــن وصــفها وتشبيهاتها، كما كان للجواري نصيب كبير في هذه الأشعار، إذ قيل فيهن الكثير.

والثاني : هو تأثر المرأة نفسها بالحركة الأدبية التي عمت الأندلس، فقــد ضــمت مصــادرنا العربية العديد من أسماء الشاعرات اللواتي كنّ معظمهن من النساء الحرائر، حيث نلنّ قسطاً أكبر في هذا المجال من الجواري والإماء اللواتي برع أغلبهن في الموسيقى والغناء. ولقد أجادت المرأة الحرة في الأندلس نظم الشعر، وضمت مصادرنا التاريخية الكثير منهن.

وبالرغم من دور المرأة هذا إلا أن المؤرخين لم يهتموا بتدوين ما كتب مــن شــعر النســاء الأندلسيات، إلا النزر القليل كالذي ذكر في كتب: الذخيرة. والمغرب والصــلة والمطــرب، ونزهــة الجلساء، ونفح الطيب... وقد كان ذكر ذلك بتلميح خاطف و قليل. حتى أن هذا القليل المحدود الــذي نقل عن شواعر الأندلس كان يتناقله المؤلفون بعضهم عن بعض دون تبسيط في النقل، ولا استفاضــة في البحث عن أحوالهن وذكر أخبارهن وأشعارهن، ولقد حاولت قدر جهدي البحث عن أخبارهن مــن خلال الكتب التي تناولت الأدب الأندلسي[١].

[١] - وانظر المرأة في الشعر الأندلسي للدكتورة سلمى سليمان ، ص٢٣٢ .

ولقد تصدت شواعر الأندلس لفنون الأدب جميعاً وأمعن في كل ذلك، إمعاناً صعب على الرجل أدراكه في مواطن كثيرة [1] ، ولاسيما في إجازتها للأبيات الشعرية[2] .

وقد تألقت المرأة الأندلسية في ميدان الشعر والأدب وبخاصة في عصر الطوائف الذي يعد عصر مطارحة وإجازة للشعر بين الجواري والشعراء وعصر مساجلة ومناظرة بين الشواعر الحرائر والشعراء[3]. وأكثر ما تكون الغلبة والنجاح للمرأة، فقد كانت أسرع بديهة وأكثر حاضرة وأرق طبعاً. وفيما يلي عرض موجز للشواعر الجواري في الأندلس :

المطلب الأول
اعتماد الرميكيــــــة

عاشت اعتماد جارية عند الرميك بن الحجاج[4]. ولقد كانت تتقن فن الشعر ومن هذا الباب عرفها المعتمد بن عباد المتوفى (٤٨٨ هــ)، فلما أعجب بها وبشعرها اشتراها من مولاها ابن الحجاج .

وتذكر كتب الأدب[5]، أن المعتمد ركب في النهر ذات مرة ومعه وزيره ابن عمار المتوفى (٤٧٧ هــ) وقد زردت الريح النهر ، فقال المعتمد لوزيره ابن عمار ... أجز (صنع الريح من الماء زرد)[6] ... فأطال الوزير الفكرة مع كونه شاعراً بعد أن طال التأمل انبرت امرأة من الموجودات على ضفة النهر، فأجابت:(أي درع لقتال لو جمد) فأعجب ابن عباد من حسن ما أتت به . فنظر إليها فإذا هي غاية في الجمال: ولم يملك نفسه من شدة الدهشة، فسألها ؟ أذات زوج انت، فقالت: لا. فاشتراها وتزوجها[7]. ويذكر المؤرخون أن المعتمد من شدة إعجابه بها قد تلقب بهذا اللقب

[1] – عبدالله عفيفي ، المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها ، جــ٢، ص١٤٠.

[2] – فتح الطيب، ،، جــ٥ ، ص١٩ – جــ٦ ، ص٢٢ – ٢٣.

[3] – انظر الإحاطة، جــ١، ص٤٣٣ – ٤٣٥.وانظر المرأة في الشعر الأندلسي للدكتورة سلمى سليمان علي، ص٢٣٢ .

[4] – انظر المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ،، ص ١٥٥.

[5] – انظر نفح الطيب، ج٥، ص ٣٤٢.

[6] -الزرد ، الدرع المزرودة ، سميت بها للينها وتداخل بعضها في بعض ، وعند العامة الحلق الصغير

[7] – نفح الطيب، ج ٥، ص ٣٤٢.

بعد ارتباطه بها بعد أن كان يلقب بالمؤيد والظافر[١]، لينتظم اسمه حروف اسمها .اقترابا منها وإجــلالا لها[٢]. وقيل انه غير اسم(روميكا) إلى اعتماد. وعرفت فيما بعد بـــ(السيدة الكبرى)وكانت تكنى (بأم الربيع)، وأنجبت منه الملوك. والاميرة بثينة. وبثينة بنت المعتمد بن عباد ابنته من اعتمــاد الرميكيــة على ما جاء في المصادر التاريخية [٣].

وكثيرا ما كان المعتمد يأنس بها، (ويستظرف نوادرها، ولم تكن لها معرفة بالغناء وإنما كانــت مليحة الوجه، حسنة الحديث، حلوة النادرة. كثيرة الفكاهة لها في كل ذلك نوادر محكية)[٤]. يقول أحــد الباحثين (إن أدبها الجم وذكاءها أوصلاها بالمعتمد)[٥] . في حين لم يصل إلينا من شعرها سوى ثلاثة أبيات ليست من الشعر في شيء ولم يرو لها من الشعر (شيء يذكر) [٦].

وعندما التقى المعتمد بالجارية الساحرة كان معه صديقه الوزير الشاعر ابن عمار الاندلسي (٤٧٧ هجري) إلا انه أصبح عدوه اللدود في آخر حياته، وسبب هذا العداء العنيف هو هجــاء ابــن عمــار للمعتمد وزوجته الرميكية بقصيدته اللامية [٧] الشهيرة :-

ألا حي بالغرب حيا حلالا	**أناخوا جمالا وحازوا جمالا**
وعرج بيومين أم القـــــرى	**ونم فعسى ان تراها خيـــــالا**
تخيرتها من بنات الهجـــا	**ن رميكية ما تساوى عقالا**

ولقد كانت لاعتماد مكانة رفيعة في دولة بني عباد، وفي ذلك يقول ابن اللبانـــة المتـــوفى ســـنة(٥٠٧ هجري): (إن الدولة العبادية أشبه شيء بالدولة العباسية ببغداد سعة مكارم وجمع فضائل، ولذلك ألف فيها كتابا مستقلا سماه (الاعتماد، في أخبار بني عباد)[٨] .

[١]– الفتح بن خاقان، قلائد العقيان في محاسن الأعيان ، القاهرة ، مطبعة التقدم العلمية ، ١٩٦٤م، ص ١٢ .

[٢]- عمر الدقاق ، ملامح الشعر الأندلسي ، بيروت ، دارالشروق،١٩٧٥، ص ١٦٦.

[٣] - ديوان المعتمد ص ١٠٨، ونفح الطيب ج٦، ص ٢٠- ٣٢١.

[٤] – نفح الطيب، ج٦، ص٨. وانظر أعلام النساء، ج١، ص ٧١.

[٥] – المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة ، ص ٢٥٠ .

[٦] -كرم البستاني، النساء العربيات ، بيروت، دار صادر، ١٩٦٤، ص ٥٠.

[٧]– ديوان ابن عمار الأندلسي، ص ١٢٢-١٢٣ .

* يومين، قرية بأشبيلية كانت منها أولية بني عباد. نفح الطيب، ج٥ ، ص٣٤٣ .

[٨] – نفح الطيب ، ، ج٥ ، ص ٣٨٨ .

المطلب الثاني

بثينـــــــــــة

بنـــت المعتمـــد بـــــن عبــــاد

شهدت الأميرة بثينة مباهج الحياة في الأندلس فلقد ورثت الشعر عن ذويها، وورثت الجمـــال عن أمها " الرميكية ". وأكثرت بثينة من الشعر ولكن لم يبق منة إلا القليل عندما حلت النكبـــة بابيهـــا الملك المعتمد وأسر وتعرض قصره للسلب والنهب [١]. وقد نشأت بثينة في بيئة شعر وجمال إذ ورثت الشعر من ذويها ، كما ورثت الجمال عن أمها (الرميكية) .. وكانت بثينة (حاضرة الجواب سريعة الخاطر حلوة النادرة) .

ولقد جعلها المؤرخون ضمن الشواعر الجواري رغم أنها كانت حرة من صلب الملوك. لكـــن الدهر قد مال عليها حيث وقعت أسيرة في جملة من سبي في قصر أبيها[٢] . فجـــزع عليهـــا المعتمـــد والرميكية. ولا يعلمان ما آل إليه أمرها. وبيعت من أحد تجار أشبيلية على أنها جارية سرية وهـــو لا يعلم من أمرها شيئاً معتقداً أنها واحدة من الجواري. (وأهداها لابنه)[٣] . فلما أراد ابن التاجر الدخول عليها، ورأت الجد في الأمر امتنعت وأظهرت نسبها وقالت لا أحـــل لـــك إلا بعقـــد يجيـــزه أبـــي . (وأشارت عليهم بتوجيه كتاب من قبـــلها لأبيــــها)[٤]، وانتظار جوابه . ولقد وافق الشـــاب ووالـــده على رأي بثينة ووقع عندهما كلامها موقعاً عظيماً وداخله ســـرور، فكتبت خطابا إليه ضـــمنت فيـــه قصتها كاملة وجعلت منة قصيدة موشاة بحكمة الشيوخ وهي في ريعان شبابها ، ذكرت في تلك الرسالة ما حصل لها من أسى وحسرة (بخطها ومن نظمها)[٥]. وهذه الرسالة بعثت بها إلى أبيها فـــي منفـــاه تستأذنه في الزواج ممن تحب ، (وقد نظمت فيها مآثره وأياديه البيضاء)[٦] ، تألفت من أحد عشر بيتاً ربما كانت القصيدة كاملة لم يسقط منها شيء . وإزاء هذه القصيدة لم يتعرض أحد من الرواة عن مدى طولها أو قصرها وذلك لأنه لم يصل إلينا من هذه القصيدة إلا هذه الأبيات إذ تقول فيها:[٧]

---

[١] - الدر المنثور، ص ٩٨ – ٩٠ وأعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، جـــ١، ص١١٨ – ١١٩.

[٢] - انظرالنفح ، جـــ ٦ ، ص ٢٠.

[٣] -نفس المصدر ،ج٦ ، ص ٢٠. وانظر الدر المنثور، ص٤١ – ٤٢.

[٤] – نفح الطيب، جـــ ٦ ، ص ٢٠ .

[٥] – نفح الطيب، جـــ ٦ ، ص ٢٠ .

[٦] – أثر البيئة في الشعر الأندلسي – عصر ملوك الطوائف ، ص ٤٤٧ – ٤٤٨ .

[٧] – انظر النفح ، جـــ ٦ ، ص ٢٠ .

اسمع كلامي واستمع لمقـــــالتي	فهيَ السلوك[1] بدت من الأجيادِ
لا تنكروا أني سبيت وأنـــــــني	بنت لملكٍ من بني عبـــــادِ
ملك عظيم قد تولى عصـــــــره	وكذا الزمان يؤول للإفســـادِ
لما أراد الله فرقة شملنــــــــا	وأذاقنا طعم الأسى عـــــن زادِ
قام النفاق على أبي في ملكـــــهِ	فدنا الفراق ولم يكـــن بمرادِ
فخرجت هاربة فحازني امـــــرؤ	لم يأتِ في إعجاله بســـــدادِ
إذ باعني بيع العبيدِ فضمـــــني	من صانني إلا من الأنكـــــادِ
وأرادني لنكاح نجل طاهــــــر	حسن الخلائق من بني الأنجــادِ
ومضى إليك يسوم رأيك في الرضى	ولأنت تنظر في طريق رشـــادي
فعساك يا أبتي تعرفني بــــــهِ	إن كان ممن يرتجى لـــــودادِ
وعسى رميكية الملوكِ بفضلهـــا	تدعو لنا باليمنِ والإســـــعادِ

فلما بلغته مقالة ابنته[2]، وهو بأغمات واقع في شراك الكروب والأزمات[3]، يجتـر أحزانـه هـو واعتماد . سرا بحياتها ووافقا على الزواج، ورأيا أن ذلك للنفس من أحسن أمنياتها إذ جبر كســرها، وأشهد على نفسه بعقد نكاحها من ابن التاجر وكتب يهنئها ويتسلى بحسن عاقبة الزمان فيها ، وكتـب آخر رسالته ناصحاً بثينة المقبلة على الزواج قائلاً[4] :

بنيّتي كوني به برة   فقد قضى الدهر بإسعافه

وتعد بثينة رائدة من رائدات القصة الشعرية في عصر الطوائف فقد سخرت شعرها (وجعلتـه يقوم مقام النثر في المراسلات)[5] .

---

[1]- السلوك، السلك ،الخيط (تنظم فيه حبات من اللؤلؤ وغيرها ليكون عقداً) .الجيد، العنق(أعلى الصدر) .

[2]- نفح الطيب، جـ ٦ ، ص ٢١ . المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها ، جـ٣، ص ١٣٥ .

[3]- أعلام النساء، جـ١، ص١١٩ .

[4]- نفح الطيب، جـ ٦ ، ص ٢١ .

[5]- ر المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة ، ص ٢٤٧ .

المطلب الثالث
العباديـــــــة

العبادية شاعرة من الجواري الأندلسيات اللاتي عشن ضمن فترة القرن الخامـــــــس، وكانت أدبية ، وشاعرة من أشعر شواعر زمانها، ذاكرة لكثير من اللغة فصيحة العبارة ، حاضرة الروايـــة، قريبة النادرة، لها إلمام تام بضروب الغناء، وكانت من توقد قريحتها وحضور بديهتها، ترتجل الشعر والأمثال). (وقد أرق المعتضد ليلة). (لأمر حزبه وهي نائمة)[1] فقال :

تنام ومدنفها يسهــر   وتصبر عنه ولا يصـــبر

فأجابته على البديهة بقولها :-

لئِن دام هذا وهذا بـهِ   سَيهلِكُ وَجدا وَلا يَشعُرُ

ولم يذكر مؤرخو الأدب لهذه الشاعرة سوى هذا البيت ، ومن خلال النظر في أخبار هذه الجارية في بلاط العباديين ، يتبين لنا خضوع الملوك للمرأة الجارية واستصغارهم لملكهــم أمـــام عـــاطفتهم وسلطان وجدهم فالمحبوبة عندهم مصدر للحياة والإلهام ، حيث سجل لنا المعتضـــد صـــورة للولـــه بالجواري ، وإن كانت ظاهرة شائعة بالأدب [2].

المطلب الرابع
أنـــــس القلـــــوب[3]

تميزت أنس القلوب بجرس موسيقي عذب ، فذاع صيتها ، وكانت عند المنصور بن أبي عـــامر المتوفي سنة (٣٩٢ هــ) . وفي أحد مجالس الشراب بعد أن دارت الكؤوس غنت أنس القلوب[4] :

---

[1] -نفح الطيب، ، جــ٦ ، ص١٩ .

[2] - ديوان المعتمد بن عباد، ص ١٧.

[3] – نفح الطيب، جــ ٢ ،ص ١٤٦ – ١٤٧ .وانظر أعلام النساء، جـــ ١، ص ٩٧ – ٩٨ – ٩٩.

[4] – مختارات من الشعر الأندلسي، ص٣٨– ٣٩.وانظر شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ص ٢١١ .

قدم الليل عند سير النهار	**وبدا البدر مثل نصف سوار**
فكأن النهار صفحة خد	**وكـأن الظلام خـط عـذار**

وعندما أنشدت أغنيتها هذه أعجب بها أبو المغيرة [1] عبد الوهاب بن حزم المتوفى سنة ٤٢٠ هـ وكان حاضراً فارتجل على الفور أبياتاً بعد أن عرف أنه المعني بالأبيات:

كيف كيف ؟ الوصول للأقمار	**بين سحر القنا وبين الشفـــار**
لو علمنا بأن حبك حـــــــق	**لطلبنا الحياة منـــــك بثار**
وإذا ما الكرام هموا بشـــــئ	**خاطروا بالنفوس في الأخطار**

فلما سمعه المنصور غضب وأراد أن يقتل الجارية، لكنها بكت فأمرها بالاعتراف وقال: قولي واصدقي إلى من تشيرين بهذا الشوق والحنين ؟؟ فقالت الجارية: " إن كان الكذب أنجى فالصدق أحرى وأولى، والله ما كانت إلا نظرة ولدت في القلب فكرة، فتكلم الحب على لساني وبرح الشوق بكتمـــاني، والعفو مضمون لديك عند المقدرة، والصفح معلوم منك عند المعذرة ". ثم بكت فكأن دمعها درر تناثر من عقد أو طل تساقط من ورد "[2] .وقال أبو المغيرة على لسانها أبياتاً:

أذنبت ذنبا عظيما	**فكيف منه اعــتذاري**[3]
والله قدر هــــــذا	**ولم يكن باخــتياري**
والعفو أحسن شئ	**يكون عند اقتـــــدار**

وقيل : لما سمع المنصور الشعر ، هدأ غضبه ورق قلبه للوزير الكاتب أبي المغيرة. ثم عفا عنه ، ووهب أنس القلوب إليه. ولقد تميزت أنس القلوب بذكاء شديد وموهبة كبيرة، فكانت سريعة الخاطر، سخرت شاعريتها بذكائها، فاستطاعت أن تصل إلى من تبتغي وتحقق آمالها دون عناء.

[1]– جذوة المقتبس، ص ٢٧٣ ، ترجمة (٦٥٨) .والذخيرة، ج١، ص ١٣٢ –١٤١.

[2]- أعلام النساء ، ج١ ،ص ٩٧ –٩٨–٩٩ .

[3] – مختارات من الشعر الأندلسي، ص ٣٩ ، شاعرات العرب ، ص ٢٠ . تاريخ الأدب العربي في الأندلس، ح٤ ،ص ٤٩٠ .

المطلب الخامس

عتبة

عتبة جارية الأميرة الشاعرة ولادة بنت المستكفي التي توفيت عام (٤٨٤ هجري). وقيل: كانت جارية سوداء، بديعة الغناء[١]، وفي أحد مجالس اللهو والأنس، وبعد أن سعد ابن زيدون بلقائه مع صاحبته ولادة. غنت (عتبة) وقالت منشدة[٢]:

أحبتنا ، أني بلغت مؤملي   وساعدني دهري وواصلني حبي
وجاء يهنيني البشير بقربه   فأعطيته نفسي وزدت له قلبي

فطلب ابن زيدون من عتبة الإعادة[٣]، بغير علم ولادة . فضجرت الأخيرة وظهر عليها التجهم وغارت غيرة [٤] شديدة، بعد أن ظهر لولادة منه ميل إلى الجارية، وكان هذا سببا مباشرا في نفور ولادة من حبها لابن زيدون. ورجح محقق ديوان ابن زيدون أن البيتين اللذين غنتهما عتبة صاغهما لتشدو بهما عتبة وصيفة ولادة في خلسات اللقاء. وعلق محقق الذخيرة الدكتور إحسان عباس (أثبتهما ناشر ديوانه: على أنهما من شعره وليس ثمة ما يؤكد ذلك)[٥]. وحقيقة الأمر انه لا أحد يعلم أيهم نظم الأبيات إلا أن الرواة يرجحون أنها من نظم عتبة. و إلا لم تخبر عتبة مولاتها بأن الأبيات من نظم ابن زيدون بعد أن انهالت عليها ضربا وربما كان حلا للإشكال الذي وقع بينهما .

---

[١]- ديوان ابن زيدون، ص ١٢٠ تحقيق علي عبد العظيم. والذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج١، ص٤٣١. وانظر الذخيرة، ج١، ص٤٣١ .

[٢]- ر ديوان ابن زيدون، ص١٢٠ .

[٣]- أبو القاسم محمد كرو، شوقي وابن زيدون في نونيتيهما ، ص١٦ مطبعة الترقي –القاهرة– ١٩٥٦.

[٤]- شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ص ٢٠٦.

[٥]- ديوان ابن زيدون ورسائله، ص ١٢٠. تحقيق علي عبد العظيم.

المطلب السادس

غايـــــة المنـــــــى

غاية المنى جارية أندلسية متأدبة. لبيبة ، تقول الشعر وتحسن المحاضرة، لهــا صــوت حســن وصنعة جيدة بالأصوات، .وغاية المنى عاشت ضمن فترة القرن الخامس الهجري لأنهــا عاصــرت المعتصم بالله أبا يحي محمد بن معن صمادح المتوفى سنة(٤٨٤ هجري)[١] .

فهذه الشاعرة أندلسية – قد تأثرت بأصوات زرياب بعد أن ترك أكثر من مئة لحن. وأضاف إلــى العود الوتر الخامس..وقلده الأندلسيون وتأثروا به. و لم يصل إلينا شيئا من أغانيها قيل:[٢] إن المعتصم بن صمادح الذي كان يعمر أندية اللهو والغناء قد قدمت إليه فأراد اختبارها. فقال لها ما اسمك؟ فقالت: غاية المنى . فقال لها: أجيزي. اسألوا غاية المنى ؟ فأجابت بسرعة بديهة ورقة خاطر وحضور نادر:

من كســـا جسمي الضنـــا

وأراني مولها سيقول الهوى أنا

فأعجب بما بدا منها من ذكاء نادر. واجتيازها الامتحان برقة وسحر فاشتراها بمئة ألف درهــم، وكانت محظية عنده إلى أن ماتت[٣] ولم تذكر سنة وفاتها. فهذه الجارية الشـــاعرة المغنيـــة. الســـريعة الخاطر لم يقع بين أيدينا من آثار شعرها سوى هذا البيت الوحيد.

---

[١]– المعجب في تلخيص أخبار المغرب، مصدر ساب الشعر النسوي ، ص ٩٥ –٩٦ .

[٢]– قلائد العقيان ، ص ٥٣ ط . باريس قدم له محمد العنابي . والنفح ، ج٦، ص ٢٢ .

[٣]– الدر المنثور، ص٣٥٥.

المبحث الثاني

الشواعـــر الحـــرائـــر

هناك عدد من الشواعر الحرائر اللائي عشن في الأندلس وبالذات في فتـــرة ســـبقت عصـــر الطوائف منهن الأديبة مزنة[1]. التي توفيت سنة(٣٥٨ هجري). وصل إلينا اسمها ولم يصل شيء مـــن شعرها ولذكائها وفطنتها وحسن خطها شغلت منصب سكرتيرة عند الأمير الناصر لـــدين الله. ومـــن الشواعر الحاذقات لبنى[2] كاتبة الحكم بن عبد الرحمن التي شاركت في ضروب العلوم كالنحو والحساب والعروض وأتقنت فن الخط والكتابة ،وتوفيت سنة(٣٧٤ هجري).

ولا شك في أن الشاعرة الحرة أسعد حظا وأرفع مكانة وأوفر إنتاجا من الشاعرة الجارية عنـــد الرواة والمؤرخين القدماء. ربما نظروا إليها نظرة اختلفت عن نظرتهم للشاعرة الجارية، ولقد بلغـــت حرائر الأندلس وبخاصة القرن الرابع الهجري مكانة رفيعة فقد قيل عن عائشة بنت احمد بن محمـــد خادم القرطبية[3] التي توفيت عام(٤٠٠ هجري). إذ لم يكن في زمانها من حرائر الأندلس من يعـــدلها فهما وأدبا وشعرا . وفيما يلي عرض موجز للحرائر من شواعر الأندلس[4].

[1]- بغية الملتمس، ص ٥٣٠ . السيوطي، وانظر بغية الوعاه، ص ٣٨٣ ط١ .

[2]- نفس المصدر، ص ١٥٨٩.

[3]- انظر الصلة، ج٢، ص١٩٢. ونزهة الجلساء، ص ٧١ -٧٣. ونفح الطيب، ح٦، ص٢٦.

[4] ـ انظر المرأة في الشعر الأندلسي للدكتورة سلمى سليمان ، ص٢٥٦ .

المطلب الأول
الغسانية البجانية

اسم هذه الشاعرة " الغسانية" ولقبها البجانية، نسبة إلى بجانة، ولم تذكر سنة ولادتها ولا سنة وفاتها[1]. وقد جاء في المغرب نقلا عن حافظ الأندلس عبد الله بن إبراهيم الصنهاجي الحجاري[2]. أبي محمد المتوفى سنة(٥٨٤ هجري) في المسهب (أنها كانت في مدة ملوك الطوائف)[3] .

فالشاعرة عاشت أعواما من عمرها في القرن الرابع وعاصرت فترة ملوك الطوائف في القرن الخامس. فهذه الشاعرة الأدبية المداحة التي مدحت الملوك " كانت مشهورة . بظرفها وأدبها وجمال لطفها وبهائها وكمالها ، وكانت عالمة بضروب الشعر وروايته"[4] . وعارضت الغسانية القصيدة القسطلية بقصيدة طويلة لم يصل إلينا منها إلا أبيات معدودة هي عبارة عن مقدمة لمدح الأمير خيران العمري المتوفى سنة (٤١٩ هـ) وهي:[5] .

أتجزع أن قالوا ستظعن أظعان — وكيف تطيق الصبر ويحك إن بانوا
وما هو إلا الموت عند رحيلهم — وإلا فعيش تجني منه وأحزان
عهدتهم والعيش في ظل وصلهم — أنيق وروض الدهر أزهر ريان
الا ليت شعري والفراق يكون ، هل — تكونون لي بعد الفراق كما كانوا ؟

[1] - انظر جذوة المقتبس ، ونفح الطيب ، ج٥ ، ص٢٥٩، ص٢٠٦ ، وص ٣٠٢ -٣٠٣ . وأعلام النساء، ج٤، ص ١٠، و الشعر النسوي في الأندلس، ص ٩٢-٩٣ .
[2] - انظر نفح الطيب ، ج٥ ، ص٢٥٩-٢٠٦ .
[3] - المغرب ، ج٢، ص ١٩٢.
[4] - انظر بغية الملتمس ، ص ٥٢٩ . والصلة لأبي القاسم بن خلف (ابن بشكوال)القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٦م، ج٢ ، ص ٦٩٦ . وانظر الدر المنثور، ص ٣٥٦. وانظر المرأة في الشعر الأندلسي " عصر الطوائف"، للدكتورة سلمى سليمان ، ص٢٥٩-٢٦٠ . بتصرف .
[5] انظر بغية الملتمس، ص ٥٢٩. الصلة، ج ٢، ص ٦٩٦. المغرب، ج٢، ص ١٩٢. وأعلام النساء، ج٤ ص١٠ .

المطلب الثاني

مريم

بنت أبي يعقوب الأنصاري

مريم بنت أبي يعقوب الأنصاري الفصولي الشلبي[1] . وتسمى مريم الشلبية، وكانت تغدو على بنات سادات اشبيلية تعلمهن الشعر فهي بحق أستاذة من أساتذة الشعر في ذلك العصر[2] . فهي أديبة شاعرة جزلة.

وكانت تمدح الملوك وتساجلهم فيعطونها من أموالهم وهداياهم ومن حليهم وحللهم وبعث إليها (المهند) *. وقيل: (ابن المهند) ، وقيل(المهدي) بقرطاس فيه دنانير وعدد من الأبيات الشعرية ردا على جوابها. جاء فيه ما يؤكد ظرفها وتقاها ووصولها إلى درجة من الورع بحيث شبهت بمريم العذراء[3] ومن شعرها:

مالي بشكر الذي أوليت من قبل	**لو أنني حرت نطق الانس والخبل**
يا فردة الظرف في هذا الزمان ويا	**وحيدة العصر في الإخلاص والعمل**
أشبهت مريما العذراء في ورع	**وفقت خنساء في الأشعار والمثل**

---

[1]- انظر جذوة المقتبس، ص ٣٨. وبغية الملتمس، ص ٥٢٨. والصلة، ج، ٢ص٦٩٤.

[2]– انظر المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها، ج٣، ص ١٣٣. و انظر المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة ، ص ٢٤٠ .

[3]- انظر نزهة الجلساء ، ص ٩٠-٩١ . وانظر بغية الملتمس ، ص٥٢٨ . والصلة ، ج٢ ، ص٢٩٤ .

*ابن المهند ، شاعر مشهور كان بعد الأربعمائة . ووالده المهند هو طاهر بن محمد .

المطلب الثالث

أم العلاء

بنت يوسف الحجاري

أم العلاء شاعرة من حرائر الأندلس و من شواعر القرن الخامس، كانت تدعى أم العلاء بنت يوسف بن حزر المجلس الحجارية[1]، وعرفت بالحجارية نسبة إلى بلدتها مدينة وادي الحجارة التي تقع في شمالي الاندلس[2].

ولقد كانت أم العلاء شاعرة مكثرة محسنة للشعر جيدة النظم وفي شعرها جزالة وتحرز وكبرياء، ومما يؤكد كثرة نظمها قول محقق المغرب الدكتور شوقي ضيف:(إن المقري نقل عن نسخة من المغرب غير هذه التي ننشرها وأكثر من تعرض لهم في طليطلة روى لهم أشعارا ليست في نسختنا)[3] .

وقد وصل لنا من أشعارها العذبة ثلاثة عشر بيتا. ولم تحدد سنة وفاتها بل قال عنها صاحب المغرب إنها من أهل المائة الخامسة [4]، ومن شعرها في الغزل :

اِفهم مطارح أحوالي وما حكمت	بهِ الشواهدُ واعذرني ولا تلم
ولا تكلني إلى عذرٍ أبيّنه	شرّ المعاذيرِ ما يحتاج للكلم
وكلّ ما جئته من زلة فبما	أصبحت في ثقة من ذلك الكرم [5]

[1] انظر انظر جذوة المقتبس ، ص ٣٨٨ . وبغية الملتمس، ص ٥٢٨. الصلة، ج٢، ص ٦٩٤. نزهة الجلساء من أشعار النساء، ص٢٢-٢٣ .

[2]- انظر تاريخ الأدب العربي في المغرب والأندلس ، ج٤ ، ص ٥٠٦ .

[3]- نفس المصدر، ج٢ ، ص٣٨.

[4]- انظر المغرب في حلي المغرب ، ج ،٢ص٣٨ . واعلام النساء ، ج٣، ص٣٢٧ .

[5] - انظر النفح ، ج ٥ ،ص٣٠١- ٣٠٢ .

المطلب الرابع

أم الكرم

بنت المعتصم بن صمادح

لقبها السيوطي والمقري عند ذكرها بأم الكرام، وهي ابنة المعتصم بالله أبي يحيى محمد بن معن بن صمادح التجيبي المتوفي سنة (٤٨٤هـ) ملك المرية[١]، ولقد كانت شاعرة حرة نشأت في بيت ملك كريم ، وكان والدها شاعرا رزينا [٢].

ولقد وقعت هذه الشاعرة الوشاحة (الصمادية) التي (افتخرت بها نساء العرب) في غرام فتى وسيم، كان قد اشتهر بجماله وعرف بالسمار، في دانية وراحت تشهر بحبها لأبيها الملك ولإخوتها الشعراء [٣] ،ولم تضع حسابا لأبيها الملك ولإخوتها الشعراء ، وحينما علم والدها بأمرها أخفى أمر السمار هذا من ذلك الحين وربما قتله فخفي أمره .

وقد بين أحد الباحثين سبب اختفاء الحبيب قائلا (وقول ابن سعيد عن حبيبها يحتمل أمرين: أما إن الحبيب قتله المعتصم عندما علم بعلاقته بابنته – بوسيلة أخرى – وإما انه خاف على نفسه حالما تأكد من أن أباها الملك قد اطلع على قصتها[٤] . فالأبيات الشعرية التي نظمتها أم الكرم حية أثبتت فيها البراعة وبدت فيها فنانة وأديبة بارزة بصرخاتها المسموعة في الغزل ومن شعرها :

يا معشرَ الناسِ ألا فاعجبوا　　　ممّا جنتهُ لوعةُ الحبِّ

لولاه لم ينزل ببدرِ الدجى　　　مِن أفقهِ العلويِّ للتربِ

حسبي بمن أهواه لو أنه　　　فارقني تابعه قلبي [٥]

فهذا غزل رقيق وشعر لطيف، ولكنه قيل من أنثى في فتى ولكنها أكثر جرأة وأعلى صوتا.

---

١ – البيان المغرب ، جـ٣، ص١٦٧. نفح الطيب ، جـ٥ ، ص٣٠٢.

[٢]– انظر نزهة الجلساء ،ص ٢٠. ونفح الطيب، جـ٥ ، ص٣٠٢. وانظر المرأة في الشعر الأندلسي " عصر الطوائف" ، للدكتورة سلمى سليمان ، ص٢٦٦ .

٣ – المغرب، جـ٢ ، ص٢٠٢. نزهة الجلساء، ص٢٠.

٤– الشعر النسوى في الأندلس، ص٩٧.

[٥] – انظر نفح الطيب ، ، ج ١٠ ، ص١٦٤ .

المطلب الخامس

صفية

بنت عبد الله الربي

من بين الشواعر اللائي عشن في الأندلس وبخاصة في فترة القرن الخامس الهجري شـاعرة شابة رقيقة القول، جيدة النظم ذات ثقة واعتداد وكبرياء، هذه الشاعرة الرقيقة هي صفية الربي التـي (اتصفت بحسن الخط)[1] ، ولقد توفيت سنة سبع عشرة واربعمائة وهي في ريعان الشباب وعز الحيوية والنضارة ودون سن الثلاثين [2].

وربما كانت قلة الأعوام التي عاشتها سببا من أسباب سكوت الرواة عن أخبارها مـع قلتهـا ..، ويروى أنها اشتهرت في نقل المخطوطات، لذا (عابت امرأة خطها)، وأمام هذا الموقف أجابتها هـذه الشاعرة بثلاثة أبيات أثبتت لها إجادتها في النظم، وجمال خطها في الكتابة [3]، حيث دافعت عن نفسها ورفعت هذا الاتهام الباطل الموجه إليها قائلة :[4]

وعائبة خطي فقلت لها اقصـــري	**فسوف أريك الدر في نظم أسطري**
وناديت كفي كي تجود بخطها	**وقربت أقلامي ورقي ومحـــبري**
فخطت بأبيات ثلاث نظمتهـــا	**ليبدو لها خطي وقلت لها انظـري**

١ – جذوة المقتبس، ص٤١٢ ترجمة ٩٨٥ – الصلة،جـ ٢ ، ص٦٩٣. – الشعر النسوي ،ص٦٦.

[2] - انظر الشعر النسوي ، ص٦٦. وجذوة المقتبس، ص٣٨٨. الصلة،جـ٢، ص٦٩٣.

[3] - انظر في ظلال الاندلس ، ص١١٧. جذوة المقتبس، ص٣٣٨و ص٣٨٩. بغية الملتمس، ص٥٢٧.

٤ – جذوة المقتبس ، ص٣٨٨.

المطلب السادس

قسمونة

بنت اسماعيل اليهودي

قسمونة شاعرة يهودية من شواعر الأندلس عاشت في القرن السادس وقيل في القرن السابع كما جاء في نفح الطيب وقيل انها من شاعرات القرن الخامس. وقيل إن والدها كان يقرض الشعر.

ومن خلال البحث في كتب الأدب لم يعثر له على ذكر إلا ما جاء في كتاب الاحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب إذ نقل عن ابن حيان (٤٦٩هـ)[١] قوله: " كان هذا اللعين يقصد إسماعيل ابن نغرالة اليهودي، ولعله والد قسمونة من (أكمل الرجال علما وحلما وفهما وذكاءً، ودماثة، وركانة، ودهاءً، ومكراً، وملكاً لنفسه)[٢].

وقد اعتنى والدها بتعليمها وتأديبها، ولما كان أبوها شاعرا على ما جاء في النفح[٣]، فانه قد وجهها نحو صنعة الشعر ، (وربما صنع من الموشحة قسما فأتمتها هي بقسم أخر)[٤] . وتبدأ قصة نبوغ قسمونة حينما كان ينشد والدها ذات يوم ببيت من الشعر ويقول لها أجيزي وقال لها أبوها يوما أجيزي فتجيز بحذق ومهارة وأما البيت الذي قاله الأب فهو:

لي صاحب ذو بهجة قد قابلت　　　منعا بظهر واستحلت جرمها

ففكرت غير كثير كعادة الشواعر الجواري والحرائر في إجارة الأبيات وقالت:

كالشمس منها البدر يقبس نوره　　　أبدا ويكسف بعد ذلك جرمها

ولقد اعترف الأدباء والشعراء والنقاد بتمكنها في حين أصر المؤرخون على تجاهلها وإغفال أشعارها، فلم يصل إلينا من شعرها إلا خمسة أبيات عرفنا من خلالها أنها شاعرة حملت مسحة من الجمال، ولها ثقافة وإطلاع واسع ومعرفة بأحوال الشمس والقمر، ويظهر أنها بقيت عذراء ولم تتزوج، ذلك لأنها

١- الاعلام ، جـ٧ ، ص٣١١.

٢- الاحاطة في أخبار غرناطة ، جـ١، ص٤٤٦.

٣- انظر النفح ، جـ٥ ، ص٧٢.

٤- نفس المصدر، جـ٥ ، ص٧٣.

وقفت يوما أمام المرآة ونظرت جمالها فراعها ألا يتقدم إليها احد يطلب يدها وهي الوسيمة وقد (بلغت أوان التزويج)، فقالت معبرة عن شكواها آسفة على جمالها :

أرى روضة قد حانَ منها قطافها ولستُ أرى جانٍ يمدّ لها يـــــدا

فوا أسفا يمضي الشباب مضيّعا ويبقى الذي ما إن أسمّيه مفردا

فسمعها والدها(فنظر في تزويجها) ، ولم يعرف بعد ذلك عن أمر زواجها. فهذه الشاعرة اليهودية على الرغم من كونها بعيدة عن لغة القران إلا أنها تميزت بالفصاحة والبلاغة، وإجازة الأبيات علـــى البديهة مع سرعة خاطر وصدق وصراحة في التعبير عن المشاعر ربما لكونها من نساء غرناطـــة، حيث كن أعرف بالشعر ومعانيه وصوغه وصقله من غيرهن، فقد ذكر المقري نقلا عن ابـــن ســـعيد المتوفي (٦٨٥هـــ) (يقال لنساء غرناطة المشهورات بالحب والجلالة " العربيات "، لمحافظتهن علـــى المعاني العربية)[١] وقد سرن على سنن العرب في صفاء الشعر وفصاحة المعنى وعدت قسمونة واحدة منهن.

١- النفح ، ج٦ ، ص٢٥. المراة العربية ، ج٣ ، ص١٣٣. وانظر المرأة في الشعر الأندلسي " عصر الطوائف" ، للدكتورة سلمى سليمان ، ص٢٧٤ . بتصرف .

المطلب السابع
مهجة
بنت التياني القرطبية

مهجة شاعرة أندلسية من حرائر قرطبة، ومن أديبات القرن الخامس الهجري، كانت معاصرة لأستاذتها ولادة، كانت من أجمل نساء زمانها، ولدت لأسرة فقيرة كادحة فوالدها على ما جاء في المغرب ، (كان يبيع التين) ، فاكتسبت لقبها من مهنته ،وعرفت بمهجة التياني[1].

ولمواظبتها على التعليم خلقت أستاذتها ولادة منها شاعرة مبدعة مهيبة الجانب في الغزل والهجاء ، وذلك للرعاية الأدبية التي أولتها، وسرعان ما أنكرت التلميذة فضل معلمتها بعد أن أتقنت القول واشتد ساعدها في النظر ولما وقع خلاف بينهما[2] قالت قافية هجتها هجاء بذيئا فاحشا مقذعا فاقت به مشاهير الهجائين – ابن الرومي– وهما :

ولادة قد صــــرتِ ولادة	مِن غيرِ بعل فضح الكاتمْ
حكت لنا مريم لكنّه	نخلة هــــــذي ...... قائمْ [3]

وعندما سمع نقاد زمانها البيتين أقروا (لها بالتقدم)، حين قالت (ما نقص عنه ابن الرومـــي) ، قال بعض الأكابر لو سمع ابن الرومي هذا لأقر لها بالتقدم[4] . ولقد أجادت مهجة في المدح وأسـرفت في الهجاء الذي ابتعدت فيه عن الحياء الذي عد حلية المرأة وزينة أخلاقها. ومن أجود ما قالته مهجة في الشعر:

لئن قد حمى عن ثغرها كلّ حائم	فما زال يحمي عن مطالبهِ الثغرُ
فذاك تحميهِ القواضب والقنـــــا	وهذا حماه من لواحظها السحــرُ [5]

[1] - المغرب في حلي المغرب، جـــ١ ،ص١٤٣. نزهة الجلساء، ص٩٣. نفح الطيب، جـــ٦ ، ص٢٨ – ٢٩.

٢- انظرمحمد منتصر الريسوني، الشعر النسوي في الأندلس، بيروت، دارالحياة، ١٩٧٨م، ص٨٨.

[3] – كلمة فاحشة من الأفضل عدم ذكرها .

٤- انظر نفح الطيب، جـــ٣، ص٢٩. والمغرب، جـــ١، ص١٤٣، القاهرة– ١٩٣٨.و أعلام النساء، ص٣٧.

[5] – انظر نفح الطيب، ،، ج٥، ص٢٩ . والمغرب ، ج١، ص١٤٣ .

المطلب الثامن

نزهـــــون

بنــت القلاعـــــي

نزهون شاعرة غرناطية مشهورة، قال ابن الآبار[١] :" إن نزهون كانت بنت أبي بكر محمد بن احمد القليعي المتوفى (٥١٠هـ) يشير إلى كون هذا افتراضا لا غير حيث يقول – في ما احسب–"[٢]. فهذه الشاعرة عاشت أعواما عديدة من عمرها في القرن الخامس، وعاشت النصف الأول من المائة السادسة فهي تعد من المخضرمات في الأدب الأندلسي، ومن المعمرات أيضا وقيل أنها توفيت سنة (٥٥٠هـ) [٣]، كانت من الأديبات الفريدات ذات جمال فائق شارق وحسن رائق ونابغة من نوابغ زمانها.[٤]

ولقد اتفق النقاد والرواة على شاعريتها واختلفوا في صفتها جاء في المغرب (أنها شاعرة ماجنة[٥] كثيرة النوادر) ، إلا أن المقري يصفها نقلا عن المسهب (بخفة الروح والانطباع الزائد والحلاوة وحفظ الشعر والمعرفة بضرب الأمثال) ، هذا انطباع الحجاري المتوفى سنة (٥٨٤.هـ) عنها [٦].

فهذه الشاعرة كانت لها حياة أدبية خاصة تعقد وسط مجالس الرجال من الوزراء والشعراء فقد قيل كان لها (ناد لم يؤمه إلا الأفاضل ومجلس لم يجتمع فيه إلا كل عاقل)[٧] ، كل هذا أكدته أخبارها من مساجلات أشعارها ، مع شعراء زمانها الذين أولعوا بأدبها ومحاضراتها ومذكراتها، فكان (لها في مجالسهم منزلة عالية ، قد يكون هذا لخفة روحها وسرعة بديهتها وحضور جوابها وضربها (وتصريفها للأمثال) ، بطريقة فكهة ظريفة، ويبدو أنها افتخرت واعترفت بفحولة شعرها حين قالت [٨]:

١– التكملة لكتاب الصلة،ج٢ ، ص١٤٦ .

٢ – الحلل السندسية ، ج١ ، ص ٢١٤ النفح ، ج٦ ، ص٣٣. المغرب ، ج٢ ، ص١٢١.

٣– الأعلام، ج٨، ص١٧.

٤ – الدر المنثور، ص٥١٩. والنفح، ج٦ ، ص٣١ . والحلل السندسية، ج١. ص٢١٤ .

٥– الماجنة، المازحة والمجون لغة، خلط الجد بالهزل .

٦ – انظر المغرب، ج٢، ص١٢١، ونفح الطيب، ص٣١ .

* هي زينب بنت علي بن حسين أديبة وشاعرة سورية توفيت في القاهرة سنة ١٩١٤.

٧– انظر الدر المنثور، ص٥١٩.

٨ - انظر نزهة الجلساء، ص٩٧. وشاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ص٢٢٢ .

وعرفت بألفاظها التي لا تتحشم فيها دفاعا عن كرامتهـــا وردا لاعتبارهـــا وتـــأثرا لتخـــديش عرضها، إلا أن المسلطين على الأعراض أصحاب الألفاظ الفاحشـــة كـــانوا يؤلبونهـــا ويضـــايقونها ويسمعونها كلمات سوقية مبتذلة، الأمر الذي دعاها إلى مواجهتهم نظما بنظم ومناقضتهم أحيانا نثـــرا بنثر اضطرارا تارة واختيارا أحيانا أخرى، وبفضل عمرها المديد ، ومجالسها عاشرت نزهون الكثير من المشاهير واطلعت على أحوالهم.

ولقد عرفت نزهون بكثرة مخالطتها للرجال ومهاتراتها معهم، ومما يؤثر عن لقاءاتها بهم. مـــا سجل لها من نوادر تمس الكرامة، ومن نوادرها قولها للشاعر ابن قزمان المتوفى سنة (٥٠٨هـــ) بعد ارتجال بديع، (وكان قبيح المنظر) (أشقر ازرق كبير البطن)، (يلبس غفـــارة صـــفراء)، علـــى زي الفقهاء [1].

وتمضي في الدعابة والفكاهة فتنطق بحقه قائلة : (أحسنت يا بقرة بني إسرائيل إلا انك لا تسر الناظرين)[2] ، فضحك الحضور منه ، وغضب وثار ابن قزمان فقال لها: (إن لم اسر الناظرين ، فانا اسر السامعين ، وإنما يطلب سرور الناظرين منك يا.....) [3] ، وتمكن السكر منه وتدافعوا معه حتـــى رموه في البركة ولم يخرج منها إلا وقد شرب ماءً كثيرا وثيابه تهطـــل، فقال اسمع يا وزير وانشـــد أبياتا وصف نزهون فيها بأبشع الألفاظ ، وخروجها عن حد الآداب لأنهم تقصدوا في هتك سترها .

وأمام مثل هذه المواقف اتجهت نزهون الى هتك سترهم فبدت في مجالسهم ذات قلب كبير عنـــد اشتداد العواصف وصفحة من صفحات البلاغة العربية بفطنتها وفصاحتها. وكانت جريئة في قولهـــا ، وقد رفعت الحياء بالوقت الذي (ينبغي للمرأة ان يكون فيها الحيـــاء)[4] ،وجازفـــت فـــي أحاديثهـــا [5] الممزوجة بالظرف، وبحضور جواب وسرعة بديهة فكانت تقرأ على أبي بكر المخزومـــي الأعمـــى،

---

[1] – نفح الطيب، جـــ٦ ، ص٣٢. المغرب، ج٢، ص١٢١. نزهة الجلساء، ص٩٩. المغرب، ج٢، ص١٢١.

٢- نفح الطيب ، ج٦، ص٣٢ .

٣- نفح الطيب، ج٦ ، ص٣٢. وانظر المرأة العربية، ج٣ ، ص٣٢ .

٤- انظر العباس بن نور الدين الموسوي المكي نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس ج١، ص٥٦٦. المطبعة الحيدريـــة في النجف الاشرف ١٩٦٧م .

٥- انظر ما دار بينها وبين أبي بكر المخزومي الأعمى في الاحاطة، ج،١ص٤٣٤.

فدخل عليها أبو بكر الكندي [1] ، الشاعر الغرناطي وأراد أن يداعبه شعرا ويخبره بجمال نزهون، وأنها فتنة للناظرين وان نعمة البصر حرمته من تلك المتعة فقال[2] :

(لــــو كنت تبصـــر مـــــن تكلمــــه)

فلاذ الضرير بالصمت ولم يجد جوابا ولم يستطع القول فسارعت هي أمامه فأجابــت: **(لغــدوت أخرس من خلاخله)**. واشتهرت بكثرة مخالطتها ومناظرتها للشعراء وقد ألمح الوزير أبو بكر ســعيد إلى كثرة زوارها وعشاقها بعد أن أقلقته الغيرة عليها فكتب إليها قائلا[3] :

يا من له ألف خل   مـــن عاشق وصديق
أراك خليت للنـــا   س سد ذاك الطريـــق

فأجابته ببيتين تذوب عذوبة وتنم عن مكانته المميزة في قلبها إذ قالت[4] :

حللت أبا بكرٍ محلا منعتــــــهُ   سواك وهل غير والرفيع له صدري
وإن كان لي كم من حبيبٍ فإنما   يقدَم أهل الحقَ فضل أبي بكـــرِ

فهذه الشاعرة فاقت الشعراء الكبار في مر هجائها وحضور ذهنها ، نراها قد خلعت عليها حلــة من قبيح القول في الندوات الصاخبة بالعبث والمجون.ولقد امتازت بالجمال الفــائق وحفــظ الشــعر والأمثال.

١- لقد ورد في هامش النفح، ج٣ ، ص٣٢. (الكندي) والدر المنثور، ص٥١٩. وانظر المرأة في الشعر الأندلسي " عصر الطوائف" ، للدكتورة سلمى سليمان ، ص٢٨٤ . بتصرف

٢- الكتندي ، ولعله محمد بن عبد الرحمن الشاعر الغرناطي المشهور .

٣- المغرب ، ج٢ ، ص١٢١. نفح الطيب، ج ، ص٣١. وانظر أعلام النساء ، ج٥ ، ص١٦٨.

٤- نفح الطيب ، ج٦ ، ص٣١.

المطلب التاسع
ولادة
بنت المستكفي بالله

الشاعرة ولاّدة بنت المستكفي من الشاعرات اللائي عاصرن نهاية عصر الخلافة، وهي ابنة الخليفة محمد بن عبد الرحمن الملقب بـ(المستكفي) الذي بويع بالخلافة سنة (٤١٤هـ-١٠٢٣م) ، وقد وصفتها المصادر التاريخية بإعجاب كبير، لما تميزت به من صفات فريدة ميّزتها عن نساء عصرها[١].

واشتهرت بالفصاحة والنباهة وإجادة الشعر وجزالة القول، وكانت في أدبها وظرفها تجتذب السامع وتؤثر في النفوس، ولقد خرجت ولاّدة عن التقاليد السائدة ولاسيما فيما يخص الحجاب، فكانت تعقد المجالس الأدبية في قرطبة وتناظر الشعراء والأدباء.

وقد ساهمت ولاّدة بشكل كبير في تطوير الحركة الأدبية في الأندلس من خلال مجالسها الأدبية التي كانت تعقد في قرطبة ويحضرها كبار الأدباء والشعراء الذين كانوا يتبارون بالشعر والنثر، وكانت تشاركهم في المساجلات الأدبية وتباري الشعراء، وهذا في حد ذاته يعد قفزة نوعية في تاريخ الأدب. وكانت ولادة صافية البشرة، بيضاء كالفضة شعرها ذهبي براق كالتبر، وتزين صدرها بعقود اللؤلؤ المزدوجة والخلاخيل، وهي سليلة بيت ملكي تغمرها النعمة والرفاه وفيها قال[٢] صاحبها:-

أو صاغه ورقا محضا وتوجه　　من ناصع التبر ابداعا وتحسينا
إذا تأود آذته رفاهية　　تؤم العقود وأدمته البرى لينا

وكان لها (خال اسود) في خدها أضاف لها حسنا آخر يقول [٣] :

مفضفض الثغر له نقطة　　من عنبر في خده المذهب

١-وردت اخبارها واشعارها في ديوان ابن زيدون طبعة علي عبد العظيم وط كامل الكيلاني وخليفة وط نديم مرعشلي فضائل الاندلس واهلها ، ص٤٧ ، وقلائد العقيان ، ص٨٢ -٨٤ ٩١ - ٩٢، والذخيرة ج١ ، ص٤٢٩ - ٤٣٢ .والصلة، جـ٢ ص٦٩٦.

٢- انظر ديوان ابن زيدون، ص١٤٤ - ١٤٥.

٣- انظر ديوان ابن زيدون، ص٣٢.

وقال في قوامها الممشوق وخطاها الرشيقة، ونظراتها الفاتنة :

يا ألين الناس أعطافا وافتنهم   لحظا وأعطر أنفاسا وأردانا

وكانت تجمع إلى جمال الخلقة جمال التزين وعذوبة الحديث، فهي فنانة في إظهار مواطن الحسن فيها، فكانت عذبة الخلال ظريفة الخصال يقول ابن زيدون[1] :

له خلق عذب وخلق محسن   وظرف كعرف الطيب أو نشوة الخمر
يعلل نفس مـن حديث تلذه   كمثل المنى والوصل في عقب الهجر

وذكر الفتح بن خلفان المتوفي (٥٢٩هـ) انه " كان يكلف بولادة ويستضيء بنور تخيلها في الليل البهيم وفيها خلع عذاره ، وهام بها كل هيام وأرسل أجمل الأشعار وأرقها"[2]، ومن قصائده الخالدة قصيدته القافية التي أرسلها إلى حبيبته والتي مطلعها[3]:

إني ذكرتك بـ(الزهراء) مشتاقا   والأفق طلق ومرأى الأرض قد راقا

والقصيدة الثانية التي نالت شهرة عظيمة وثارت حولها الأساطير حتى قيل :(ما حفظها أحد إلا مات غريبا ولهج كثيرون بان إنسانا لا يتم له الظرف ما لم يحفظها)[4] وهي:

أضحى التنائي بديلا من تدانينا   وناب عن طيب لقيانا تجافينا

فشعرها كان يلقى ترحيبا وتشجيعا من الوزراء والأدباء الذين يفدون على منتداها ولم يكن ابن زيدون وحده فارس هذا الميدان، وإنما كان ابن القلاس، وأبو عامر بن عبدوس الوزير المتوفى سنة (٤٧٢هـ) الذي كان أحد أعيان قرطبة المشهورين[5]، فراحوا يتنافسون على قلبها، ولم يحظ به إلا ابن

١– ديوان ابن زيدون ، ص١٧٩. وانظر المرأة في الشعر الأندلسي " عصر الطوائف" ، للدكتورة سلمى سليمان ، ص٢٩٠ .

٢- انظر ترجمة ابن زيدون في ديوانه، ص٢١ – ٤٧ لعلي عبد العظيم. وفي القلائد، ص٧٩ – ٩٣ ، وفي الذخيرة، ج١ ، ص٣٣٦ – ٤٢٨. وفوات الوفيات جـ٤ ، ص٢٠١ ، ونفح الطيب ، جـ٥ ، ص٣٦٦.

٣– انظر ديوان ابن زيدون، ص١٣٩ – ١٤٠، ص١٣.

٤– نفس المصدر، ص١٣٩ – ١٤٠.

٥ – انظر ديوان ابن زيدون ، ص٣٢. والذخيرة ، ج١، ص٤٣١ .

زيدون لأن جل أشعارها وردت فيه، وقد أبلغ ابن زيدون أن أبا عبد الله محمد البطليوس المتوفى سنة (٤٩٠هـ) اتصل بولادة فكتب إليها قصيدة طويلة وكان يكنى بأبي عبد الإله نكتفي بذكر مطلعها :

أبا[١] عبد الإله اسمع وخــذ بمقالتي أودع

واقصر بعدهـا أو زد وطـرفي أثرها أوقـــع

وعلى ما يبدو أن سبب شهرتها وامتيازها على غيرها من شاعرات الأندلس،لما قاله فيها مــن رائع[٢] القصيدة ، فاستأثرت من دونهن بمزيد من الاهتمام من مؤرخي الأدب وناقديـــــه، وأصــحاب الرواية والأخبار القدامى كذلك انفردت ولادة في بحوث ومقالات المحدثين.

وفاة ولادة بنت المستكفي:

كانت ولادة بنت المستكفي من أروع الشعراء والأدباء في شعرها حيث كانت لها مكانة مميزة في الشعر، وقد عمرت عمـــــرا طويلا، ولم تتزوج وماتت لليلتين خلتا من صفر سنة ثمانين، وقيل أربع وثمانين وأربعمائة .

وهكذا فان شاعرات الأندلس أفسحن لشعرهن مكانا رحيبا،إلا أنهن لم يسهمن في كل فنون الشعر وموضوعاته، وأكثر ما قلن فيه من الأغراض الغزل والمديح ووصف الطبيعة والهجاء.

١- تمام المتون، ص١٢. ديوان ابن زيدون ، ص٥٧٨ ورد في الديوان " اصغ لمقالتي واسمع وخذ فيما تــرى أو دع " .

٢- انظر ديوان ابن زيدون القصائد التي قيلت في ولادة .

الخـاتمة

فتح العرب بلاد الأندلس ، ومكثوا فيها ما يزيد عن ثمانية قرون من سنة ٩٢هـ/٧١٠م الى سنة ٨٩٨هـ/ ١٤٩٢م، وقد حملوا إليها فيما حملوا معهم بلاغتهم العربية، ممثلة في لغتها وأدبها.

وفي بيئة الأندلس الجميلة وجد الأدب العربي كل ما يستثير الخيال، ويشحذ العواطف والوجدان، فنما وازدهر، واكتسب من مسيرته وتعايشه معها طابعا جديدا، وسمات خاصة تميز بها ، وتاريخ الأدب العربي في الأندلس هو في حقيقته جزء من تاريخ الأدب العربي العام، ولما كان أدب أي أمة هو ابن بيئتها، يتأثر بها ويؤثر فيها، ويستمد عناصر نشأته ووجوده من طبيعة أرضها، وأحداث تاريخها، وحياة مجتمعها، فقد عرضت الباحثة أحوال المجتمع الأندلسي وبنيته الاجتماعية التي لها تأثير كبير في تراثه الأدبي ، كما تعرضت وبشكل موجز لتاريخ الأندلس مبينة تاريخ العرب وحضارتهم فيها .

ولقد نظم شعراء الأندلس الشعر في فنونه المتعارف عليها من مدح ورثاء وغزل وفخر وهجاء، ، ويلاحظ في مضمون الشعر الأندلسي والمتمثل في تجارب شعرائه الذاتية، وفيما تخلق في نفوسهم من معان وأفكار أنها نابعة من بيئتهم الطبيعية والاجتماعية، فهو مضمون يغلب عليه سمات الحضارة والتجديد والابتكار.

وأما من حيث اتجاهات الشعر الأندلسي فقد تحدثت الباحثة في هذه الدراسة عن الاتجاه الإعلامي، وبينت أن هذا الاتجاه يتصل ببعض الشعراء ممن كان لديهم التزاما بمشاكل قومهم، وأولئك الذين ينقلون صورا حقيقية أو قريبة من الحقيقة عن واقع المجتمع الأندلسي وعن قطاعات معينة منه، ثم بينت الاتجاه العلائقي وتعرضت لمفهوم هذا الاتجاه باعتباره نتيجة طبيعية لتأثر الشعراء بحركة المجتمع وعلاقاته الإنسانية المختلفة. ثم تحدثت عن الاتجاه الذاتي الذي يغور في أعماق النفس،وبينت مسالك هذا الاتجاه والتي تمثلت في الأغراض التي جاءت تعبيرا عن الذات الشاعرة .

وبعد أن تحدثت الباحثة عن فنون الشعر الأندلسي وأغراضه، تعرضت للحديث عن سمات الشعر الأندلسي العامة، فبينت غلبةُ الوصف الشعري والخيال عليه والميل في طرائق التعبير الى الأساليب البيانية من تشبيه واستعارة وكناية، والى بعض الأساليب البديعية كالطباق

والمقابلة والمبالغة، ووجدت أن أغلب معانيهم تتسم بالجدة والطرافة، وأما ألفاظهم فتتميز بالسهولة والوضوح والعذوبة وهذه الصفات مشتركة بين شعر الرجال والنساء.

وأما من حيث دور المرأة فقد بينت الباحثة أن المرأة الأندلسية قد أسهمت في رفد العلوم المختلفة ، وكان الشعر المجال الواسع الذي برزت فيه، ولعل الطبيعة الأندلسية الساحرة هي التي ألهمت المرأة الأندلسية وأجرت على لسانها الشعر الرقيق، فضلاً عن امتلاكها اليد الطولى في البلاغة التي تعد من المقومات الأساسية للنبوغ في هذا المجال.

ولقد كان تأثير النساء في مضمار الشعر كبيراً من خلال مجالين: الأول: هو قيام المرأة في الأندلس بدور المؤثر في الشعر لما لها من جمال وفتنة، إذ حرّكت نفسية الأديب ومشاعره في التغزل بها، فكانت حديث المجالس الأدبية التي تعقد، وكان الشعراء يتغنون بها ويكثرون من وصفها وتشبيهاتها، كما كان للجواري نصيب كبير في هذه الأشعار، إذ قيل فيهن الكثير.

والثاني: هو تأثر المرأة نفسها بالحركة الأدبية التي عمت الأندلس، فقد ضمت مصادرنا العربية العديد من أسماء الشاعرات اللواتي كنّ معظمهن من النساء الحرائر، حيث نلنّ قسطاً أكبر في هذا المجال من الجواري والإماء اللواتي برع أغلبهن في الموسيقى والغناء. ولقد أجادت المرأة الحرة في الأندلس نظم الشعر، وضمت مصادرنا التاريخية الكثير منهن.

ومن خلال النظر فيما قالته شواعر الأندلس من شعر نجد أنهن قد تصدين لفنون الأدب جميعاً وأمعن في كل ذلك، إمعاناً صعب على الرجل إدراكه في مواطن كثيرة، ولاسيما في إجازتها للأبيات الشعرية، وقد تألقت المرأة الأندلسية في ميدان الشعر والأدب وبخاصة في عصر الطوائف الذي يعد عصر مطارحة وإجازة للشعر بين الجواري والشعراء وعصر مساجلة ومناظرة بين الشواعر الحرائر والشعراء.

وأكثر ما تكون الغلبة والنجاح للمرأة، فقد كانت أسرع بديهة وأكثر حاضرة وأرق طبعاً. لذلك تعرضت الباحثة لبيان صورة المرأة في الشعر الأندلسي (الصورة المادية والمعنوية). ثم بينت الأغراض الشعرية في شعر النساء وخصائصه الفنية. ثم كان الحديث عن شواعر الأندلس (الحرائر والجواري منهن).

نتائج الدراسة :

تتلخص نتائج الدراسة في الآتي :

- كانت المرأة محورا هاما من محاور الشعر الأندلسي، فظهرت الأم فيه مثالا للخير والتضحية وإنكار الذات. وكان للزوجة وضعا مميزا عند زوجها لها كل التقدير والاحترام. وجاءت صورة الحبيبة في الشعر الأندلسي تحفة إنسانية صادقة لا زالت مثار إعجاب النقاد والأدباء،ثم إن البيئة الأندلسية شجعت الفتاة على السير في طريق العلم والأدب.

- استطاعت المرأة الأندلسية مجاراة الرجال في مجال الشعر والأدب، فظهرت قوية شامخة ، لها حضورا قويا في الحياة الأندلسية ، فقيل فيها أرق الأشعار وأعذبها. وأسهمت كذلك في رفد العلوم المختلفة، وكان الشعر المجال الواسع الذي برزت فيه.

- من خلال قراءة الحياة الاجتماعية والسياسية الأندلسية نلاحظ أن الجارية استطاعت أن تتبوأ مكانة عالية عند الأمراء والملوك وان يكون لها الرأي والمشورة أحيانا.

- لم تحتل شواعر الأندلس مكانة أدبية رفيعة لقلة ما روي عنهن من أشعار. وقد يعود ذلك الى ضياع الكثير من شعرهن .

- أثرت البيئة الطبيعية والاجتماعية في شخصية شعراء وشواعر الأندلس وفي تجاربهم الذاتية ، فكانت أفكارهم ومعانيهم نابعة من بيئتهم الطبيعية والاجتماعية، فجاء مضمون أقوالهم من شعر وأدب يغلب عليه سمات الحضارة والتجديد والابتكار.

- تألقت المرأة الأندلسية في ميدان الشعر والأدب وبخاصة في عصر الطوائف الذي يعد عصر مطارحة وإجازة للشعر بين الجواري والشعراء وعصر مساجلة ومناظرة بين الشواعر الحرائر والشعراء، ويعد شعر ولادة رمز لكل الأدب النسوي.

- أما خصائص أسلوب الشاعرة الأندلسية فقد رسمت معالمها الدراسة الفنية لطبيعة الأساليب فجاء الشعر مرآة لمنازعهن النفسية لما تضمن من سمات للمعاني والخيال النابعين من الأصالة والعروبة.

- طرقت الشاعرة الأندلسية أبوابا لم تطرق من قبل، وأثبتت مقدرة في تناولها للمواضيع القديمة برؤية جديدة، معتمدة على التراث الإسلامي متمسكة بلغتها العربية الفصيحة النقية البسيطة البعيدة عن التكلف.

توصيات البحث:

وأما فيما يتعلق بالتوصيات التي يمكن للباحثة أن توصي بها فتتلخص في الآتي :

١- ضرورة البحث في أخبار الشاعرات في العصر الأندلسي للغور في عالمهن، ولكي نطلع على أمرهن العجيب الذي شغل القاصي والداني ولكي نزيل الشك ونرفع مزيدا من الأقاويل فذلك أشفى للنفس وأروى للحقيقة.

٢- ضرورة الاتجاه نحو التعمق في دراسة الأدب الأندلسي على اختلاف بيئاته وعصوره.

٣- ضرورة إجراء دراسات مقارنة بين الشعر الأندلسي مع غيره من العصور من حيث الأغراض والخصائص واللغة والأسلوب والصور والخيال.

وأخيرا أدعو الله أن أكون قد وفقت في بحثي هذا، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين .

قائمة المصادر والمراجع

١. إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر العربي، ط٣، القاهرة، ١٩٦٥م.

٢. إبراهيم السامرائي، لغة الشعر، عمان، دار الفكر ،١٩٨٤ م.

٣. ابن الأثير (علي بن احمد بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، القاهرة ، جـ ٩،طبعة بولاق، ١٨٧٣م.

٤. ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أبو الفضل بن احمد بن علي)، تح محمد سيد جاد الحق، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٩٦٦م.

٥. ابن حزم: طوق الحمامة، ضبط نصه د/ الطاهر احمد مكي، ط٣، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٠م .

٦. ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، ط٢، مصر، دار المعارف.

٧. ابن حيان، المقتبس، بيروت، دار الكتاب الثقافة، تحقيق محمود علي مكي، ١٩٧٣،

٨. ابن حمد يس الصقلي، ديوان بن حمد يس، بيروت، دار صادر، لا.ت.

٩. ابن خاتمة الأنصاري (أبو جعفر احمد بن علي الأنصاري) (تح محمد رضوان الداية)، الديوان، دمشق، دار الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٧٢ م .

١٠. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، نشره ليفي بروفنسال تحت عنوان " تاريخ اسبانيا الاسلامية " في بيروت ١٩٥٦.

١١. ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، جـ ٤ ، ط١، بولاق، ١٨٧ م .

١٢. ابن دراج القسطلي، الديوان، بيروت، المكتب الإسلامي، تحقيق، محمود علي مكي، ١٩٧٠.

١٣. ابن دوحية الكلبي، المطرب في أشعار أهل المغرب، تح د/ مصطفى عوض، مطبعة مصر، الخرطوم، ١٩٥٤م .

١٤. ابن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تح محي الدين عبد الحميد، القاهرة.

١٥. ابن زمرك، أبو عبدالله محمد بن يوسف بن محمد الصريحي، الديوان، لبنان، المكتبة العصرية، ١٩٩٨.

١٦. ابن قتيبة ، الشعر والشعراء، ط٤ ، ج ١ ، بيروت، دار الثقافة، ١٩٨٠م .

١٧. ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلي المغرب، تح الدكتور شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٤م.

١٨. ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ج٢- ج٣، ط١، بيروت، ١٩٥٠ .

١٩. ابن فركون (أبو الحسين بن احمد بن سليمان)، الديوان، تعليق : محمد بن شريفة ، الربـــاط ، أكاديمية المملكة المغربية.

٢٠. بن فضل الله العمري، وصف أفريقيا والمغرب والأندلس أواسط القرن الثامن للهجرة، تـــونس، نشر حسن حسني.

٢١. ابن قتيبة ، الشعر والشعراء، ط٤ ، ج ١ ، بيروت، دار الثقافة، ١٩٨٠م .

٢٢. ابن زيدون، ديوان ابن زيدون، تحقيق علي عبد العظيم، القاهرة، دار نهضة مصر.

٢٣. ابن هانىء الاندلسي، الديوان، تحقيق محمـــد الـــبعلاوي، بيـــروت، دار الغـــرب الإســـلامي، ١٩٩٤م .

٢٤. أبو بكر عمر بن خير الاشبيلي، فهرسة ابن خير الأشبيلي عن شيوخه من الدواوين المصنفة من ضروب العلم وأنواع المعارف، ط ٢، مطبعة قومش بسرقسطة، ١٩٦٣ .

٢٥. أبو بكر محمد بن داود الأصفهاني، الزهرة، تح إبراهيم السمرائي، ط٢، الزرقاء، مكتبة المنار، ١٩٨٥م.

٢٦. أبو بكر محمد بن القوطيه، تاريخ افتتاح الأندلس، بدون طـــ، مدريد، ١٩٢٦.

٢٧. أبو بكر محمد الزبيري، طبقات النحويين و اللغويين، ط٢، القاهرة، دار المعارف تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، ١٩٨١ م.

٢٨. أبو الحسن بن الجياب، ديوان ابن الجياب، تح مشهور عبد الرحمن الحبازي واشراق عصـــمة غوشة، ١٩٨٣.

٢٩. أبو الحسن حازم بن محمد القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح محمد الحبيب الخوجة، تونس، ١٩٩١م.

٣٠. أبو الحسن علي بن بسام الشنريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج١، تـــح د/ احســـان عباس، ط١، بيروت، دار الثقافة، ١٩٧٩.

٣١. أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ج ١، تح إبراهيم الكيلاني.

٣٢. أبو حيان الغرناطي (أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف)، الديوان ، تـــح احمـــد مطلـــوب وخديجة الحديثي ، بغداد، مطبعة العاني، ١٩٦٩م .

٣٣. أبو حيان القرطبي، المقتبس من انباء أهل الأندلس، تح د/ محمود علـــي مكـــي، بيـــروت، دار الكتاب العربي، ١٩٧٣م.

٣٤. أبو داوود سليمان بن حسان–المعروف بابن جلجل–، طبقات الأطباء والحكماء، تح فؤاد ســـعد، القاهرة، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، ١٩٥٥م.

٣٥. أبو زهير ثابت بن سفيان، ديوان تأبّط شراً، تح علي ذو الفقار شـــاكر، بيـــروت، دار الغـــرب الإسلامي، ١٩٨٤م .

٣٦. أبو العباس أحمد بن عمر العذري، نصوص عن الأندلس، تحقيق دكتور عبد العزيز الأواني، مدريد، ١٩٧٥.
٣٧. أبو عبدالله محمد بن الآبار، الحلة السيراء، ج١، تح د/ حسين مؤنس، القاهرة، ١٩٦٣م.
٣٨. أبو عبدالله محمد بن الحارث الخشني القيرواني، قضاء قرطبة وعلماء افريقية، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م.
٣٩. أبو عبدالله محمد بن فتوح الحميري، جذوة المقتبس، تح إبراهيم الأبياري، بيروت، ١٩٨٣م.
٤٠. أبو عبدالله محمد بن الكتاني، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تح د/احسان عباس، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٦م.
٤١. أبو علي حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك ابن القطان، نظم الجمان ، تحقيق محمد علي مكي. جـ٦.
٤٢. أبو الفرج عبد الرحمن بن علي البغدادي (ابن الجوزي)، صيد الخاطر، تح السيد الجميلي، بيروت، دار بن زيدون، ١٩٨٦م.
٤٣. أبو القاسم محمد الكلاعي ، أحكام صنعة الكلام ، تحقيق محمد رضوان الداية ،ط٢ بيروت ، عالم الكتب ،١٩٨٥.
٤٤. أبو منصور عبد الملك الثعالبي، يتيمة الدهر، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٤٧م.
٤٥. إحسان عباس، تاريخ الأدب الاندلسي – عصر سيادة قرطبة – ، ط٢، بيروت ، دار الثقافة، ١٩٦٩ .
٤٦. أحمد أمين، النقد الأدبي، ط٤، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م، ج ١ .
٤٧. أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج٣، بيروت، دار الكتاب العربي .
٤٨. أحمد بدوي، أسس النقد الأدبي عند العرب، ط١، القاهرة، مكتبة نهضة مصر، ١٩٨٥م.
٤٩. أحمد بن يحيى الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، القاهرة، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م.
٥٠. أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد، ج ٤ ، تح أحمد أمين ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة ، ١٩٤٠ م .
٥١. احمد بن محمد المقري التلمساني(المقري)، أزهار الرياض في أخبار عيّاض، أبو طبي، صندوق إحياء التراث الإسلامي.
٥٢. احمد مطلوب، من شعر أبي حيان الأندلسي، تح احمد مطلوب وخديجة الحديثي، ط١، بغداد، مطبعة العاني.
٥٣. أحمد ضيف ، بلاغة العرب في الأندلس ، القاهرة ، مطبعة مصر ،١٩٢٤م، .

٥٤. احمد هيكل، الأدب العربي في الأندلس من الفتح إلى سقوط غرناطة، طـــ ٤، دار المعـــارف ١٩٦٨.
٥٥. أ. ر. نيكل، مختارات من الشعر الأندلسي، ط١، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٤٩م.
٥٦. أريك جي بولتون، الشعر في المدارس، ترجمة ياسين طه بغداد، وزارة الثقافة، ١٩٧٨م.
٥٧. اغناطيوس كراتشكوفسـكي ، دراسـات فـي تـاريخ الأدب العربـي ، موسـكو، أكاديميـة العلوم،١٩٦٥م.
٥٨. ....، ترجمة د/ منير مرسي، الشعر العربي في الاندلس، القـاهرة، عـالم الكتـب، ١٩٧١م،
٥٩. بشير يموت، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ، ط١، ١٩٣٤م .
٦٠. بطرس البستاني، أدباء العرب في الأندلس وعصـر الانبعـاث، ط٦، بيـروت، دار الثقافـة، ١٩٦٨م.
٦١. البير حبيب مطلق، الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية عصر الطوائف، بيـروت، المكتبة العصرية، ١٩٦٧م.
٦٢. الجاحظ، رسائل الجاحظ (رسالة النساء) .
٦٣. جبور عبد النور، المعجم الأدبي، بيروت، دار العلم للملايين.
٦٤. جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، ١٩٣٢م.
٦٥. جميل بن عبدالله بن معجز العذري، ديوان جميل بثينة، بيروت، دار صادر، ١٩٦٦م.
٦٦. جوزيف الهاشم ورفاقه، المفيد في الأدب العربي، ج١،. طـ ١، بيروت .
٦٧. الحافظ جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح محمد أبـو الفضـل ابراهيم، القاهرة، مطبعة عيسى الحلبي، ١٩٦٤م ج١.
٦٨. حسان أبو رحاب، الغزل عند العرب، ط١، القاهرة، مطبعة القاهرة، ١٩٤٧م.
٦٩. حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، القاهرة ، ١٩٥٩م.
٧٠. د/ حكمة علي الأوسي، فصول في الأدب الأندلسي، ط٢، بغداد.
. حمزة محمد عبد الهادي، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بني الأحمر، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الأردنية ،٢٠٠٢ .
٧١. الحوفي ، المرأة في الشعر الجاهلي، القاهرة، ١٩٦٣م.
٧٢. روحية القليني، شاعرات عربيات،بغداد ، الدار القومية للطباعة، ١٩٧٦.
٧٣. سامي مكي، الإسلام والشعر، الكويت، عالم المعرفة، ١٩٨٣م. كتب ثقافية يصـدرها المجلـس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

٧٤. سعد إسماعيل شلبي، دراسات أدبية في الشعر العربي الأندلسي، ط٣، القاهرة، دار النهضة للطباعة والنشر.
٧٥. ....، البيئة وأثرها في الشعر –عصر ملوك الطوائف– ،القاهرة ، مطبعة نهضة مصر، ١٩٧٨.
٧٦. د.سلمى سليمان ، المرأة في الشعر الأندلسي " عصر الطوائف"،ط١، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية،٢٠٠٦.
٧٧. السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس.
٧٨. شكري فيصل، مناهج الدراسة الأدبية عند العرب.
٧٩. شكري فيصل، تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، دمشق، مطبعة جامعة دمشق١٩٥٩م.
٨٠. شهاب الدين أحمد المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، تح مصطفى السقا، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٩م.
٨١. شوقي ضيف، الفن مذاهبه في الشعر العربي، ط٦، القاهرة، دار المعارف .
٨٢. صلاح خالص، محمد بن عمار الأندلسي دراسة أدبية، بغداد، مطبعة المعارف، ١٩٥٧م.
٨٣. صلاح الدين الناهي، الأسرة والمرأة، بغداد، شركة الطبع والنشر الأهلية، ١٩٨٥م،.
٨٤. طه حسين، من تاريخ الأدب العربي، ط٢، بيروت، دار العلم للملايين ١٩٧٦
٨٥. عبدالله بن محمد ابن الغرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، تحقيق : إبراهيم الابياري ، بدون ط ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٨٤.
٨٦. عبدالله عفيفي، المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها ، جـ٢.
٨٧. عبد الرحمن ابن زيدان، أتحاف أعلام الناس بجمال حاضره مكناس، ط ١ الرباط /١٩٢٩
٨٨. عبد الرحمن علي الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ط١، دمشق، دار القلم ١٩٧٦.
٨٩. عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ط٢، بيروت، دار النهضة العربية.
٩٠. عبد القاهر الجورجاني، دلائل الإعجاز، تح محمد عبد المنعم خفاجي، القاهرة، ١٩٧٧م.
٩١. عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، الدار البيضاء، تحقيق ممدوح حقي.
٩٢. عبيد بن عبد الله المعروف بابن خرداذبة (المتوفى: ٢٨٠هـ)، المسالك والممالك، تحقيق عبد الرحمن على الحجي بيروت، ١٩٦٨.
٩٣. علي بن محمد الشريف الجرجاني، التعريفات، لبنان، ١٩٦٩م.
٩٤. على صدر الدين معصوم المدني، أنوار الربيع في ألوان البديع، ج ١ ، تح شاكر هادي، ط١، بغداد، مطبعة النعمان، ١٩٦٨م،.
٩٥. عمر الدقاق، ملامح الشعر الأندلسي، بيروت، دار الشروق ،١٩٧٥.

٩٦. الغزالي ، إحياء علوم الدين ، دمشق ، مكتبة عبد الوكيل الدروبي ، ج ٣ ،.
٩٧. الفتح بن خاقان ، قلائد العقيان في محاسن الأعيان ، القاهرة ، مطبعة التقدم العلمية ، ١٩٦٤م.
٩٨. ....، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأنـدلس، اسـتنبول، مطبعـة الجوائبن١٣٠٢هـ.
٩٩. فيلهم هوينرباخ، مجلة الأندلس، مجلد ١٩٧١، مقال حول شخصية ولادة.
١٠٠. القاضي علي بن عبد العزيز بن أبو الحسن الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصـومه، تـح محمد أبو الفضل وعلي البجاوي، ط٣، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥١م.
١٠١. قدامة بن جعفر البغدادي، نقد الشعر، تح كمال مصطفى، ط٢، القـاهرة، مكتبـة الخـانجي، ١٩٦٣.
١٠٢. لسان الدين بن الخطيب ،أعمال الإعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، تـح ليفـي بروفنسال، دار الكشوف، ١٩٥٦م.
١٠٣.لسان الدين بن الخطيب، الصيب والجهام والماضي والكهام، (تـح محمـد الشـريف قـاهر)، الجزائر، الشركة الوطنية، ١٩٧٣،
١٠٤.................... ، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تح احمد مختار العبادي، القاهرة، دار الكتاب العربي للنشر.
١٠٥.. .... ، الاحاطه ، بدون ط ، بيروت ، دار المكشوف ، ١٩٦٥ م .
١٠٦. لاميلو غرسيه غومس، الشعر الأندلسي –تطوره وخصائصه–، ترجمة د/ حسين مؤنس، ط٢، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٦م.
١٠٧. مبارك محمد الميلي ، تاريخ الجزائر القديم والحديث ، الجزائر المطبعة الجزائرية ، ١٣٥٠هـ ، جـ٢ .
١٠٨. محمد احمد العلوي (ابن طباطبا)، عيار الشعر، تح طه الحاجري ومحمـد زغلـول سـلام، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٥٦م.
١٠٩. محمد ر ضوان الداية ، في الأدب االأندلسي ، ط١ ، بيروت ، دار الفكر ، ٢٠٠٠ ،
١١٠. محمد سعيد محمد، الشعر في قرطبة ، أبوظبي ، منشورات المجمع الثقافي ، ٢٠٠٣ .
١١١. محمد سلام زناتي، تعدد الزوجات لدى الشعوب الإفريقية، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٣ م ،
١١٢. محمد عبدالله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، القاهرة ، ١٩٦٩ م
١١٣...............، تراجم اسلامية شرقية وأندلسية، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٧٠م.

١١٤. محمد عبد المنعم خفاجة ، الحياة الأدبية في عصر بني أمية ، ص ١٦٨ دار الكاتب اللبناني ، طـــ ١٩٧٣.
١١٥. محمد علي مكي، التشيع في الأندلس، مجلة معهد الدراسات الاسلامية، مدريد، عدد ٢.
١١٦. محمد مجيد السعيد ، الشعر في ظل بني عباد، عن ملوك الطوائف.
١١٧. محمد منتصر الريسوني، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٧٨م، الشعر النسوي في الأندلس.
١١٨. مختار العبادي، سياسة الفاطميين، مجلة معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، ١٩٥٧ .
١١٩. مراد كامل، دلالة الألفاظ العربية وتطورها، القاهرة، نهضة مصر، ١٩٦٣ م.
١٢٠. مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي، موضوعاته وفنونه، ط٣، بيروت، دار العلم للملايين.
١٢١. المعتمد بن عباد، وانظر المقدمة تحقيق أحمد أحمد بدوي تجد ذكراً للجواري منهن (جـــوهرة، وداد، سحر،قمر).
١٢٢. المقري (احمد بن محمد المقري التلمساني ، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، (تح د/ إحسان عباس)، بيروت، دار صادر' ١٩٦٨ ، ج١ .
١٢٣. مونتغمري وات، في تاريخ أسبانيا الإسلامية، ترجمة محمد رضـــا المعـــري، ط١، القـــاهرة، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ١٩٩٤،
١٢٤. مونيك بييتر ، المرأة عبر التاريخ ، ترجمة هنرييـــت عبـــودي ، بيـــروت ، دار الطليعـــة ، ١٩٧٩م،.
١٢٥. نافع عبدالله ، الهجاء في الشعر العربي الأندلسي، ط١ ، ١٩٨٤م،.
١٢٦. نافع محمود ، اتجاهات الشعر الأندلسي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٩٠م.
١٢٧. نكلسن، تاريخ الادب العباسي، ترجمة د.صفاء خلوصي، بغداد، منشورات المكتبـــة الاهليـــة، مطبعة أسعد ١٩٦٧.
١٢٨. هدى شوكة بهنام، النقد الأدبي في كتاب نفح الطيب. أطروحة ماجستير، جامعة بغـــداد،١٩٧٧ م.
١٢٩. هنري بيرس، الشعر الاندلسي في العربية الفصحى في القرن الحادي عشر.
١٣٠. ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٥٥م.
١٣١. يوسف بن عبد البر ، بهجة المجالس وانس المجالس ، تحقيق محمد مرسى الخولي ، القاهرة ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، جـــ٢ .
١٣٢. يوسف الثالث ملك غرناطة ، الديوان ، ط٢، تحقيق عبدالله كنون ، القاهرة ، مكتبـــة الانجلـــو المصرية ،١٩٦٥ م.
١٣٣. حسين نصر،الشعر في غرناطة في عهد دولة بني الأحمر، رسالة ماجستير ، جامعـــة بغـــداد، ١٩٨٣.

الفهارس الفنية

فهـــــــرس المحتويـــــــات

فهرس الأعلام والشعراء

١٠٤	المخزومي	٥٦، ٦٠، ١٦٤، ١٧١، ١٧٤، ٢٠٤.
١٠٥	مريم بنت أبـــي يعقــوب الفضولي	١٦١، ١٦٦.
١٠٦	مريم الشلبية	١٦١، ٢١٥ .
١٠٧	مريم العذراء	١٨٢، ٢١٥.
١٠٨	مريم الأنصاري	٢٠٣، ٢١٥ .
١٠٩	مسلم بن الوليد	٢١.
١١٠	مصطفى الشكعة	٦٦.
١١١	المعتصم بن صمادح	٥٩، ١٥٤، ٢١٢، ٢١٧.
١١٢	المعتضد	١٥٨، ٢٠٩.
١١٣	المعتمد بن عباد	٧، ١٠، ١٦٠، ١٦٧، ١٧٣، ١٧٥، ٢٠٠، ٢٠٣، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧.
١١٤	المقري	١١، ٣٤، ٦٩، ٢١٦، ٢١٧، ٢٢٠، ٢٢٢.
١١٥	مهجة القرطبية	١٦٣، ١٨٠، ١٨٢، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٦، ٢٢١.
١١٦	موسى بن نصير	٢، ١٤، ١٥.
١١٧	نزهون	٦٠، ١٥٣، ١٦٠، ١٦٤، ١٧٠، ١٧١، ١٧٣، ١٧٦، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٨، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٥، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٣، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤.
١١٨	هنري بيبرس	١٩٦.
١١٩	ولادة	٢٢، ٥٥، ٥٦، ٦٠، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٩، ١٧٤، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٦، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٣، ٢١١، ٢١٢، ٢٢١، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٣٠.
١٢٠	الوهراني	٦٠.
١٢١	يحيى بن ابراهيم الكرالي	٩.
١٢٢	الينور	٧٨، ٨٣.
١٢٣	يوسف بن تاشفين	٧، ٨، ٩، ١٠.
١٢٤	يوسف الثالث	٦٧، ٧١، ٧٢، ٧٥، ٧٨، ٨٠، ٨٣، ٨٤، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٦، ٩٧، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٦، ١١٦، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٨، ١٤٥، ١٤٩، ١٥٠.